
آية الإظهار
بين عالمية الإسلام والعولمة المعاصرة
دراسة تحليلية لعالمية الإسلام
والعولمة المعاصرة على ضوء القرآن والسنة





اية الاظهار بين عالمية الاسلام والعولمة المعاصرة

كاتب:

رياض عبد الرحيم الباهلى

نشرت فى الطباعة:

جامعة المصطفى (صلى الله عليه وآله) العالمية

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

ایه الاظهار بین عالمیه الاسلام والعولمه المعاصره

اشاره

آیه الإظهار بین عالمیّه الإسلام والعولمه المعاصره

المؤلّف: ریاض عبد الرحیم الباهلی

الطبعه الاولی: ۱۴۳۲ق / ۱۳۹۰ش

النّاشر: مرکز المصطفی(صلی الله علیه و آله) العالمی للترجمه والنشر

المطبعه: توحید السّعر: ۳۱۰۰۰ ریال عدد النسخ: ۲۰۰۰

التوزیع:

قم، استداره الشهداء، شارع الحجتیه، معرض مرکز المصطفی(صلی الله علیه و آله) العالمی للترجمه والنشر. الهاتف - الفکس: ۰۲۵۱۷۷۳۰۵۱۷

قم، شارع محمّد الأمین، تقاطع سالاریه، معرض مرکز المصطفی(صلی الله علیه و آله) العالمی للترجمه والنشر. الهاتف: ۰۲۵۱۲۱۳۳۱۰۶ - الفکس: ۰۲۵۱۲۱۳۳۱۴۶

www.miup.ir www.eshop.miup.ir

E-mail: admin@miup.ir, root@miup.ir

ص: ۱

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

آيه الإظهار بين عالميّه الإسلام والعولمه المعاصره

رياض عبد الرحيم الباهلى

ص :٣

كلمه الناشر

اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ وَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً والصلوه والسلام على النبىّ الأمين محمّد(صلى الله عليه و آله) وآله الهداه المهديين وعترته المنتجبين و اللعن الدائم على أعدائهم أعداء الدين.

لقد شهدت علوم الدين وعلى مدى أربعه عشر قرناً وطيله تاريخها العلمى المشرف مستوىً من التغيّر المستمرّ فى الحركه إلى الأمام على صعيد الثقافه والحضاره الإسلاميه فأوجد تطوّراً منهجيّاً فى العلوم الرئيسه المختصّه بالشريعه كـ- : الفقه الاسلامى وعلم الكلام والفلسفه والأخلاق... وتبعاً لهذا الجانب ترك التطوّر انطباعا موازياً بيّنا فى العلوم الأدواتيه كـ- : المنطق وعلم الرجال والحقوق... .

وفى ضوء انتصار الثوره الإسلاميه الإيرانيه المعظمّه وحدثها الداعى إلى رؤيه دينيه حديثه فى نطاق الحكم بغضون القرن الداعى إلى الإنفلات من ظلّ الدين والأيديولوجيه الدينيه وما يعرض فى مسرح أحداثه من تطوّر فى مسار نظريّات العلاقات الدوليه أو تصاعد الأسئله المعرفيّه المتعلّقه بمفهوم الوجود ومستلزماته الشاغله لذهن الإنسان

الحاضر وكـذلك مـا حصـل من توسّع لـدى علم الوجود الإنسـانى فى ظـلّ الأحـداث والمتغيرات المعنيه بهـذا الجـانب؛ جعلت المفكّر الإسـلامى فى أعلى مسـتوى من المسؤوليه أكثر ممّـا سـلف خـاصّه فى الـدول الإسـلاميه التى باتت فى محاوله ضـروريه لمـواجهه الشـعارات الخوّاء فى عصـر العـولمه فى ضـوء التـدقيق والملاحظه والنقـد البنّاء لاجتيـاح أىّ فقره يخشـى أن تسـبّب مشكلات فى مقتبل الأيام.

ومن هذا المنطلق يتطلّب الصـعيد الحوزوى النيّر لضـروره الوقوف على آخر المستجدّات الفكريه فى حقولها المتعدّده والاستعانه بضـروب من التحقيق العلمى الرصـين بمعـايير عـالميه حيّه لتوظّف فى نطـاق الـدين والشـريعه للإجـابه على المتطلّبـات العصـريه والمنطلق الـداعى إلى التكامـل و التعـالى فى ظـلّ الـدين والـتزام نظـامه فى العلم والحيـاه من جهه أخرى حيث يتطلّب الأمر من الحوزه العلميه مسؤوليه وضع حدّ لردع الجانب العولمى وتبعاته المنحطّه على الإنسان بلحاظه العام.

وقد كانت رؤيه التصدّى لهذا الأمر فى عنايه من مؤسسى الحوزه العلميه هذه الشجره الطيبه الذى أَصْلُها ثابِتٌ وَ فَرْعُها فِى السَّماءِ ، سيّما الإمام الخمينى(رحمه الله) الراحل وقائده المبجّل الإمام السيّد على الخامنئى دام ظله الوارف فى الوقت الراهن.

وقد سعت جامعه المصطفى(صلى الله عليه و آله) العالميه فى ضوء ما تقدم لنيل النجاح فقامت بإرساء مركز المصطفى(صلى الله عليه و آله) العالمى للترجمه والنشر حيث تكفّل بنشر نتاج هذا الجانب العلمى الهامّ.

وإنّ هـذا الـدراسه آيه الإظهار بين عالميّه الإسـلام والعولمه المعاصـره جاءت بجهود فضـيله الأسـتاذ رياض عبـد الرحيم الباهلى متوافقه مع نسق الرؤيه السائده المتّبعه وهذه الأهداف الساميه.

ص:۶

كما ندعو أصحاب الفضيله والاختصاص بما لديهم من آراء بنّاءه وخبرات علميه ومنهجيه حصريه بالمساهمه معنا والمشاركه فی نشر علوم أهل البيت(عليهم السلام).

وختاما ليس لنا إلّا تقديم الشكر الجزيل لكافّه المساهمين الكرام بجهودهم الخاصّه بإعداد الكتاب للطباعه والنشر.

مركز المصطفی(صلی الله عليه و آله) العالمی للترجمه والنشر

ص:٧

الفهرس

مقدمّه المؤلّف

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا ونبيّنا، خاتم النبيّين وسيّد المرسلين أبی القاسم محمّد وعلی آله الطيّبين الطاهرين.

قال الله تعالی: هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ وَ لَوْ کَرِهَ الْمُشْرِکُونَ ١.

إنّ الصراع بين الحقّ والباطل، وبين الاستقامه والانحراف، وبين العداله والجور قائم ومستمرّ ما دامت هنالك عقيدتان ومنهجان يتحكّمان فی النفس والمجتمع والحياه الإنسانيّه، ولا ينتهی الصراع إلّا بذوبان أحدهما بالآخر. بحيث لا يبقی له وجود.

والإنسانيّه - بأجمعها- متوجّهه إلی مفاهيم وقيم الحقّ والاستقامه والعداله، و ذلك بعد أن عانت كثيراً من الأزمات والمصاعب بسبب عدم قدره التيّارات والمناهج الوضعيّه أو الدينيّه المحرّفه من تحقيق طموحاتها كما ينبغی.

وبما أنّ توجُّه الإنسانيّه ينطلق من فطرتها السليمه التوّاقه إلی القيم الصالحه والعداله المطلقه بعد أن لوّثتها الحضاره الزائفه، وسيأتی اليوم الذی

تجد فيه المنهج الملائم لفطرتها، والذى يتّصف بالواقعيّه فى علاج أزماتها النفسيّه والروحيّه والاقتصاديّه والسياسيّه والاجتماعيّه، بعد أن فشلت الأُطروحات القائمه عن تحقيق ما تصبو إليه.

وبما أنّ المنهج الإسلامى منهج إلهىٌّ موضوع من قبل المطلق العليم المهيمن على حركه الإنسان والمجتمع والحياه، والعليم بسكنات وخفايا النفس الإنسانيّه، فإنّه سيكون الأمل المنشود للإنسانيّه، ولكنّه بحاجه إلى دُعاه يعرضون مفاهيمه وقيمه وموازينه ومعاييره بأُسلوب شيّق وجذّاب ينسجم مع تطوّر العقل البشرى وتعقّد الحياه الإنسانيّه، اعتماداً على الأساليب والوسائل المتطوّره التى تعتمد البرهان العلمى والدليل القاطع لاقناع الإنسانيّه بأمثل نماذج المنهج الانقاذى الصحيح.

بل سيكون للرعايه الإلهيّه الدور الأساسى فى هذا التوجّه العالمى، وسيكون الإسلام هو المهيمن على الفكر والعقيده، وعلى العواطف والمشاعر، وعلى الإراده والسلوك. وهذه الهيمنه هى عباره عن: الظهور الذى أشارت إليه آيه الإظهار، والذى سيتحقّق فى أوسع آفاقه فى عهد الإمام المهدى(عج).

والإسلام كمنهج عالمى منذ نشأته الأُولى، وسيكون كذلك فى عصر الظهور بعد عجز الأُطروحات الوضعيّه البشريّه عن تحقيق هذه العالميّه أو العولمه باصطلاحها، لا على المستوى الثقافى ولا العلمى ولا السياسى فقط؛ لأنّها من وضع البشر المحدود على جميع المستويات فى فكره وعاطفته وإرادته، والتى لم نستطع تقديم النموذج الأمثل لها فى واقع الإنسانيّه.

وفى كتابنا هذا قمنا بتعريف الرؤيه الإسلاميّه كرؤيّه عالميّه، وعرض أُطروحه العولمه على القرآن الكريم، والتعريف بعالميه الإسلام المنسجمه مع ثوابته النظريّه والتطبيقيّه، ثمّ التعريف بالدوله العالميّه التى يقودها الإمام المهدى(عج)، مقارنه بالدوله العولميّه المراد لها أن تكون البديل فى نوايا واضعيها.

ص:۱۶

ولقـد اعتمدنا فى هذه الدراسه الأسـلوب الاسـتقرائى التحليلى تارهً، والنقدى القائم على أساس جمع الآراء والنظريات المطروحه حول الموضوع تارهً أخرى، ثمّ المقارنه بينها وبين النظريّه الإسلاميّه، للخروج بالنتائج التى تتوافق والرؤيّه الدينيّه الصحيحه.

علماً إنّ هذا الكتاب هو عباره عن رساله قُدّمت لنيل درجه الماجستير فى العلوم الإسلاميّه قسم علوم القرآن الكريم، وقد نُوقشت من قبل اللجنّه العلميّه المشـرفه على رسائل الماجستير والـدكتوراهٔ فى جامعه المصـطفى(صـلى الله عليه و آله) العالميّه، وقد نالت درجه الامتيـاز العـالى، ممّا بعثّ بمؤلّفهـا للمشاركه بها فى المهرجان الـدولى للقرآن الكريم الـذى أقيم فى عاصـمه الجمهوريّه الإسلاميّه الإيرانيه لعام ۱۴۲۹ه الموافق ۲۰۰۸م، فكانت من جمله الرسائل والدراسات الحائزه على المرتبه الأولى للعامّ المذكور.

۱۷ ربيع الأوّل ۱۴۳۰ه

رياض عبد الرحيم الباهلى

هيكليّه البحث

اشاره

لقد قمنا بتقسيم البحث إلى مقدّمه وثلاثه فصول وخاتمه، وهى كالتالى:

الفصل الأوّل: يحملُ عنوان: العولمه، مراحل تطورّها، بعدما بيّنا مفهوم العولمه فى اللغه والاصطلاح وبيان المفاهيم المقاربه لها.

أمّا الفصل الثانى: فكان عنوانه: التفسير المقارن لآيه الإظهار، وقد اشتمل على بيان آيه الإظهار والعالميّه، ومن ثَمّ بيان الآيات المشابهه لأيه الإظهار، وتحليل ألفاظ آيه الإظهار، وبيان مفاد آيه الإظهار، وبيان آيه الإظهار عند مفسّرى الإسلام، وأخيراً تعرّضنا فيه إلى نقد بعض الآراء والخروج بنتيجه المقارنه بين هذه الآراء.

أمّا الفصل الثالث و هو يحمل عنوان عالميه الإسلام، و قد تناولنا فيه عالميّه الإسلام فى القرآن الكريم والروايات الشريفه، وبيان عالميّه الإسلام الثقافيّه والسياسيّه، وأخيراً بيان الثقافه بين العولمه وعالميّه الإسلام.

١–العولمه

تمهيد:

قـد يكون من غير الصـحيح أن ننحاز إلى تعريف محـدَّد للعولمه فى بـدايه هـذا البحث، مع كثره التعريفات التى أطلقها الباحثون والـدارسون لهـذه الظـاهره التى أخـذت تغزو العـالم برمّته، والتى ذهبوا فى تفسـيرها والحـديث عنهـا كلّ مـذهب؛ وذلك لعـدم اكتمال هـذه الظاهره الجديـده القديمه، مع عدم وضوح تأثيراتها، ولعلّ فى هذا شـيئاً من الصواب، وإن كنت سوف أذكر تعريفاً أحاول فيه إعطاء مفهوم خاصّ لها، ولكن الحاكم هو القول: كيف نعرف شيئاً مازال فى طوّر التكوّن والتشكل)؟ ودليل ذلك ما رأينـاه، من أنّ الكثير ممّن كتب حول ظـاهره العولمه وخـاصّةً فى صورتيها الإنتاجيّه، والماليّه، تنطوى على تـدويل متساوٍ للانتاج والمـال بين دول العـالم المختلفه، ودون أن ينتبهـوا إلى أنَّ هـذا النوع من التـدويل بـدأيصبُّ فى مصـلحه دول المركز – أمريكا وأوربـا – من دون دول الهـامش، كمـا سـماها فانشـاتين، فى نظرّيته الاجتماعيّه، المتعلّقه بالنسق العالمى منـذُ ما يقارب العشـرين عاماً، فليس لها إلاّ دور ضئيل

ص:٢١

يتمثّل فى إيجاد القاعده الأساسيّه لمؤسّسات التمويل الضخمه وللشركات المتعدّده الجنسيّات.

نعم، فقد أصبح أكثر المفاهيم شيوعاً فى التحليل السياسى والاقتصادى، والاجتماعى، خلال السنوات الأخيره، وإن كان هذا لا يعنى أنّ له مفهوماً جديداً أو يشير إلى ظواهر جديده، إذ إنَّه امتداد لمفهوم النظام العالمى الجديد.

إضافه إلى ذلك كما عبرنا عنه بالنظام الجديد القديم فهو ليس مفهوماً جديداً كما يفهم البعض، فالعولمه لم تحدث فجأةً، بل لها جذورها التاريخيّه، ولها مقدّماتها الموضوعيّه، وخاصةً تلك الأخيره، التى ظهرت مع بدايه القرن العشرين، وارتبطت بالثوره الصناعيّه، والتى أبرز مظاهرها تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، والتى حولت العالم إلى قريهٍ صغيره كما يُشاع حالياً.

وعليه فقد رافقت النظام العالمى الجديد ظاهره أخرى، وهى العولمه مرافقةً لجميع ما حصل من تغيرات على الأصعده السياسيّه والاقتصاديّه والاجتماعيّه والأخلاقيّه.

إذاً: فالتغير الحاصل فى النظام العالمى أطلق عليه اسم: العولمه.

والعولمه: حضاره عالميّه والحضاره العالميّه- بشكل عام - هى التقارب الثقافى الإنسانى، والقبول المتزايد بقيم وممارسات ومؤسّسات مشتركه من قبل شعوب العالم. فربّما تتمثَّل ظاهره العولمه فى التوجّهات العلميّه ذات البعد المستقبلى، ولاشكَّ فى أنّ العولمه- مع ما اتّفق عليه الكثيرون من الداعين إليها والرافضون لها- تمثّل المحور الأهمّ فى تفاعلات الحاضر والمستقبل، حتى وإن لم يتمَّ الإشاره إلى المصطلح بصوره مباشره، فالتغيرات الحاصله فى هذا النظام العالمى، الذى بدأت إشراقاته تتوسَّع

كأطروحه، يدور المستوى العامّ فيها فى فلك العولمه، فان لم يكن من وجهه نظرنا، فطبيعى من وجهه نظر الغرب، ونفس الشىء مع صراع الحضارات واللبراليّه الجديده، ومفاهيم السوق ونظام الاتصالات والإعلام.

وبعد هذا التمهيد سنتناول العولمه من خلال المحاور التاليه:

الأوّل: تعريف العولمه لغهً واصطلاحاً.

الثانى: العولمه والمفاهيم المقاربه.

الثالث: النشأه التاريخيّه للعولمه ومراحل تطوّرها.

الرابع: أقسام العولمه، وآليّاتها.

اصطلاحات معاصره:

اشاره

إنّ لكلّ ظاهره حادثه أو جديده اصطلاحات خاصّه بها، توصل جميع ما تحمله من معانى تغيريّه إلى مخاطبيها، ومن الطبيعى أن تكون لظاهره العولمه هذه، مجموعه من المصطلحات الخاصّه كذلك، و من هنا- وفى سبيل الإطلاع على المبانى الأساسيّه لظاهره العولمه إلى القارئ الكريم - لابدّ من التعريف بالمصطلحات المتداوله فى هذا الكتاب، والتى منها:

۱. الأستراتيجيّه Stratejy:

فنّ القياده فى الحرب الشامله على مستوى الدوله، حيث تنسق الخطط العسكريّه مع الخطط الإقتصاديّه والإعلاميّه والسياسيّه، وتوصف بأنّها الخطّه العامّه لحمله عسكريّه كامله.

٢. الإيديولوجيا Ideolojy:

هى منظومه الأفكار التى تتجلّى فى كتاب مؤلّف ما، وتعكس نظرته الى نفسه والآخرين، بشكل مُـدرِك أو بشكل غير مدرك، ولكن الآيديولوجيا بالمعنى العامّ، تعنى: مجموعه الأفكار العامّه السائده فى المجتمع.

٣. الاشتراكيّه Socialism:

مـذهب اقتصادى يشـدّد على الملكيّه الجماعيّه لوسائل الانتاج، وينسب دوراً كبيراً للحكومه فى إداره الاقتصاد عبر الملكيّه العامّه الواسعه للصناعات الرئيسه، رغم أنّه يُتيح مجالاً محدوداً لقوى السوق.

٤. الإمبرياليّه (الاستعمار الاقتصادى) Imperia Lism:

وهى الرأسـماليّه الاحتكـاريّه، وتمثّـل المرحله الأخـيره من تطورّ الرأسـماليّه، حيث تسـيطر الاحتكـارات - التجمّعـات الرأسـماليّه الضخمه - على الانتاج وتصريف أهمّ السلع.

٥. الإنتر بيولوجيّه Anthr Opology :

كلمه الإـنتر بولوجيّه جـائت من الإـ غريقيّه، وانتر بوس تعنى: الإنسـان،ولوغوس تعنى الخطـاب أو العلم، فهى: علم الإنسـان. وهو العلم الـذى يحاول أن يصل إلى معرفه القوانين التى تسودّ لحياه البشـريّه و المجتمعات الصـناعيّه المعاصـره، كما فى المجتمعات القديمه والبدائيّه والتقليديّه.

٦. الأنطولوجيا (علم الوجود) OntoloJy:

دراسه طبيعه الأشياء وجوهرها، وخواصّها الأساسيّه وعلاقه بعضها ببعض؛

ص:٢۴

وذلك بصفه عامّه دون التعرّض لتفاصيلها الخاصّه، وتتضمّن كلمه الإنطلوجيا: فكره الإنسان عن. الأرض والسماء، والكواكب والزمان،والمكان.

٧. البرجوازيّه (الطبقه المتوسطه) Bourje Sheoi:

طبقه اجتماعيّه من أصحاب المهن الحرّه، نشأت فى القرون الوسطى الأوربيّه؛ سمّيت كذلك، لأنّهم كانوا يعيشون، أمّا فى المدن، وإمّا فى القرى الصغيره، فيتمتّعون فيها ببعض الامتيازات. وتتشكّل البرجوازيّه فى مجموع المالكين الفردين او الجماعيّين لوسائل الانتاج، ومدار المؤسّسات التجاريّه والصناعيّه والماليّه، والمضاربين، وبشكل عامّ أولئك الذين يعيشون أساساً من العوئد الرأسماليّه المرتفعه إلى حدّ ما.

٨. الألبروليتاريا (طبقه العمّال الكادحين) Brolet Ariat:

أطلق المفكّر الفرنسى سان سيمون هذا التعبير على الذين لايملكون نصيباً من الثروه، ولا يتمتّعون بأىّ ضمانات فى الحياه.

تمّ استخدام كارل ماركس لهذه الكلمه قاصداً طبقه العمّال الأجراء الذين يشتغلون فى الانتاج الصناعى، ومصدر دخلهم هو بيع ما يملكون من قوّه العمل.

٩. البنک الدولی WorIdBank:

أنشى سنه ١٩٤٧ م على إثر مؤتمر برتون وودز لتوفير العون الأقتصادى إلى الدول الأعضاء، لاسيّما الدول الناميه لتقويه اقتصادها.

ص:٢٥

۱۰. التكنولوجيا Technolojy:

المعرفه النسبيّه بالوسائل المستخدمه لتحقيق أهداف مختلفه، يتوخاها النشاط الاقتصادى، إنّها معرفه التقنيّات الماديّه بمختلف أنواعها.

۱۱. الحتميّه Determinsm:

مفهوم فلسفى، يدور حول الأصل الشامل لجميع الظواهر، والحتميّه المتماسكه التى تسلم بوجود طبيعه موضوعيّه للسببيّه، وظهر هذا المصطلح فى البدايه مع الفلسفه اليونانيّه.

۱۲. الحداثه Modnism:

هى ظاهره انطلقت فى البدايه من أوربا مع الثوره الفرنسيه ۱۷۸۹ م، وعنت التغيير فى النظام السياسى من النظام الملكى إلى الديمقراطى الذى يقوم على سلطه الشعب والمجالس الممثّله بالشعب، واعتماد اليبراليّه نظاماً اقتصادياً، والمساواه بين الجنسين على الصعد الإجتماعيّه، وإلزاميّه التعليم للأطفال، وغيرها من الأهداف المراد تحقيقها على هذا المنهج والمعبّر عنه بهذا التعريف المذكور.

۱۳. الدكتاتوريّه (الاستبداد) Dieato Rship:

هى تركيز السلطات بيد شخص واحد، دون الاستناد إلى قوانين معيّنه. وهذا الفرد الدكتاتور يخضع له المحكومون بدافع الخوف، ويحكم عاده لصالح جماعه معيّنه.

۱۴. الديمقراطيّه Democracy:

نظام اجتماعى يقوم على أساس مشاركه أعضاء الجماعه فى أداره شؤنها،

وربّما فهم منها التحلّل من مجموعه من القيود فی جميع المستويات سواء الدينيّه أو الطائفيّه العرقيّه.

وقد تكون الديمقراطيّه سياسيّه، وهی: أن يحكم الناس أنفسهم علی أساس الحريّه والمساواه، لا تميز بين الأفراد؛ بسبب الأصل والجنس، أو الدين أو اللغه، ويستعمل فی الإداره للدلاله علی القياده التی تتمّ بالمشوره بين الرؤساء والمرؤسين فی عمليّه اتّخاذ القرار.

أ). تعريف العولمه

العولمه لغهً:

يعتبر مصطلح: العولمه من المصطلحات الحديثه التی لا وجود لها فی قواميس اللغه العربيّه، نعم، قد يستفيد البعض فی تعريفها كتعريف لغوی من بعض الاشتقاقات اللغويّه، كما هو عليه مجموعه من الباحثين المعاصرين، ومنهم: الباحث المعاصر عابد الجابری، حيث قاس لفظه العولمه فی اللغه العربيه علی وزن: فوعله الذی يعنی: قولب، أی: تحويل الشیء من وضع إلی وضع آخر، وفق أنموذج أو قالب محدّد (۱)، إلاّ أن صيغه فوعل الصرفيّه، صيغه خاصّه بالنسب، تُصاغ منها ألفاظ علی وفق توفّر ضوابط وشروط معيّنه. لا نجدها فی لفظه: العولمه؛ لذا فهی لفظه ذات صيغه خاصّه ليس لها وجود فی المعجم العربی، وأصلها الصحيح لفظه: العالميّه، (۲)المشتقّه من اسم. العالَم، الذی هو علی وزن: فاعل.

۱- (۱) . محمّد عابد الجابری، ولد فی المغرب العربی دكتوراه فی الدوله والفلسفه، حاصل عليها من كليّه الأدب فی الرباط؛ وله العديد من الكتب المنشوره انظر: قضايا فی الفكر المعاصر: ۱۳۵، و كذلك ينظر: الدكتور علی الفقيه، العولمه وتنوع المفاهيم وتباين المفهوم، مجله الدبلوماسی: ۲۶، نقلاً عن الفكر الإسلامی المعاصر: ۲۰.

۲- (۲) . سناء كاطع، الفكر الإسلامی المعاصر: ۲۰.

وجمع العالم المراد به الخلق، والعوالم، وهو ما أصطلح عليه فی لسان العرب (١).

إذن فلفظه: العولمه لفظه مستحدَثه مستعربه من المصطلح الإنجليزی الخاصّ، مثلها مثل غيرها من الألفاظ المستحدثه والمستعربه الأخرى. وتعود لفظه عولمه فی أصلها إلى الكلمه الإنجليزيه: Global ، وإنَّ عباره tazjcl obali ion) – بحسب ما جاء فی قاموس وبستر – تعنی: إکساب الشیء طابع العالَميّه، وجعل نطاقه وتطبيقه عالميّاً (٢).

وفی اللغه الفارسيّه جاءت بلفظتين:

الأولی: جهانی شدن، أی: العالميّه، وهی: صفه للعلاقات القائمه بين الدول، أو للعلاقات الخارجيه للدوله. وکان يُعرَّف مفهوم العولَمه فی ذاک الوقت بمفاهيم عدّه، مثلاً: نظام اجتماعی، أو نظام مالی، أو نظام عالمی (٣)، وهو الأکثر رواجاً آنذاک. أو يعرَّف بمفهوم الحريّه فی جميع الجوانب، سواء کانت جوانب تجاريّه أو اقتصاديّه، أو سياسيّه أو ثقافيّه، أو إلغاء جميع الموانع الخاصّه، بين الدول الخارجيّه (۴).

والأخرى: جهان سازی، أی: صناعه العالَم، وهذا المصطلح من الطبيعی أن يکون قد أخذ مفهوماً جديداً؛ لأنَّ التطوّر الحاصل فی الميادين التجاريّه والثقافيّه والسياسيّه، کان له المدخليّه البالغه فی صياغه

ص:٢٨

١- (١) . لسان العرب: ١۵ / ۴١۵.

٢- (٢) . المسيری، عبد الوهّاب، مفکر إسلامی عضو مجلس الإمناء لجامعه العلوم الإسلاميّه الإجتماعيّه، بالمسبرج، بولايه فرجينيا بالولايات المتّحده، وإنجلترا وفرنسا، ومستشار للکثير من المجلّلات التی تصدر فی ماليزيا وإيران والولايات المتّحده، من اشهر کتبه: موسوعه اليهود واليهوديه، انظر: موسوعه اليهود واليهوديّه: ١ / ٢٧.

٣- (٣) . شولت، يان أرت، نگاهی موشکافانه بر پديده جهانی شدن: ترجمه: مسعود کرباسيان.

۴- (۴) . المصدر: ۶.

المفاهيم المعاصره التى وردت ذهن الإنسان فى الوقت الحاضر.

وهنـاک فرق بين المفردتين؛ لأنّ الأولى هى: فعل لازم، تعنى. العالميه من دون تميز الماضـى عن الحاضـر والمسـتقبل. والمفرده الثانيه، هى: فعل متعدٍّ، وتعنى: صناعه العالم فى الوقت الحاضر.

إذاً: مفرده: العولَمه لا وجود لها فى القاموس اللغوى، وإنّما هى مفرده اشُتقَّت من العالَميّه، والأخيره اشتُقَّت من: العالَم.

العولمه اصطلاحاً:

اشاره

ينبغى لنـا أوّلاًـ وقبـل كـلَ ّ شـىء أن نحـدِّد ولو بصوره عـامّه مفهوم العولمه، لكى تتبيّن حقيقتها وأبعادها، وخطورتها على الفرد والمجتمع، والحضـاره والثقـافه الإسـلاميّه، والإنسـانيّه، إن كـان فيهـا ذلـک، ولكن ممّـا ينبغى التنبيه إليه هو أنَّ تعار يف العولَمه كثيره جـدّاً، ومتنوّعه بصوره تكاد لاتحصـر؛ وذلک لأنَّ العولمه مصـطلح ذو دلالات ومفاهيم متعـدّده الأبعاد،فهو لا يقتصـر على زاويه محـدَّده ممكن التوجه إليهـا واكتشاف مكامنها، وإّنما يشـتمل على عوامل اقتصاديّه وسياسـيّه وتكنولوجيّه ثقافيّه، بحيث لا يمكن فصل أىَّ ّ منها عن لآخر، وفيما يأتى تلك المفاهيم مع تعاريفها:

۱. العولمه فى المصطلح الاقتصادى:

إنّ أوّل مظهر من مظـاهر العولمه كـان فى المجـال الاقتصـادى؛ لأـنّ العولمه عنـدما انطلقت كانت تتابع أهـدافا اقتصاديّه، ونتيجه لزياده التعامل التجارى بين البلـدان وعلى مسـتويات متعـدّده، نشأت هناک شـبکه من العلاقات العالميّه، المتمثله بصـندوق النقد الدولى ومنظمه التجاره العالميّه وغيرها، بالإضافه إلى التحالفات الاقتصاديّه، و الذى من خلاله دخلت العولمه إلى

المجالات السياسيّه والثقافيّه، وغيرها من المجالات الأخرى.

لذلك سوف نقوم بعرض تعريفاتها فى مجالى السياسه والثقافه بعد تعريفها اقتصاديّاً.

أ). تعريف عبد الجليل كاظم:

العولَمه: عمليّه سياده نظام اقتصادى واحـد، تنضوى تحته مختلف بلدان العالَم فى منظومه متشابكه من العلاقات الاقتصاديّه تقوم على أساس تبادل الخامات والسلع والأسواق ورؤوس الأموال (١).

أى: انتقـال الأسـواق والقوى العـامله والثقافه والتقانه، ضـمن إطار حريّه رأس المال والأسواق، بحيث تصـبح هـذه الأسواق سوقاً واحـداً فيتمّ خضوع العالم لقوى السوق العالميه، ممّا يؤدى إلى اختراق الحـدود القوميّه، وإلى الانحسار الكبير فى سياده الدوله، وأنّ العنصر الأساس فى هذه الظاهره هى الشركات الماليّه الضخمه المتخطيّه للقوميّات.

ب). تعريف صادق العظم:

العـولمه: وصـول نمـط الإنتـاج الرأسـمالى عنـد منتصـف هـذا القَرن إلى نقطه انتقـال من عـالميه دائره التبـادل والتوزيـع والسوق والتجاره والتداول إلى دائره الإنتاج ذاتها. (٢)

أى: أنّ ظاهره العولمه هى بدايه عولمه الانتاج وقوى الانتاج الرأسـمالى، أى: أنّها رسـمله العالم على مسـتوى العمق بعد ما كانت رسملته على مستوى السطح ومظاهره..

فينتهى بتعريف عـام للعولمه و هى: حقيقه التحوّل الرأسـمالى العميق للإنسانيّه جميعاً فى ظلّ هيمنه دول المركز وبقيادتها وتحت سيطرتها، وفى ظلّ سياده نظام عالمى للتبادل غير المتكافئ. (٣)

١- (١) . مجلّه المستقبل، العدد: ٢٧٥ / ٦٩.

٢- (٢) . صادق العظم، فيلسوف سورى؛ أستاذ ورئيس قسم الفلسفه فى جامعه دمشق؛ بتوسيط: الفكر الإسلامى المعاصر: ٢٠.

٣- (٣) . سيناريو ابستمولوجى، حول العولمه، أطروحات أساسيّات المستقبل العربى، العدد٢٤٧، أيلول ١٩٩٩م.

ج). سمير أمين:

والعولمه عند سمير أمين تظهر فى وجود انتاج عالمى يتميّز بوجود سوق مندمجه للمنتجات ولرؤوس الأموال باستثناء سوق العمل غير المندمجه. (١)

د). روجيه غارودى:

وممّن عرَّف العولمه كذلك، روجيه غارودى فهى تعريفه تعنى: نظام يُمّكن للأقوياء من فرض الدكتاتوريّات اللاإنسانيّه التى تسمح لهم بافتراس المستضعفين بذريعه التبادل الحرّ وحريّه السوق. أى: أنّ تداخل كلٍّ من السياسه الاقتصاديّه فى عمليّه العولمه حول النظام الدولى فى زمن العولمه إلى صيغه عالم بمقام النظام العالمى الجديد، بعد تداعى النظام الدولى القديم، وربّما تمَّ إلغاء كلمه الدولى للوصول إلى مرحله عدم القبول بوجود الدوله، وتخطِّى الحدود الدوليّه الجغرافيّه التقليديّه، وهو ما تدعو إليه العولمه. (٢)

إذاً: العولمه بحسب هذا التعريف، هى ذات مفاهيم تشتمل على السياده والتبعيّه، السياده من جانب الطرف الأقوى، والتبعيّه من جانب الطرف الأضعف.

وجاء التركيز على العولمه الاقتصاديّه، على أساس أنّها نظام اقتصاديّ دولى، أكثر انفتاحاً وتحرّراً من القيود فى مجال السلع والخدمات والرسائل، لاسيّما منذُ أوائل الثمانينات (٣).

ه). الدكتور أحمد ثابت:

وعرَّفها الدكتور احمد ثابت، أستاذ العلوم السياسيّه فى جامعه القاهره، بأنّها:

نتاج من التوسيع والانطلاق لقوى الاحتكار الكبرى المسيطره على السوق العالميّه، وأبرز هذه القوى هى الشركات

١- (١) ٣. مجموعه باحثين، العولمه والتحولات المجتمعيه فى الوطن العربى:٣١٣.

٢- (٢) . العولمه المزعومه الواقع، الجذر، البدائل: ١٧، تعريب الدكتور محمّد السبيطلى.

٣- (٣) . حول تحديات الاتّجاه نحو العولمه الاقتصاديّه: ٩ - ٨ .

الاحتكاريّه الكوكبيّه، العملاقه المتعدّده الجنسيّه التى تتحّكم فى تدفّقات وتحركات كتل الأموال والأسهم، والسندات وأسواق الأوراق النقديّه والمصرفيّه، بعيداً عن العملات الوطنيّه حتّى الدول الكبرى. (۱)

والحاصل ممّا تقدّم: أنّ هذه مجموعه من التعاريف التى لاحظت الجانب الاقتصادى فى تعريفها للعولمه، باعتبار أنَّ الاقتصاد هو أحد الجوانب المهمّه التى ساعدت على انتشار العولمه.

وهناك جانب آخر من جوانب العولمه والتى أصبحت ركيزه من ركائزها الهامّه، وهو الجانب الثقافى، والذى نقوم فيما يأتى بنقل بعض التعاريف المهمّه فى هذا الجانب.

۲. العولمه فى المصطلح الثقافى:

أمّا على المستوى الثقافى فتحاول العولمه تعميم نموذج حضارى معيَّن على العالَم، وإظهار ثقافه عالميّه تسود العالم كلّه، فهى تعتمد فى ذلك على التطوّر الحاصل فى مجال الاتّصالات من فضائيّات وإنترنت ووسائل أخرى، فَعُرِّفت العولمه الثقافيّه بتعاريف عدّه، منها:

أ). الأستاذ عبد الإله بلقزيز:

العولمه هى: فعل اغتصابى ثقافى عدوانى على سائر الثقافات، إنّها رديف الاختراق الذى يجرى بالعنف المسلح بالتقانه فيهدّد سياده الثقافه فى سائر المجتمعات التى تبلغها عمليّه العولمه. (۲)

هذا بناءً على النظره المتشائمه من العولمه، كما سنبيّن.

ب). تعريف برهان غليون:

العولمه ديناميكيّه جديده، تبرز داخل العلاقات الدوليّه من خلال

ص:۳۲

۱- (۱) . العولمه تفاعلات وتناقضات التحوّلات الدوليّه، نقلاً من دائره العولمه فى الثقافه العربيّه: ۱۴.

۲- (۲) . العولمه والممانعه، دراسات فى المسأله الثقافيه: ۴۲، سلسله المعرفه لجميع، منشورات الرباط.

تحقيق درجه عاليه من الكثافه والسرعه فى عمليه انتشار المعلومات التقنيّه والعمليّه للحضاره، يتزايد فيها دور العامل الخارجى فى تحديد مصير الأطراف الوطنيّه المكونه لهذه الدائره المندمجه، وبالتالى لهوامشها أيضاً. (١)

ج). تعريف أحمد الرضوان:

العولمه نظام عالمى جديد يقوم على العقل الإلكترونى فى الثوره المعلوماتيه القائمه على المعلومات، والإبداع التقنى غير المحدود، دون اعتبار للأنظمه والحضارات، والثقافات والقيم، والحدود الجغرافيه، والسياسيه القائمه فى العالم. (٢)

د). تعريف (ستروب نابلبورت):

العولمه هى الثوره التكنولوجيّه وثوره الاتّصالات، ونموّ التجاره الدوليّه ونهايه الحرب البارده، فلقد أصبحت أجزاء مختلفه من العالم مرتبطه بعضها ببعض أكثر من أىّ وقت مضى، فالذى يحدث هنا له تأثير هناك (٣).

ه). الدكتور ذوقان عبيدات:

العولمه بأنّها ثقافه سياده واحده على جميع ثقافات الشعوب الأخرى مما قد يؤدى إلى ذوبان هويه هذه الشعوب. (۴)

و). تعريف جان ناملينوس:

العولمه مفهوم ربط الثقافه القديمه بالحاضر ضمن شروط معيّنه، فالعولمه من خصوصيّاتها الربط بين الماضى والحاضر فى جميع الاتّجاهات. (۵)

١- (١) . برهان غليون، أستاذ علم الاجتماع السياسى. ومدير دراسات الشرق الآوسط، فى جامعه السوربون الفرنسيّه، وضع العديد من المؤلّفات فى الغه العربيّه والفرنسيّه، منها: العرب وتحدّيات العولمه الثقافيّه، انظر: مقدّمات فى عصر التشريد الروحى: ٨٢.

٢- (٢) . العولمه والعالميّه فى ميزان واحد: ١٢٢.

٣- (٣) . حديث النهايات وفتوحات العولمه ومأزق الهويّه: ٩٩.

۴- (۴) . أين نحن والعولمه:١٣.

۵- (۵) . ناملیسون، جان، جهانى شدن فرهنگ، تعريب: محسن حكيمى، دفتر شوهان حكيمى.

٣. العولمه فى المصطلح السياسى:

يرى الكثير من الباحثين أنَّ العولمه فى هذا المجال، تهدف إلى إضعاف دور الدوله القوميّه وإلغاء الحدود الجغرافيّه، فالدوله فى مجال العولمه السياسيّه لا تملك الكثير من الخيارات أمام عوامل التأثر، لا من ناحيه سياسيّه، ولا اقتصاديّه، ولا حتّى ثقافيّه، فأهُّم التعارف للعولمه السياسيّه فى نظر من ينظر إليها على أنّها حاله سلبيه هى:

أ). عمر الشافعى:

نقلاً لسلطه الدوله واختصاصاتها إلى مؤسسات عالميّه تتولّى تسيير العالم وتوجيهه، وهى بذلك تحلُّ محلَّ الدوله وتهيمن عليها. (١)

ب). الدكتور حسين علوان:

العولمه ظاهره تنمُّ عن الهيمنه الأمريكيّه على الأصعده الاقتصاديّه، والسياسيّه، والثقافيه؛ وذلك عن طريق تعميم النموذج الأمريكى على الأمم والشعوب الأخرى وفرضه عليها؛ وذلك تحقيقاً للاستراتيجيه الكونيّه، الأمريكيّه بالسيطره على العالم. (٢)

ج). تعريف محمد عابد الجابرى:

ومن ضمن المفاهيم و التعاريف التى طرحت للعولمه هى نظام يقفز على الدوله والأمّه والوطن، فى مقابل ذلك يعمل على تفتيت وتثبيت، فى إضعاف السلطه فى الدوله. والتخفيف من حضورها يؤدّى حتماً إلى أطر الانتماء السابقه على الدوله، أعنى: القبيله، والطائفه، والجهه، والتعصب المذهبى، والنتيجه: تفتيت المجتمع وتشتيت شمله. (٣)

العولمه الصهيوناريّه:

وكذلك نرى البعض يعرفها بتعريف لكلمه الصهيونيّه، فيجعل نوعاً من

١- (١) . إعلام العولمه وتأثيره فى المستهلك نقلاً عن مجله المستقبل العربى، عدد: ٢٧ / ٦٩.

٢- (٢) . العولمه والثقافه العربيّه العولمه والهويّه: ١٣٧.

٣- (٣) . قضايا الفكر المعاصر: العولمه، صراع الحضارات: ١٤٩.

المقارنه بين العولمه اصطلاحاً والصهيونيّه، فيعبر عنها بكلمه الصهيونا ريّه؛ إذ يدعوها ب- : العولمه الصهيونا ريّه (۱).

وكلّ ذلک بسبب أيدلوجيتها القديمه والحديثه، وفلسفتها التى تغلفها بمصطلحات جذابه بغيه الخداع السياسى؛ لأجل كسب المؤيّدين لها من جميع أنحاء العالم، ويرجع هذا الباحث المخطّط العولمى إلى الصهيونيّه حينما قام آدم وايزوهوت (۲) بإعاده تنظيم البروتوكولات القديمه على أسّس حديثه يهدف من ورائها السيطره على العالم وإنهاء مهمّته فى أيار ۱۹۷۶. ويسعى هذا المخطّط الذى رسمه وايزهاوت إلى تدمير جميع الحكومات والأديان الموجوده، ويتمّ الوصول إلى ذلک عن طريق تقسيم الشعوب إلى معسكرات تتصارع إلى الأبد حول عدد من المشاكل دون توقّف (۳).

۴. التعريف الجامع للعولمه:

هناک خلاف بين العلماء حول العولمه، هل هى نظام عالمى جديد، أو هى مجرّد حركه حضاريّه معيّنه؟ ومع عدم إمكان الإحاطه الكامله بهذه الظاهره وقع الاختلاف فى تعريفها، فعرّفها البعض بتعاريف سلبيّه نابعه عن النظره

۱- (۱) . العولمه النظريّه الاجتماعيّه والثقافيّه الكونيّه: ۱۰، ترجمه أحمد محمود نور أمين، د. محمّد حافظ.

۲- (۲) . الفكر الإسلامى المعاصر: ۴۷. هى الأمم اليهوديّه من أجناس مختلفه أهمّها الخزر. ويوضّح الكاتب الأمريكى، وليم غابى مصطلح، الصهيوناريّه، بقوله بزعم الحاخامات اليهود أنّهم السلطه المطلقه فى تفسير ما يسمّونه: المعانى السريّه للكتاب المقدّس بواسطه الهام خاصّ، ولم يكن هذا الإدعاء سلطه، إلاّ إذا كان فى جمعيّه سرّيه أو أىّ وسيله، تمنع ما يتلقونه أن يكون فى موضع التنفيذ. وقد جمع عدد من كبار الحاخامات والمدّراء والحكماء منهم وقرّروا أن يؤسّسوا مجمعاً سرّياً يعمل على تحقيق أغراضهم، وأسموه: المجمع النورانى. وكلمه: النورانى مشتقّه من كلمه: اليوسفيلؤ الذى هو ابليس، وحامل الضوء. و بهذا كانت هذه بدايه العولمه.

۳- (۳) . أستاذ يسوعى للقانون فى جامعه انفولدشتات: ۳۹.

السلبيّه لهذه الظاهره، وعرّفها آخرون بتعاريف إيجابيّه، وغيرهم بتعاريف جامعه وهى الصحيحه بنظرنا، و منها:

أ). تعريف توماس فريدمان:

العولمه هى نظام عالمى جديد يُعيد تشكيل الدوله والمجتمعات والأفراد والقناعات على جميع المستويات، ويرى أنّ أحد عناصر العولمه هو السرعه التى تقاس باللحظه بدلاً من الساعه. (۱)

ب). العولمه تفاعل كوكبى:

تفاعل العولمه: تفاعل كوكبى ذو أبعاد تشمل جوانب حياه الإنسان المعاصر وشؤونه، وإن كان الجانب الاقتصادى أكثر بروزاً من العوامل المتداخله الأخرى، وقد ساعد على فرضها القوى الناشئه المتمثّله فى رأس المال الغالب الذى يحرّك الشركات المتعدّده الجنسيات التى تجاوزت بهيمنتها القوميّات، وصار لها أيدلوجيّه نابعه منها ومؤثّره فيها فى الوقت نفسه. وعرفت كذلك، بأنّها الظاهره التى تشعّ فى المحيط الكونى فارضه نفسها على كلّ مَنْ حولها مُحدِثهً تغيراً جوهريّاً فى جوانب الحياه المختلفه للإنسان سياسيّاً واقتصاديّاً وثقافيّاً... . (۲)

ج). تعريف الأمم المتحده:

وفى تعريف لبرنامج الأمم المتحده الإنمائى، للعولمه وردت العولمه: مصطلح يجمع بين وصف الظاهر وتحديد مبادئها؛ أمّا الوصف، فهو تعبير عن اتّساع وعمق التدفّقات الدوليّه فى مجالات: التجاره والمال، والمعلومات، فى سوق عالميّه واحده متكامله؛ أمّا المبادئ، فهى تحرير الأسواق الوطنيّه والعالميّه، انطلاقاً من الاعتقاد القائل بأنَّ التدفّقات الحرّه فى مجال: التجاره والمال، والمعلومات، سيكون لها أفضل مردود على النموّ ورفاه البشر. (۳)

۱- (۱) . محمّد الشوكى، أكاديمى وأستاذ حوزى فى إيران الإسلاميّه، نقلًا عن مقاله منشوره فى الإنترنت.

۲- (۲) . انظر: العولمه مالها وما عليها: ۵.

۳- (۳) . نقلت من: العولمه والممانعه، دراسات فى المسأله الثقافيه، سلسله المعرفه للجميع: ۴۲.

يبدو أنّ الذين يركزون على الجانب الاقتصادى للعولمه؛ نظراً لما ينجلى نصب أعينهم من محدّدات أساسيّه فى العولمه.

د). تعريف ليلى شرف:

العولمه هى: التحوّلات التى نعيشها اليوم، وهى تحوّلات جذريّه فريده لم يعرفها عالمنا من قبل تضافرت بها أحداث سياسيّه وعسكريّه، وعلميّه وتكنولوجيّه واقتصاديّه، وبرز تعريف العولمه ليصف هذه الظاهره. (۱)

ه). تركى حمد:

العولمه تعنى: الوحدانيّه فى القرار سواءً على المستوى الاقتصادى أو المستوى السياسى، أو على المستوى الثقافى. (۲)

و). تعريف عبد البارى الدره:

العولمه هى تطلّع وتوجه اقتصادى، وسياسى وتكنولوجى، وثقافى وتربوىّ، تذوب فيه الحدود والدول بين الشمال والجنوب، وبين الثقافات بعضها بعضاً، وتتواصل فيه الشعوب والأمّم، والدول والأفراد باستمرار وبسرعات هائله، وينشأ اعتماد متبادل فى: رأس المال والاستثمار، والسلع والخدمات، والأفكار والمفاهيم والثقافات. (۳)

ز). جيمس روزنا:

علاقه بين مستويات متعدّده التحليل: الاقتصاد والسياسه، والثقافه والأيدلوجيّه. وتشمل: إعاده تنظيم النتاج وتداخل الصناعات عبّر الحدود، وانتشار أسواق التمويل، وتماثل السلع المستهلكه لمختلف الدول نتيجه صراع بين المجموعات المهاجره والمجموعات المقيمه. (۴)

۱- (۱) . التغيّرات العالميّه وانعكاسها على الدول الناميّه؛ العولمه وأثرها على الثقافه العربيّه: ۱۵.

۲- (۲) . تركى حمد، فرهنگ بومى وجالشهى جهانى، ماهرتور ركار، نشر مركز، تهران.

۳- (۳) . العولمه وإداره التحدى الحضارى فى العالم وداره الهويّه الإسلاميّه: ۱.

۴- (۴) . من تقرير لمحطه mbc : الفضائيّه، نقلاً عن فلاح كاظم المحنه؛ ملف العرب والعولمه، مجله دراسات: ۱۳.

إذاً يبقى مصطلح العولمه بحسب هذا التعريف، مصطلح عائم ومتعدِّد الأبعاد، يشمل كلّا من: الاقتصاد، والثقافه، والسياسه وغيرها، فإذا ما نظرنا إلى مجموع هذه التعاريف الموضوعه للعولمه رأينا أنّها نظام جديد يتّجه نحو وجود مجموعه من الأنظمه المتكامله على جميع الأصعده: الاقتصاديّه، والسياسيّه والاجتماعيّه، والثقافيّه. و هى محاوله أن تسود حياه الناس على اختلاف مستوياتهم، وأقاليمهم، وقيمهم.

التعريف المختار:

العولمه عباره عن تطوّر فى سياق التطوّرات الحضاريّه التى تمرُّ بها الحضارات الإنسانيّه، تحت نطاق التطوّر الحتمى، الذى يمارسه أو يتفاعل معه الفكر البشرى، فى محاوله لتعميم هذا التطوّر على الجميع، فهى نتاج فكرى للإنسان من خلال الاستفاده من العلوم والتجارب المعاصره فى جميع المجالات.

والعولمه فى ذاتها إيجابيّه غير سلبيه، لكنَّ سوء استخدام هذه الظاهره من قبل الولايات المتّحده الأمريكيّه والدول الغربيّه بصوره غير صحيحه أدّى إلى نشوء نظره سلبيّه محيطه بها.

والحاصل:

أنّ تعريف العولمه مشتقٌّ من كلمه: العالَم، أو العالَميّه، ومعنى العالميه هو: أن تتّحد كلُّ شعوب العالم فى جميع أمورها على نحو واحد وهيئه واحده.

وعلى هذا التعريف يبقى أيضاً مصطلح العولمه، مصطلح عائم ومتعدِّد الأبعاد، يشمل كلّا من: الاجتماع، والاقتصاد، والثقافه، والسياسه.

فإذا ما نظرنا إلى مجموع هذه التعاريف الموضوعه للعولمه لرأينا أنّها نظام جديد يتّجه نحو وجود مجموعه من الأنظمه المتكامله على جميع

الأصعده: الاقتصاديّه، والسياسيّه والاجتماعيّه، والثقافيّه، و هى محاوله أن تسود حياه الناس على اختلاف مستوياتهم، وأقاليمهم، وقيمهم.

كذلك نراها عمليّه تعميم لأنماط انتاج واستهلاك، وتوزيع وتبادل ثقافى واجتماعى وأخلاقى يشمل العالم كلّه، فتكون ذات هدف معيَّن هو تعميم نمط حياه واحده محدّده عن طريق استعمال الوسائل المساعده فى نشره وبلورته كافهً، مثل: تكنولوجيا الاتّصالات، والإعلام، والمؤسّسات، والمنظمات الدوليّه، فضلًا عن الشركات المتعدّده الجنسيّه، التى أصبح لها أثر فاعل فى عمليه التعميم لتلك النتاجات.

فالعولمه ليست نظاماً محدّداً، يحمل بعداً واحداً، وإنَّما هى نظام، أو نسق ذو أبعاد تتجاوز دائره الاقتصاد.

والعولمه الآن نظام عالمى، أو يُراد لها أن تكون كذلك، فهى ذات أبعاد متعدّده الجوانب، بعضها حتمى وبعضها الآخر جائز التغير- غير حتمى - فالجزء الحتمى للعولمه هى ثوره الاتّصالات والمعلومات، بينما الجوانب هى السياسات المرافقه للعولمه، مثل: سياسه الاقتصاد العابره للحدود، وسياسات التجاره الماليّه (١).

ويمكن ملاحظه أن مصطلح العولمه قد نسب إلى مصطلح: العالم، فى موسوعه المسيرى اليهوديّه والصهيونيّه، التى تعنى: تزايد وتساقط الحدود والخصوصيّه، بحيث يصبح العالم كلّه مادّه استعماليّه واحده، ومجرّد سوق ضخمه، ويصبح البشر كائنات وظيفيّه أحاديّه البعد يمكن التنبؤ بسلوكها ووظيفتها (٢). وعندما تتلاقى وتتبع نمطاً واحداً وقانوناً عامّاً- قانون التطوّر والتقدّم الحتمى- .

١- (١) . نقلًا من الفكر الإسلامى المعاصر: ٢٣.

٢- (٢) . المصدر: ٤٣.

وحینما تهیمن الوحـدانیّه المادیّه یصـبح العالم مکوناً من وحـدات قـد تکون غیر مترابطه، ولکنها متشابهه، ما یحدث فی الواحده یحدث فی الأخری، وهذا ما أسماه ماکس فیبر ب: القفص الحدیدی. (۱)

نعم، إنّ جمیع دلالات المصطلح علی وفق هذه المفاهیم المذکوره تدّل علی الترکیز علی العالم، أی: العالمیّه التی اقترنت بها العولمه؛ وسبب هذا الاقتران والارتباط المخطّط له مسبقاً، وهو محاوله نشر العولمه اصطلاحاً وفکراً، علی جمیع أرجاء العالم، بمعنی إکسابه طابع العالمیّه بالفرض.

أمّا أسباب عدم وجود تعریف واحد للعولمه، وترجع إلی ما یلی:

۱. اختلاف التصوّرات الفکریّه والثقافیّه، لدی المعرِّفین.

۲. تعدّد التطوّرات والتصوّرات لهذه الظاهره والنظام، بین الدول المتقّدمه والدول النامیه، أو دول المرکز.

۳. الخلط الحاصل بین مفهومی العولمه والعالمیّه لدی البعض.

۴. عدم وجود تحدید دقیق لتاریخیّه هذه الظاهره وبدایتها، فهل کانت مع بدایه الأدیان السماویّه؟ أو بعد انتهاء الحرب العالمیّه الثانیه؟ أو بعد سقوط الاتّحاد السوفیتی؟ أو بعد حرب الخلیج؟

العولمه والمفاهیم المقاربه:

اشاره

إذا ما دقّقنا النظر وأمعنا الفکر فی ظاهره العولمه لرأیناها قد تداخلت مع عدد من المفاهیم الأخری، فیراودنا الشکُّ بأنّها نظیر تلک المفاهیم؛ لذا کان لابدّ من إبراز أوجه التوافق والتقاطع ما بین هذه المفاهیم والعولمه، بغیه أعطاء مفهوم واضح ودقیق للعولمه، والتی منها:

۱- (۱) . العرب و العولمه ما العمل: ۴۱۲.

أ). العالميه:

إنَّ أوّل هـذه المفاهيم المقاربه هو مصـطلح العالميّه، بوصـفها فكره تسابق البشـر إلى الـدعوه والوصول إليها على مـدى التاريخ، لإداره العالم ككيان واحد، يضمُّ جميع البشر على أساس عائله واحده، وذلك بالغاً جميع الحدود.

لكن العالميّه شيء والعولمه شي آخر من لحاظ، وهي عينها من لحاظ آخر، والفرق بينهما هو:

۱. العالميّه المشـتقّه من لفظه: العالَم، تُطلق على الكوكب، وهي في ذلك: مثل: العولمه، لكن العالميّه تشـمل كلّ ما يُمتدُّ ويتّسع متخطّيه الحواجز، لتشمل العالم كلَّه دون تفرقه وتميز (۱)، وهذه نقطه الاختلاف.

أمّـا نقطه الاـشتراك، فهي أنَّ كلاًـ منهمـا يريـد الوصول إلى أكبر بقعه ممكنه من هـذا الكون الواسع، إضـافه إلى نقاط اشتراك أخرى.

۲. العولمه تُفرَض، أو تتّم الـبرمجه لفرضـها من خلاـل العلم والإبـداع في المجالاـت والتطبيقـات التي يتحكمّ في وشائجهـا رأس المال والقوى المهيمنه (۲).

۳. العـولمه، هي مقـوله من مقولاـت الحـداثه، الـتي ارتبطت بتفوق الغرب وتوسّـعه في أرجـاء المعموره، وهي ثمره الاكتشافات والثوّرات الحديثه الجغرافيّه والاقتصاديّه، والسياسيّه.

إذاً: العولمه مقوله راهنه لمـا بعـد الحـداثه، ارتبطت بانفجـار تقنيّات الاتّصالات على نحو ضاقت معه الأمكنه وتقلّصت المسافات إلى حدِّ جعل الأرض قريةً صغيرةً (۳) والعالميّه سابقه على ذلك.

۱- (۱) . المنظمات الدوليّه الحديثه وفكره الحكومه العالميّه: ۲۲.

۲- (۲) . العولمه والهويّه: ۷.

۳- (۳) . حديث النهايات وفتوحات العولمه: ۸۹ .

۴. إنَّ العولمه غير العـالميّه من بعض الجوانب؛ إذ إنَّ العالميّه هى: تلك التى تعترف بوجود ثقافات أخرى يمكنها أن تتبادل فيما بينها أو تعترف بالتعدّد، أمّا العولمه، فتمّثل الاختراق الثقافى، والاعتراف بشيوع ثقافه واحده تعتمد على طمس الثقافات والهويات الأخرى (۱).

۵. العـالميّه طموح مشـروع، ورغبه عارمه فى الأخـذ والعطاء، والحوار والارتقاء بالخصوص إلى أىَ ّمسـتوى عالمى، أمّا العولمه، فهى إراده اخـتراق الآخر وسـلبه خصوصـيّته، لكننـا نرى الكـثير ممّن كتب حول العولمه يـدمجون مفهوم العولمه بالعـالميّه، ولم يـذكروا أىَّ نـوع من الفـوارق بينهمـا؛ بحيث يـذهب رونالـد روبرت سـون إلى عـدم الفرق بين: العولمه والعـالميّه؛ إذ يعنى بهـا: تحويل العالَم إلى مكان واحد يتسم بدرجات من الاعتماد الحضارى والمجتمعى المتبادل (۲).

لكن الصوره الواقعيّه التى لاـ غبـار عليهـا، هى تلـك الصوره التى تمثِّـل درجـات متفـاوته من الاعتماد المتبادل، الـذى يصل إلى أقصى مداه غير المتكافئ؛ لأنّ العالميّه هى عمليّه الانفتاح على العالَم، والتى تتمثّل بمحاوله نشر فكره أو عقيده أو أيدلوجيّه على مستوى عـالمى، متقبّله بـذلك الاعتراف بالرأى الآخر، أى: أنّها تتّجه، نحو سـياده قيم ومبادئ عالميّه بين الأمم، مثل: تلك التى تحملها الأديان الإلهيّه الحقّه التى تكون ذاتاً دعوه عالميّه.

وعلى هـذا نسـتطيع القول، أنّ للعالميّه تقسـيمات متعـدّده، فقد تكون عالميّه مفتوحه لا تخضع لأىّ قيد، وقد تكون عالميّه مقيّده كعالميّه الأديان أو الأيدلوجيّه (۳).

۱- (۱) . تحديات الوطن العربى فى القرن الجديد: ۱۱.

۲- (۲) . العولمه النظريّه والاجتماعيّه والثقافه الكونيّه: ۹.

۳- (۳) . المنظمات الدوليّه الحديثه وفكره الحكومه العالميّه: ۲۲.

فالعولمه تختلف عن العالميّه التی تُشيَّد بالسير علی طريق التعارف؛ تأكيداً لقوله سبحانه: يا أَيُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثی وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا ۱.

وهذا المعنی يناقض العولمه، التی تعنی: محاوله جعل العالم تحت هيمنه واحده ونظام واحد.

وقد ذهب الدكتور القرضاوی إلی أنّ مصطلح العولمه مقارب إلی مصطلح العالميّه الذی جاء به الإسلام، و فی هذا قال ربّما كان مصطلح العولمه مقارباً إلی مصطلح العالميّه الذی جاء به الإسلام، وأكّد عليه القرآن فی سوره المكيّه. (۱)، مثل قوله تعالی: وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ ۳ ، تَبارَكَ الَّذِی نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلی عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً ۴ ، إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ ۵ و قال: ولكن هناك فرق كبير بين مضمون العالميّه فی الإسلام ومضمون العولمه الحاليه، فالعالميّه فی الإسلام تقوم علی أساس تكريم بنی آدم جميعاً: وَ لَقَدْ كَرَّمْنا بَنِی آدَمَ وَ حَمَلْناهُمْ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَ فَضَّلْناهُمْ عَلی كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً ۶.

ومن أنَّ مصطلح العولمه أصبح أكثر شيوعاً من بين المصطلحات الأخری المقاربه لها، لكن الاختلاف وقع فی الفهم والمضمون.

ص:۴۳

۱- (۲) . الدكتور يوسف القرضاوی، أحد علماء المذهب السنّی، وهو مصری الأصل يقيم فی دوله قطر.

ب). الكونيه:

من المفاهيم المقاربه لهذا المصطلح مفهوم الكونيّه؛ إذ فضّل الدكتور إسماعيل صبرى عبد الله استعمال مصطلح الكونيّه بدلاً من العولمه، حيث إنّ الكونيّه من فعل الكواكب، أى: الأرض، وتعنى: التداخل الواضح للأمور الاقتصاديّه والإجتماعيّه، والسياسيّه، والثقافيّه والسلوكيّه دون اعتداد بذكر الحدود السياسيّه للدول ذات السياده،أو الانتماء إلى وطن محدود، أو دوله معيّنه، ودون حاجه إلى إجراءات حكوميّه.

ويذهب إلى القول: بأنَّ الكونيّه لم يسبقها أىّ تصوّر، أو حرّيه فكرّيه عميقه الأبعاد، تكون مثاراً للجدل بين أهل الفكر، بشكل يؤدّى إلى تأثير أهل السياسه بها، ويصل إلى أنَّ الكونيّه هى نتاج داخلى للرأسماليه المعاصره، وتتّجسد فى الشركات المتعدّده الجنسيّات (١).

ب). النشأه التاريخيّه للعولمه ومراحل تطوّرها

اشاره

إذا أردنا أن نفهم العولمه بصوره دقيقه، ينبغى استعراض النشأه التاريخيه لها، والمراحل التى مرّت بها هذه الظاهره التى غزت العالم من أدناه إلى أقصاه؛ ولذلك سوف نتناول فى هذا المحور مبحثين هما:

أوّلاً: النشأه التاريخيّه

إنّ نشأه العولمه التاريخيّه، كانت وما تزال مثاراً للجدل عند الكثير من الباحثين، فمنهم من يصفها بأنها ظاهره جديده ظهرت فى عقد التسعينات، ومنهم من يرجعها إلى عقد السبعينات، ومنهم من يرجعها إلى القرون السابقه؛ وعلّه هذا الاختلاف هو التداخل الحاصل بين العولمه والعالميّه.

۱- (۱) . الكوكبه الرأسماليه العالميّه مابعد الإمبرياليّه، فى كتاب: تحديات النظام العالمى: ۴۴- ۴۵.

فالـذين أرجعوها إلى القرون السابقه تحدثوا فى حقيقه الأمر عن العالميّه، وهذا واضح فى أطروحات الرواقييّن، فى أثينا – حوالى القرن الثـالث قبـل الميلاـد – حيـث كـانوا ينظرون إلى العـالم نظره واحـده شـامله من دون وجـود لأىّ عامـل من عوامـل التمييز والتفرقه، حيث يستند الرواقيّون إلى الفلسفه القائمه على وحده الكوكب، الذى يعيش عليه الجنس البشرى الذى يرجع إلى أصل واحد.

وكـذلك ما طرحه الرومان من نظريّه تسـتند إلى وجود قانون واحد يسـرى على جميع الناس بدون اسـتثناء، وهو القانون الطبيعى الذى يُعَدُّ دستور العالم أجمع، حيث استطاعت روما أن تخضع العالم إلى فكره الإمبراطوريّه العالميّه (۱).

إذاً: على المسـتوى النظرى نرى أنّ الرواقيّين، والرومانيّين من بعدهم هم الذين أطلقوا عالميه واحده تضم البشر جميعاً ويخضعون لقانون واحد، وهو: سياده القانون الطبيعى. (۲)

وأيضاً ما دعت إليه الأديان السـماويّه الحقّه إلى الوحـده بين الخلق وعـدم وجود التمايز الـذاتى بين جميع أبناء الجنس البشـرى، فهم متساوون فى أصل المنشأ والخلقه.

أما وجود نوع من الاختلاف بين هـذه الأديان من حيث نزعتها للعالميّه فقـد جاء متأخراً بعـد أن حُرِّفت هذه الأديان ووقفت على مزالق الهاويه، وابتعدت عن المسار الصحيح الذى إراده الله تعالى لها أن تكون عليه، فاليهوديّه بالرغم من أنّها آمنت بالتوحيد إلاّ أنّها حصرت ذلك فى نطاق

۱- (۱) . الحريّات العامّه وحقوق الإنسان: ۲۲.

۲- (۲) . الفكر الإسلامى المعاصر والعولمه: ۱۳۸.

اليهود، الذين تعدهم شعب الله المختار (۱)؛ لذلک انتفت نزعه الديانه اليهوديّه، فی حين أنّ الديانه المسيحيّه والإسلاميّه قد دعتا إلی النزعه العالميّه؛ إذ استندت المسيحيّه إلی تعاليم السيد المسيح علی وفق ما جاء فی العهد الجديد، و نادت بوحده العالَم علی أساس أنّ فکره الخلاص إنّما تشمل الجنس البشری جميعه، فی الوقت الذی کانت وما تزال الديانه الإسلاميّه عالميّه النزعه والدعوه من أوّل ظهورها، استناداً إلی تعاليم القرآن الکريم وسنّه النبی الأکرم(صلی الله عليه و آله). فقد جاء الإسلام بمنهاج شامل لأوجه الحياه کلّها، فإذا ما طالعنا القرآن الکريم وجدنا فيه الکثير من الآيات الداله علی عالميّه الديانه الإسلاميّه، مثال علی ذلک:

قُلْ يا أَيُّهَا النّاسُ إِنِّی رَسُولُ اللّهِ إِلَيْکُمْ جَمِيعاً ۲ ، وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلاّ کَافَّهً لِلنّاسِ بَشِيراً وَ نَذِيراً وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ ۳ ، وَ أَرْسَلْناکَ لِلنّاسِ رَسُولاً وَ کَفی بِاللّهِ شَهِيداً ۴ ، تَبارَکَ الَّذِی نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلی عَبْدِهِ لِيَکُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً ۵ ، هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَی الدِّينِ کُلِّهِ وَ لَوْ کَرِهَ الْمُشْرِکُونَ ۶.

فهذه الآيات ونظائرها، صريحه فی أنّ هتافات النبیّ(صلی الله عليه و آله) والخطابات القرآنيّه لم تختصّ بأمَّه دون أخری، کما أن نفس الأطروحه الإسلاميه حول الإمام المهدی(عج) أکبر دليل علی ذلک کما سوف يتبين فی الفصول الآتيه إن شاء الله تعالی.

۱- (۱) . الأصول اليهوديّه فی الکتاب الإسرائيلی: ۶۱.

أمّا محاوله رسمله العالم، فليست بفكره جديده، وإنما هى ذات جذور وأبعاد عميقه فى التاريخ، صاغها عدد من الزعماء والساسه الغربيّون، بحيث أصبحت فى كلّ مرحله تاريخيّه محدده، لابدَّ أن يكون هناك طرح جديد، لفكره قديمه، تؤطَّر بإطار جديد، مثل المرحله التى نحن بصددها، من خلال طرح وتعميم لفكره العولمه التى أثارت جدلاً كبيراً.

فى سنه ۱۹۸۵ م عندما طرح الرئيس السوفيتى السابق غورباتشوف مشروعه الإصلاحى المسمى ب- : البروستريكا لإنقاذ الإتحاد السوفياتى، من الانهيار بدأ النظام العالمى الجديد.

فقد اتجهت هذه الإصلاحات إلى مزيد من التقارب بين المعسكر الشرقى والمعسكر الغربى.

وأعطت شيئاً من الحراره للعلاقات الرأسماليّه الاشتراكيّه التى جمَّدتها الحرب البارده.

فالنظام الماركسى الذى كان يحكم الإتحاد السوفياتى، وبقاعاً أخرى من العالم، أدّى من خلال نقاط الضعف التى يحملها فى أنحائه، وهى نقاط جوهريّه إلى ظهور هذا النظام الجديد.

ويرى المفكّرون والباحثون فى هذا المجال - سواء أ كان فى النظره الكونيّه لهذا المذهب، أو النظام الاقتصادى، أو السياسى - أدّى ذلك النظام إلى حاله لا ـ تُطاق من الفقر والحرمان، بحيث عاشت المجتمعات الاشتراكيّه حاله مريره من الاختناق؛ لينتهى بعد ذلك إلى الانفجار الذى بدّد أوصال الإتحاد السوفياتى.

وفى هذه الفتره أعلن غورباتشوف خطّته الإصلاحيّه التى كانت بمثابه جرعه موت لهذا الجسم المريض، أو كانت آخر مسمار فى نعش الاتحاد السوفياتى.

وفى هذه الأعوام ومن خلال التنسيق والتعاون الذى ظهر بين الاتّحاد

السوفياتی وبین أمریکا- قائده المعسکر الغربی - تُجاه کثیر من القضایا العالمیه، والذی کان یعکس ضعف الاتّحاد السوفیاتی، ولیس إدراکه بضروره التعاون والتنسیق، بدأت تظهر ملامح نظام عالمی جدید یوشک علی الولاده قریباً، ویحلّ محلّ النظام العالمی القدیم.

وفی هذه الإثناء وتزامناً مع ولاده النظام العالمی الجدید انطلقت فکره العولمه، کمفرده من مفردات النظام الجدید وآلیه من آلیاته، وهی وإن لم تکن ولیده العقد الأخیر من القرن العشرین؛ إذ إنّها نتیجه لصیروره تاریخیّه طویله، لکنّها انطلقت فی أواخر القرن المنصرم بقوه وحراره فی الواقع العالمی.

إذاً: العولمه ما هی إلاّ لفظه جدیده لعملیّه قدیمه مستمرّه، برزت أکثر وضوحاً فی عالم أصبح بحجم قریه کونیّه صغیره متشابکه لأبعاد، ربطت بالأقمار الصناعیّه والاتّصالات الفضائیّه، وقنوات الشاشه المرئیه دولیاً.

ومن الواضح أن العولمه تحمل ملامح الظاهره الرأسمالیّه، لذا کانت العولمه تدعو إلی زیاده علاقات التبادل بین الدول علی النطاق الاقتصادی واتّساع معدلات رؤوس الأموال مع انتشار المعلومات والأفکار، فکلّ هذه الظواهر القدیمه قد بلورت الرأسمالیّه أیضاً.

إنّ استمرار هذه الملامح فی ظاهره العولمه دلیل علی العلاقه بین العولمه وما سبقها من الظواهر، کالرأسمالیّه .

ویحدِّد روجیه غارودی، هذه الظاهره قائلاً. بأنّها ولدت منذُ خمسه قرون، مع ولاده التعطش، وسکره التقنیّه، من أجل الهیمنه علی العالم والبشر (۱).

وکذلک یشیر محمّد حسنین هیکل، إلی أنّ مقوله النظام العالمی الجدید

ص:۴۸

۱- (۱) . العولمه المزعومه: ۱۷، تعریب محمّد السبیطلی.

وفكرته ليست جديده، فقد استعملت مرّات عديده فى أعقاب الحرب العالميه الأولى، استعملها ونستون تشرشل، وهو يطالب بفرض مشيئه المنتصرين على باقى دول العالم، واستعملها روزفلت، وهو يمهد لدخول أمريكا إلى الحرب العالميّه الثانيه (١).

ولعلَّ من الصحيح أيضاً أنَّ أول ظهور للعولمه الحديثه يعود إلى فتره الحرب العالميّه الأولى، من خلال لقاءات عقدها مجلس العلاقات الخارجيّه فى الولايات المتّحده الأمريكيّه، نتج عنها النقاط الأربعه التى وضعها ولسون، وقُدِّمت إلى الكونغرس والتى تدعو إلى إزاله الحواجز الاقتصاديّه جميعها بين الأمم.

وكذلك لو راجعنا الكثير من المصادر لوجدنا الاختلاف الواضح فى ذلك، حيث يرى البعض أنّ العولمه ظاهره لم تستقرّ بعد، والبعض الأخر يُؤمن بأنَّ العولمه قد وصلت فعلاً إلى غرف نومنا فعلاً.

ويذهب الدكتور عبدالبارى الدرّه إلى تسميتها بالظاهره، والحركه،ويقول:

إنّ مثل هذا التوجه العالمى كان سائداً منذ العصور القديمه والوسطى، فما سيطره الحضاره المصريّه واليونانيّه والرومانيّه على بعض أجزاء العالَم، إلّا تجسيداً لظاهره العولَمه كذلك فإن سياده الحضاره البيزنطيه والإسلاميه على أجزاء العالَم المعروف فى القرون الوسطى، يعنى سياده مفاهيم وقيم واحده. (٢)

ويرى الدكتور ذوقان عبيدات أنّ ظاهره العولمه، ظهرت فى أشكال متعدّده، منذ بدايات التاريخ الإنسانى والحضاره الإنسانيّه، فاليونانيّون حين نشروا أفكارهم الفلسفيّه، أفكار سقراط و أرسطو عُمِّمت لدى عدد من الشعوب،

١- (١) . التخلّف وإداره التنميه فى الوطن العربى والنظام العالمى الجديد: ١٢٧، سلسله ثقافه قوميّه.

٢- (٢) . العولمه والهويّه: ۵٣.

فتأثر المسلمون بهذه الأفكار وترجموها إلى اللغه العربيه، واستخدموا مصطلحات فلسفيّه كما استخدمها اليونان. (١)

ويرى بعض الباحثين ومن خلال مصطلح العولمه أنّ هذه الظاهره ضاربه فى القِدَم.

ويرى الدكتور برهان غليون، أنّها تطوّر طبيعى للحضاره منذُ أقدم الحقب التاريخيه، وانتقال تقنيات العصر إلى أرجاء المعموره، لكن الذى يميزها الآن عن الماضى، هو كثافه المبادلات بين البلدان والمناطق وسرعه انتشارها، وقطاع التمويل والعمليات الماليّه والمعلومات الثقافيّه. (٢)

وأكثر من ذلك ما ذهب إليه الدكتور حسن عبد الله العايد حول وجود إجماع على كون العولمه قديمه منذ العصور السابقه، حيث يقول:

إنَّ هناك إجماعاً على وجود عولمه قديمه، قدم تاريخ الإنسانيه، وإن تعدّدت الآراء حول بدايتها، فنحن بصدد الأخذ بالمنظور التدريجى مع التركيز على حقبه العصر الحاضر، وهو القرن العشرين وبدايه القرن الحالى (٣).

وخلاف ذلك ما ذكره عبد الحيّ زلّوم، من أنّ العولمه فكر مدروس تمَّ إيجاده بعد دراسات مستفيضه، ولكن المتتبع لتاريخ العولمه ونشأتها يجد بأنَّ حُقباً تاريخيه وحضارات فى أزمنه مختلفه تعدّ معولمه للقيم والمفاهيم وطرق الحياه المصقوله وديانات تلك الأمم.

هذه المواكبه للمفهوم الاصطلاحى للعولمه: من أنّها محاوله تعميم، لكن ما نراه فى الواقع هو محاوله مواجهه التقدّم التكنولوجى، يستفيد منها من يمتلك الوسائل جميعاً.

١- (١) . شبابنا شاباتنا أين نحن من العولمه: ١٣.

٢- (٢) . العرب وتحديات العولمه الثقافيه، نقلًا عن: أثر العولمه فى الثقافه العربيّه: ٣٣.

٣- (٣) . أثر العولمه فى الثقافه العربيّه: ٣٤.

وربّما كـان كـلَّ ذلـك نظراً لوحـده اللفـظ بين العـالميّه والعـولميّه، أمـا لو دخلنـا إلى واقع الأـمر لوجـدنا أنّ فـتره نشوء العولمه وإيجادها فى الوقت الحاضـر، هو بعـد سـقوط الاتّحاد السوفياتى، حيث بدأت أمريكا، بالعمل على القطب الواحد ومسأله الهرمّيه الأحـاديّه. وهنـا جـاء دور المنظِّرين، وانبرى صـموئيل هنجتون يحـدِّد من يكون المحفِّز للتّنِّين الأـمريكى فى تسـييس العـالم إّنه: الإسلام والحضاره الكمفوشيه، وافترض هنجتون أن يكون الصدام حتميّاً معهما.

وبـذلك يضـمن، دوام الحركه للعـالَم حول محورهـا الأعظم المتمثلَ ّفى الولايات المتّحـده الأميركيّه، وتظلُّ الولايات المتّحـده تقوم بدور المحرِّك الأساسى للعالَم ومركزه، وهو ما يساوى فى الوقت نفسه العولمه.

وكان فرانسـيس فوكاياما قد سـبق هنجتون بثلاث سنوات، حيث مشروعه المعروف نهايه العالم. ورأى فيه أنَّ كلَّ الأفكار والنظم والسـياسات تجمَّدت وتوقَّفت قـدرتها على الحياه وتركت الساحه وللقوه الأعظم: الرأسـماليه الأمريكيّه، وربّما كانت هـذه النظره هى نظره قديمه محفوره فى العقل الغربى، منذ أن جاء دارون ب- : بنظريّه النشوء والارتقاء، والبقاء للأصلح.

إذا :كـانت العولمه المولود الجديـد الـذى مهّـدت له أرحـام الحضارات السابقه على جميع المسـتويات الغربيّه، والشرقيّه، وحتى الحضارات التى أخـذت الطابع الـدينى والتى عمَّت العالَم بنسق متكامل خاصّ ّبها، وهذا أيضاً ما أثبته بول كنيدى، قطب التنظير الأـميركى الآـخر، فهو لم يشـغل نفسه بـأطروحه فوكايامـا أو نهـايه التاريـخ أو صـدام الحضارات، كما تصوَّر هنجتون، بل قصـد ترسيخ دورها فى العقل الأمريكى، وكان عليه أن يأتى بدور مكمِّل، فطرح السؤال التالى:

ماذا تصنع الولايات المتّحده فی القرن الحادی والعشرین؟

وقدَّم کتاب: الإعداد للقرن الحادی والعشرین، وهو أطروحته لإیفاد العولَمه، ولکنّه ضمن نموذجها فقط - أی: اعتبارها نموذجاً أمریکیّاً- فحسب رأیه أنَّ العولمه خرجت من رحم الإنسانیّه، وإن کان مولدها ومسقط رأسها فی الولایات المتّحده الأمریکیّه، حیث شارک فی خلق جنینها حضارات شتی وثقافات متعدّده وأعراق متباینه. وقد کانت ثمره حتمیّه لما وصلت إلیه ثقافه العالم (۱).

إذاً: نستطیع القول أنَّ أحد الأسباب الرئیسیّه لنشوء العولمه هو الحضارات السابقه بجمیع مستویاتها، وأوّل هذه الحضارات هو الدین الإسلامی، لما یحمله من ثقافه تتعارض مع الثقافه العولمیه المعاصره؛ لأنّ أمریکا لا قبل بإبقاء الشعوب علی تقالیدها الثقافیّه، إنَّ فوکایاما یحذّر الدیمقراطیات الغربیه من الإسلام لأسباب ثقافیه بالدّرجه الأولی (۲)، وهنجتون یری الشیء نفسه، ویری حتمیّه الصِدام مع الإسلام للأسباب نفسها.

أمّا بول کنیدی، فیری أن هناک تسعه مواقع إستراتیجیّه تتحکم فی حرکه العالَم منها سبعه إسلامیّه وعربیّه، ویحثُّ الولایات المتّحده علی السیطره علیها حتی تتمکّن من السیطره علی العالم. وفی هذه الفتره اشترک کلٌّ من بول کنیدی وفوکایاما فی نهایه التاریخ، حیث یری أن ثمّه اتّفاقاً بین کلّ شعوب العالم علی قبول الدیمقراطیّه واللیبرالیّه علی أساس أنّها أکثر صور الحکم عقلانیّه، إلّا فی العالم الإسلامی (۳).

ص:۵۲

۱- (۱) . العولمه والإسلام والعرب: ۱۰.

۲- (۲) . فوکایاما، أستاذ العلوم السیاسیّه، جامعه جورج مازون، فی الولایات المتّحده الأمریکیّه، نهایه التاریخ، ص۱۸۹.

۳- (۳) . المصدر ، ص۱۸۹.

فالإسلام بزعم فوكاياما، يُعدُّ أكبر عقبه أمام الديمقراطيّه والتطوّر الحالى فى أن يعمّ العالم أو يحكمه؛ لأنّ فى المسلمين نزعه عرقيّه ووطنيّه مبالغاً فيها.

كما أنّ الدين الإسلامى - بزعمه - ضدَّ التسامح والمساواه، لهذا يرى فوكاياما أن تركيا هى الدوله الوحيده فى العالم الإسلامى المعاصر التى قبلت الديمقراطيّه الليبراليّه، لأنّها طرحت التراث الإسلامى واختارت أن تقيم مجتمعاً علمانيّاً مع بدايه القرن العشرين. (١)

ولو راجعنا كتاب صدام الحضارات ل- : صاموئيل هنجتون، لرأيناه يقسّم التاريخ الحضارى للشعوب إلى ثمانى حضارات رئيسيه، هى:

الصينيه (الكونفوشيّه)، والهنديّه (الهندوسيّه)، واليابانيّه (البوذيّه)، والإسلاميّه (الإسلام)، والأرثوذكسيّه (روسيا وشرق أوربا)، والغربيّه (الكاثوليكيّه البروتستانتيه)، والإفريقيّه (إفريقيا السوداء)، واللاتينيّه (أمريكا الجنوبيّه) (٢).

ويؤكِّد هنجتون على أنَّ الدِّين قاعده، أى: حضاره من هذه الحضارات، سواء كان ديناً سماويّاً (الإسلام - المسيحيّه)، أو وضعيّاً (الكونفوشيّه والبوذيّه)، بمعنى: أنَّ الاعتقاد الدينى مؤسِّس الحضارات وباعث الصدام فيما بينها.

ومن هذا المفهوم ينطلق ليبثَّ فكره بترسيخ مقوله فحواها:

إنَّه يقدِّر وعى أهل كلَ -حضاره من الحضارات، لمعتقدهم الدينى، وتعصبهم له يكون تهيئهم للصّدام.

ولهذا يقول للعالم بخطاب تحذيرى:

إنَّ الإسلام وعى دون تماسك، وإنهَّ إذا تماسك المسلمون سيكون

ص:٥٣

١- (١) . المصدر.

٢- (٢) . المصدر.

خطراً على العالَم، فهم أوعى أصحاب الديانات لدينهم، ولا يحول بينهم وبين الصدام إلّا التفكك والضعف (١).

إنّ خطوره الإسـلام حسب وعى هنجتون تكمن فى وعى المسـلمين للإسـلام، وحبّهم لـه، وفى فقر المسـلمين وخصوبتهم، الانجذابيّه التى تـدفعهم حتماً إلى الصـدام مع جيرانهم فى خطوط التقسيم الحضارى، وتحدث فروقاً ثقافيه قويّه ذات تأثير قوى فى رفض كـلَ ّ أسـاليب الغرب ونظمـه السياسـيّه والثقـافيّه والاقتصـاديّه، وتهديـده الحضـاره الغربيـه الـتى قـامت على أسـاس الديمقراطيّه (٢) التى بنظره تستطيع استقطاب كلّ الحضارات إلّا الإسـلام: لأنّه بنظره يقسِّم العالَم إلى: دار السلام ودار الحرب، ولهذا ينصح الغرب فى سياسته مع العالم الإسـلامى أن يستخدم موارده الاقتصاديّه ببراعته بأسلوب الجزره والعصا فى التعامل مع هذه المجتمعات .

وفى جميع ذلك كان الإسـلام من ضمن الأسباب التى عملت على تعجيل ولاده العولمه الجديده، لما يحمله من مفاهيم ومبادئ تخالف ما جاءت به الأديان الأخرى والمذاهب والرأسماليّه، بحسب نظره هو.

وما يحمله المسلمون من قيم ومبادئ وثقافه عالميّه، ستكون مستقبلاً حاكمه على كلَ ّ العالم.

إذا : بعـد هـذه النشأه والولادـه القـديمه الحـديثه لمصـطلح العولمه شـاع صـيته وصـبت المصـطلحات الأخرى المقارنه له، مثل: الكوكبه والكونيّه و الشموليّه، وهى المفردات الأكثر شيوعاً وانتشاراً فى السبعينات من القرن العشرين.

أمّا بدايه ظهور العولَمه، فقد تحدّد بأواسط السبعينات عندما صدر كتاب

ص:۵۴

١- (١) . صدام الحضارات، ترجمه طلعه الشايب: ١٨٩.

٢- (٢) . المصدر: ١٨٩.

مارشال ماك (١)، وإنْ لم تصل إلينا إحداث هذه الظاهره إلّا فى السنوات الأخيره من القرن الأخير. وأصبح مصطلح العولمه أكثر شيوعاً فى مؤسّسات إداره الأعمال من خلال انطلاق الدور الذى لعبته الشاشه المرئيّه أثناء حرب فيتنام، واستنتج الكاتب بأنَّ الشاشه الصغيره التى حولت المشاهدين من مجرّد مشاهدين إلى مشاركين فى لعبه الحرب، الأمر الذى أدّى إلى اختفاء الحدود بين المدنيّين والعسكريّين، وأصبح للإعلام الألكترونى فى وقت السلّم محركاً للتغير الاجتماعى (٢).

وقد أعطى التطوّر الهائل فى مجال وسائل الاتصال لهذا المصطلح وهذه الظاهره مصداقيّه القضاء على الحواجز والمسافات التى يصعب اجتيازها فى الماضى. وشاع فى نفس الوقت شعار ثوره الاتّصالات التى تغلّف موت الأيدلوجيات وتتبع الفرص لنشوء المجتمعات الجديده التى تسود فيها العناصر الأساسيّه لفكره العولمه، مثل: العلاقات المتبادله بين الأمم سواء المتمثّله فى تبادل السلع والخدمات فى تأثر أُمَّه بقيم وعادات غيرها من الأمم، وإن كانت كلُّ هذه العناصر يعرفها العالم منذ بدايه الكشوفات الجغرافيّه، فى بدايه القرن الخامس عشر الميلادى، أى: منذ خمسه قرون ونصف تقريباً، وإن كانت بطور تدريجى وليست بذلك الحجم المعروف اليوم والكم الهائل فى الوقت الحالى.

إذاً: فالظاهره موجوده منذ القدم، ولو كانت منذ خمسه قرون ونصف على الأقل، وبدايتها ونمّوها مرتبطان ارتباطاً وثيقاً بتقدم تكنولوجيا الاتّصال والتّجاره، منذ اختراع البوصله حتّى الأقمار الصناعيه، نعم، وإن كانت النشأه الواقعيّه للعولَمه بحسب التعاريف اللغويّه، ترجع أصول الظاهره هذه إلى

ص:٥٥

١- (١) . نقلاً عن كتاب: بدايات العولمه.

٢- (٢) . العرب والعولمه شجون الحاضر وغموض المستقبل: ٢٠.

تواريخ وعصور الديانات السماويّه، وأهمّها الإسلام الذى شكلَّ ظاهره عالميّه من خلال تأكيده على إشاعه عالميّه الدعوه التى لا تفرِّق بين جنس وآخر، ولاـ بين لون وآخر، نابـذهً كـلَّ عناصـر الفرقه والتمييز بين البشـر، إلاّ أنّه من المهمّ إدراك هـذه الحقيقه والتأكيد عليها.

لقـد أخـذت الأوضاع العالَميّه منـذ منتصف الثمانينات وبالتحديد منذ عام ١٩٨٥م – عنـدما صـعد ميخائيل غورباتشوف إلى سدّه رئـاسه دوله الحزب الشـيوعى السوفيـاتى – تتغير بشـكل متسـارع بعـد إملاـئه سـياسه إعـاده البناء والمكاشـفه، ليـدخل علينا عقد التسـعينات بحـديث جديـد عن وضع عالمى جديـد، يرتبط بما يحـدث من تغيرات على موازين القوى بين الدول الكبرى، وعلى التكتلات الـدوليّه وما يترتّب على ذلك من بـدايه لوجود خلل فى التوازنات بين القوتين العظميين. وما أن بدأ الاتّحاد السوفياتى يتخلّى عن حلفـائه، ومرّر أكثر نفوذه الإـستراتيجى فى آسـيا، وإفريقيا، وأمريكا اللاتينيه، ثمّ ما حـدث بعـد ذلك عام ١٩٨٩م من انتفاضـات، ومن تفكيـك الاتّحاد السوفياتى، وخروجه من دائره الـدول العظمى والحـداثه إلى دائره التراث المفهوم الرئيسـى فى الثقافه الكونيّه والقوميّه، والكونيّه للحداثه فقد بدأ رسم خّطاً بيانيّاً لمراحل تطوّر العولمه وامتدادها عبر القرون الماضيه.

ثانياً: مراحل تطوّر العولمه

إنَّ نقطه الصـفر – البـدايه – لبـدايات العـولمه عنـد روبرتسـون، هى ظهـور الـدوله القوميّه الموحَـدَّه، ومن ثَمَّ قسَّم مراحـل تطوّر العولمه إلى خمس مراحل:

المرحله الأـولى: المرحله الجينيّه، وبـدايتها منـذ القرن الثـانى عشـر، حتّى منتصف القرن الخـامس عشـر، وهى التى شـهدت نموّ المجتمعات القوميّه.

المرحله الثانيه: وهى مرحله النشوء، من منتصف القرن الثامن عشر حتّى

عام ۱۸۷۰م، وما بعده وشهدت العلاقات بين الدوله والفرد والدستور والعلاقات الدوليه (المجتمع الدولى).

المرحله الثالثه: مرحله الانطلاق، بدأت من عام ۱۸۷۰م حتّى العشرينات من القرن العشرين، واتسعت بظهور الأفكار الكونيّه فى السياسه، والرياضه والاقتصاد.

المرحله الرابعه: مرحله الصراع من أجل الهيمنه، من العشرينات حتّى الستينات من القرن العشرين، وشهدت الحروب الكونيّه والصراعات، ثمّ ظهور الأمم المتحده.

المرحله الخامسه: مرحله الظهور الكامل، وبدأت من الستينات حتّى أواخر القرن العشرين، وهى مرحله التقدُّم العلمى والفنّى الهائل، والهبوط على القمر، وعصر ثوره الاتّصالات، ..الخ (١).

وقد قسّم البعض مراحل تكون العولمه إلى ثلاث مراحل هى:

المرحله الميركتاليّه والرأسماليّه التجاريّه ۱۵۰۰-۱۸۰۰، و المرحله الصناعيّه ۱۸۰۰-۱۹۵۰، و المرحله الرأسماليّه المعاصره ۱۹۵۰م إلى الوقت الحاضر (٢).

وإذا ما مررنا بهذه المراحل وجدنا أنّ الرأسماليّه، مازالت فى تطوّر مستمرّ لعمليّه الانتاج مع متطلّبات كلّ مرحله من المراحل التى مرّت بها، والدور الذى يتطلّب لوسائلها وأساليبها. إذاً: يمكن اعتبار العولمه ثمره من ثمار الرأسماليّه (٣).

إنّ عمليّه العولمه قد تباطأت وأعيقت نتيجه شهودها لحربين عالميّتين -الأولى والثانيه- وقيام الثوره البلشفيه، التى أدَّت إلى ظهور السوفيّتيّه، كقوى عظمى وتناميها، ونهايه مرحله الكولونياليّه ومحاوله عدد من المستعمرات المحافظه على أسواقها ومصادر صناعاتها، الطبيعيه، ثمّ قيام الحرب البارده

١- (١) . العولمه مالها وما عليها: ۴.

٢- (٢) . المصدر: ۴.

٣- (٣) . الفكر الإسلامى المعاصر: ۴۲.

بين المعسكرين، الرأسمالي والاشتراكي التي مرّت بها العولمه حتى أصبحت في يومنا هذا عباره عن المراحل التاليّه (۱).

المرحله الأولى: بدأت في القرن الثالث عشر الميلادي، حيث نشأت العولمه نتيجه إفرازات لأفكارمن الدين المسيحي وزياده سلطه الكنيسه، وبدايه الحديث عن وحده العالم ووحده الإنسانيّه.

المرحله الثانيه: بدأت في منتصف القرن الخامس عشر حين بدأت الدوله تتحدَّث عن العلاقات الدوليّه والقانون الدولي، وبدايه الحديث عن ضروره احترام جميع الدول لمبادئ القانون الدولي.

المرحله الثالثه: بدأت في القرن التاسع عشر وامتدَّت حتّى منتصف القرن العشرين، حيث شهدت الإنسانيّه اختراعاً وتقدّماً في المواصلات والاتّصالات، كما شهدت حروباً كثيرةً شاركت فيها دول كثيره.

المرحله الرابعه: وقد امتدّت من منتصف القرن العشرين حتّى السبعينات من هذا القرن، وهي مرحله ظهور عصبه الأمم المتّحده، والتنافس بين دول العالم للوصول إلى القمر والتهديد بالحروب النوويّه.

المرحله الخامسه: وهي المرحله التي نشهدها حالياً والتي تمثّلت بانتهاء الحرب البارده، وولاده الشركات عابره القارّات والشركات متعدّده الجنسيّات وسياده الأمم المتّحده أو دوله واحده في هذا العالم، بعد سقوط الاتّحاد السوفياتي.

نعم، ربّما تكون المراحل الآنفه الذكر قد شكّلت مراحل تطوّر العولمه على الصعيد السياسي أكثر منه على الصعيد الاقتصادي والصناعي، والتي تمثّل التطوّر الحقيقي لأدوات العولمه الحاليّه، ويعزّز هذا القول، هوان التكنولوجيا بتوجهها العالمي وتجاهلها للحدود والفوارق والمميّزات

۱- (۱) . العولمه والهويّه، جريد المستقبل العربي، العدد: ۱۳۳/ ۲.

والخصائص تجتاح الحواجز، وتفرض واقعاً أيدلوجياً جديداً، أقرب إلى القريه العالميّه، أو ما يسمى ب- : القريه الكونيه، والكوكبه الواحده، خاصّةً ما طرحته الثوره الصناعيّه فى ميدان الاتّصالات والمواصلات. ومن القضاء على سطوه الزمان والمكان، لكن هناك من يرى أنّ العولمه، مرّت بمسارين عبر عمليات التدويل (۱) خلال حقبتين اثنتين، الأولى: فى السنوات الأخيره من القرن التاسع عشر وبدايه القرن العشرين مرحله بزوغ الإمبرياليّه.

والثانيه: بعد الحرب العالميّه الثانيه، حيث واكب ارتفاع توسع المبادلات التجاريّه والدوليّه، وانتقال رؤوس الأموال عبر الحدود الوطنيّه، فهذه مجموعه من المراحل التى مرّت بها العولمه حتّى وصلت إلى زماننا الحاضر.

الآليّات والاتّجاهات العولميّه:

اشاره

العولَمه كما أسلفنا، هى منظومه متكامله يرتبط فيها الجانب السياسى بالجانب الاقتصادى، والجانبان معاً يتكاملان مع الجانب الاجتماعى والثقافى، بحيث لا يكاد يستقلّ جانب منها بذاته، وعلى هذا الأساس، فإنّ العولمه الثقافيّه هى ظاهره مدعومه دعماً كاملاً ـ بالنفوذ السياسى والاقتصادى الذى يمارسه الطرف الأقوى فى الساحه الدوليّه، والعولمه السياسيّه دخلت أيضا بدوافع اقتصاديّه وسياسيّه وثقافيّه كذلك.

إذاً: لهذه الظاهره أقسام، منها: العولمه الاقتصاديّه، والعولمه السياسيّه، والعولمه الثقافيّه.

وفيما يأتى نقوم بتوضيح كلّ قسم من هذه الأقسام، وبيان الآليّات المعتمد عليها فى كلّ قسم منها، مع بيان النظريّات الخاصّه بها، ومن ثَمَّ عرضها على القرآن الكريم مع عرض النظريّه القرآنيّه.

۱- (۱) . تحدّيات عولمه الاقتصاد والتكنولوجيا فى الدول العربيّه: ۹.

أوّلاً: الآليّات العولميّه:

لقد حاولت العولمه أن تتّخذ من تطور الفكر الإنسانى المعاصر- والذى ربّما كان نتيجه تكامل المجتمعات الإنسانيّه بصوره طبيعيّه- كمبدأ لعرضها وانتشارها، وهذا ممّا لم يعهد فى الحضارات السابقه، فدخلت القوى الرأسماليّه الفاعله فى النظام الدولى.

ومن خلال هذا الباب، أن تحقّق عولمه العالم، اقتصاديّاً، وسياسيّاً، واجتماعيّاً، وفكريّاً، وثقافيّاً، بل حتّى عسكريّاً، وذلك عبر مجموعه الآليّات والوسائل التى تتلخّص فى:

١. المؤسّسات النقديّه والماليّه الدوليّه.

٢. منظمه التجاره العالميّه.

٣. الشركات المتعدّده الجنسيّات.

۴. حلف شمال الأطلسى.

۵. المنتدى الاقتصادى العالمى.

١. المؤسّسات النقديّه والماليّه الدوليّه:

إنّ مؤتمر بريتون وود الذى حضرته ۴۴ دوله، تمّ فيه إنشاء صندوق النقد الدولى لتنظيم العلاقات الدوليّه، وكذلك البنك الدولى للإنشاء والتعمير لتنظيم العلاقات الدوليّه الماليّه، وذلك فى ٢٢تموز عام ١٩۴۴ (١).

أمّا البنك الدولى، فتأسّس لأعادّه أوربا الغربيّه، وبنائها بعد الدمار الذى حلَّ بها جرّاء الحرب العالميّه الثانيّه.

فكلٌّ من المؤسَّستين كانت تسعى لتثبيت ركائز العولمه التى تحقّق معدلات نموّ ماليّه لدول الشمال تاركهً الجنوب يغرق فى الديون التى أثقلت عاتقه.

ص:۶٠

١- (١) . الفكر الإسلامى المعاصر والعولمه: ۵٧.

ويصف صندوق النقد الدولى العولمه بأنها:

اعتماد اقتصادى متبادل ومتنامٍ لجميع بلدان العالَم التى تبحث عن تنوع الثقافه، وتزايد الصـفقات عابره الحدود للموّاد والمنتجات والخدمات والتدفّقات الدوليّه لرؤوس الأموال فى الوقت الذى يتمّ فيه الانتشار المتزايد للتكنولوجيا (١).

وممّا يـدلُّ على تغيير سـياسات هـذه المؤسّـسات الـدوليّه على وفق ومضامين الليبراليّه المعاصـره هو ما جاء على لسان أحد خبراء البنـك الـدولى، من أنّ الوضـعيّه القـديمه للبنك مسـتمرّه بأساليب جديـده وبرؤيّه مغايره، حيث كان البنك يؤكّـد على إقراض الدول، أمّا الآن، فيركزّ على إقراض القطاع الخاصّ (٢).

وعلى هـذا الأسـاس فإنَّ المؤسّـسات الـدوليّه أصبحت آليّه لما تنطوى عليه العولمه من مفاهيم، وجعلها وقفاً مفروضاً على جميع دول العالم.

ونتيجه لذلك أصبح هذا التباين الحالى بين الدول الناميه المسيطره من جهه والدول الفقيره من جهه أُخرى.

إذاً: فالصـندوق والبنك الـدوليّان، ما هما إلاّ أداتان رئيسـتان من أدوات الهيمنه والتبعيّه الاقتصاديّه للدول الصـناعيّه، وهما آليتان قـديمتان اسـتعملتا سابقـا للغرض نفسه، إلاّ أنّهمـا خلال العقـد الأخير من القرن العشـرين جرى اسـتحداث وتجديـد وسـائلهما وأساليبهما على وفق التطوّرات العالميّه، وبشـكل ينطلق مع مسار انطلاق العولمه محاولةً ترسيخ مبادئها وتثبيتها بشكل قسرى على جميع بلدان العالم.

٢. منظمه التجاره العالميّه:

إنّ النظام العالمى الجديد الذى أقيم بدعوه من جورج بوش فى آذار

ص:٦١

١- (١) . المصدر: ٥٧.

٢- (٢) . الخير الدولى، البنك الدولى يُعيد هيكليّه سياسته: ٤٣.

١٩٩١م كـان يرتكز على دعـامتين، الصـندوق والبنـك، ولمـا كـان بحـاجه إلى دعـامه ثـالثه تـمّ إنشـاء منظمه التجـاره العـالميّه، فى ١٩٩٥/١/١م.

وقـد تمخضت عن المراحـل النهائيّه لمفاوضات جوله ارغواى الثامنه فى إطار اتّفاقيّه اللغات فى المطلع الثالث لمؤسّـسات بريتون وودز ليتمثـل هـدفها فى تمكين الـدوله العضو فى الاتّفـاق من النفاذ إلى بقيّه الأسواق للـدول المتعاقـده، وبما يحقّق التوازن بين الحمايه للانتاج الوطنى واستقرار التجاره الدوليّه (١).

ومن هنا اتّضح أنّ هذه الاتّفاقيّه استهدفت مجال التجاره الدوليّه لمحاوله القيام بإزاله جميع العوائق الجمركيّه لتوسع حجم التبادل التجارى، ولمعاوده تحريك الاقتصاد بعد الحرب العالميه الثانيه.

وبهـذا قامت المنظمه التجاريّه كمكمّل ثالث للبنك الدولى وصـندوق القرض الدولى؛ لأنّها جعلت أسواق الدول الناميّه مفتوحه أمام السـلع والخدمات الأجنبيّه، بشكل يؤثّر فى سيادتها وهو تعبير عن غزو جديد متمثل بتنميط أذواق شعوب البلدان الناميّه على وفق نمط واحد (٢).

٣. الشركات المتعدّده الجنسيات:

إنّ الآليّه الثالثه من آليات انتشار العولمه هى الشـركات المتعـدّده الجنسـيات، وسـمّيت هذه الشـركات بهذا الاسم لكونها تتعدّى الحدود القوميّه للدول ذات السياده (٣). وهذا ممّا زاد نفوذ هذه الشركات فى حقبه ما بعد الحرب الثانيه، إذ استطاعت أن تتحوّل إلى قوّه من القوى الحاكمه والمتحكِّمه والمتنفذه بمجرى التطوّرات الاقتصاديّه والسياسـيّه فى العالم المعاصـر، فهذه الشركات لا تبقى فى البلد الأمَ، وإنّما تنطلق لتحقيق

١- (١) . الفكر الإسلامى المعاصر وعلاقتها بالعولمه: ٥٧.

٢- (٢) . رؤيه مستقبليّه فى الاقتصاد والسياسه:١ /١٠٨.

٣- (٣) . سمير أمين، بعض قضايا المستقبل.

استثماراتها فی خارج حدودها کونها قادره علی تحقیق معدلات الربح فی الخارج أکثر من معدلات الربح فی داخل وطنها الأمّ.

وقد شهدت هذه الشرکات توسعاً هائلاً خلال السنوات من ۷۰۰۰ شرکه فی عام ۱۹۵۵ إلی ۳۷۰۰۰ شرکه فی ۱۹۷۰ تعمل خلال ۲۰۰۰۰۰۰ فرع - وتضاعفت مبیعاتها مابین ۷۰ تریلیون دولار مابین عام ۱۹۸۰-۱۹۹۲- فزادت من۴/۲تریلیون دولار إلی۵/۵ تریلیون دولار.

وأغلب الشرکات العالمیه هی من الدول الصناعیّه المتقّدمه والرأسمالیّه التی تدعو إلی الانفتاح الاقتصادی، والأخذ باقتصاد السوق کآلیّه للعولمه الاقتصادیّه سعیاً إلی معدلات النمو والربح الفاحش، کما أصبحت القوّه الدافعه لمنظومه العولمه علی الدوام (۱).

قال جوزیف کمبلی:

إنّ تزاید قوّه وهیمنه الشرکات المتعدّده الجنسیّات دفع بمیزان القوّه فی العالم إلی أنّ یتحرّک علی نحوٍ ثابت لمصلحه هذه الشرکات فی الوقت الذی تتجرّد فیه الدوله من سلطتها، فی ممارسه الحکم (۲).

وقال الفیلسوف الاقتصادی الألمانی وولف جانح ساجس:

إنَّ أسوأ ما یمکن تصوّره، وحصوله هو أن تنجح مساعی العولمه؛ لأنّ المستفید منها أقلیّه صغیره، محاطه بمجموعه لها علاقات اقتصادیّه مع هذه الأقلیّه، أمّا بقیّه البشر فلیس لهم إلاّ أن یقاتلوا.

فلیست العولمه نادیاً للجمیع یمکن أن یدخله الغنّی للبحث عن فرص الاستقواء، ویدخله الفقیر للبحث عن فرصه غنّی، بل نادیاً یدخله الأغنیاء والأقویاء، ولا یدخله سواهم (۳).

۱- (۱) . العولمه رقاب کثیره وسیف واحد.

۲- (۲) . الشرکات المتعدّیه الجنسیّات والعولمه: ۱۲۴.

۳- (۳) . العولمه وتحدیات المواجهه: ۱۳.

إنَّ المحرّكين للعبه العولمه يضعون جلَّ اهتماماتهم ومستقبل تحقيقها بأيدى هذه الشركات لمالها من قدره بعيده المدى عميقه الأهداف متخطيّه القريب والبعيد، ساعيه إلى ترسيخ الرأسماليّه المعاصره فى جذور الكون وتثبيتها.

۴. حلف شمال الأطلسى:

إنَّ المحرِّكين لعمليّه العولمه، أعادوا تركيب أكبر وأضخم تحالف عسكرى غربى كقوّه غيَّرت مسار اتّجاهاتها من الموقف الدفاعى فى حقبه الحرب البارده، إلى الموقف الهجومى، كلُّ ذلک يخدمها كقوّه عسكريّه متناميّه، لمصالح الدول الصناعيّه، لاسيّما لولايات المتّحده الأمريكيّه، المستفيد الأكبر من بقاء هذا الحلف (۱).

لقد كان تأسيس حلف شمال الأطلسى سنه ۱۹۴۹ م حينما كانت الفوضى هى أبرز سمات النظام السياسى بعد الحرب العالميّه الثانيّه، بهدف الدفاع عن أوربا الغربيّه، وتشكَّل ليشمل عضويّه كلٍّ من: كندا وبلجيكا، واليونان والدانمارک، وأيسلندا وإيطاليا، ولوكسمبورج وهولندا، والبرتغال وبريطانيا، وألمانيا الغربيه وتركيا، وأسبانيا.

إنَّ ما حصل هو تعالى أصوات كلٍّ من الولايات المتّحده الأمريكيّه ودول غرب أوربا، بضروره بقاء الحلف وعدم حلِّه، وأكّدوا أنَّ الحلف من شأنه أن يؤدّى إلى استقرار أو منع قيام صراع بين دول أوربا الغربيه، وهذا يعنى استمرار الأثر القيادى الأمريكى.

فالناتو أصبح الأداه الرئيسيّه لضمان النفوذ الأمريكى فى الشؤون الأوربيّه، وتهدف الولايات المتّحده الأمريكيّه من الاحتفاظ بالناتو فى سبيل استمرار قيادتها للعالم، إذ جاء على لسان وزير الدفاع الأمريكى وليام كوهن، من ضروره المحافظه على قوّه الولايات المتّحده الأمريكيّه

۱- (۱) . العلم المعاصر والصراعات الدوليّه: ۳۳.

فی جمیع المیادین بشکل لا یضاهی (۱)، أی: أنّها تسعی إلی القیاده التی تکون فوق کلّ شیء.

إنّ معظم ما یحصل من تغیّرات وأحداث عالمیّه، وخطط هو لصالح أمریکا وحلفائها، وإلّا علی ماذا تستند لاستمرار حلف الناتو، بعد سقوط منافسها الذی کان یقلقها، وهو الاتّحاد السوفیاتی؟

إنَّ استعمال الولایات المتّحده للحلف - لاسیّما بعد توسّع حدوده الجغرافیّه لضمّ أوربا الشرقیّه - کأحد أبعاد العولمه.

ولعسکره العولمه، أصبح الناتو الآلیه العسکریّه لنشر العولمه، عبر إضفاء طابع مؤسّس علی التحالف الغربی بقیاده الولایات المتّحده الأمریکیّه، ولیس قیامه مجرّد حلف عسکری مثلما کان أثناء الحرب البارده (۲).

إذاً: عسکره العولمه عن طریق حلف الناتو جعلت هذا الحلف فوق سلطه مجلس الأمن کقوّه عسکریّه بدیله لحکم القانون.

۵. المنتدی العالمی (دافوس):

وهؤلاء هم الفاعلون الجدد الذین یقومون بدعم العولمه والسیر بها قدماً، عن طریق القبض علی جمیع اللقاءات والاجتماعات الدولیّه، فمنتدی الاقتصاد العالمی فی دافوس، بسویسرا، هو الذی تکون فیه اللقاءات السنویّه للتفاوض ومناقشه جمیع القضایا التی تشهدها الساحه الدولیّه، وفی اجتماعهم الأخیر جعلوا العولمه أهمّ قضایاهم المطروحه، وفی کیفیّه توظیف الاقتصاد فی خدمه السیاسه، بحیث یحقّق هذه العملیّه بصوره أسرع، حاولوا جذب اهتمام الآخرین للعولمه عن طریق إبراز محاسنها بمالها من قدره علی التحوّل إلی عنصر فاعل وضاغط.

۱- (۱) . الفکر الإسلامی المعاصر وعلاقته بالعولمه: ۵۷.

۲- (۲) . المؤتمر القومی العربیک۱۲۱، ۲۵۵، أیار، ۲۰۰۰ م.

ثانیاً: الاتّجاهات العولمیّه:

أخذت العولمه المعاصره اتّجاهات عدَّه وأشكالاً متنوعه، دخلت من خلالها إلی أكثر المجتمعات - إن لم تكن جمیعها - فبدأت هذه المجتمعات بالارتباط فیها والتغیر معها، إیجاباً أو سلباً.

ونحن وفی سبیل المقارنه بین العولمه، والعالمیّه فی الإسلام أو العولمه الإسلامیه، لابدّ لنا من معرفه الأبواب الرئیسیّه التی دخلت العولمه من خلالها إلی هذا العالم، ولمّا كانت أبواب العولمه كثیره ومتعدّده للغایه، وربّما لا نستطیع حصرها، وذلک للتطوّر المستمرّ فیها،ولذلک سوف نقوم بمناقشه بعض الأبواب المهمّه والرئیسیّه فیها، والتی هی بنظرنا العولمه الثقافیّه والعولمه السیاسیّه، وإلیک تفصیلها أو نبذةً عنهما.

العولمه الثقافیّه

اشاره

حَضیِت الثقافه فی العصور الحدیثه بتعریفات متعدّده، بقدر المساحه التی تغطیها النشاطات الثقافیّه، وتتّسع كذلک لتشمل كلَّ نواحی الحیاه الاجتماعیّه وما تستبطنها أیضاً.

وبعد التأكید علی هذا الجانب. أو ذاک حصلت تعریفات متعدّده مختلفه ومتمیزه بعضها عن البعض الآخر، وتتردَّد هذه التعریفات بین مفهوم ضیِّق للثقافه، بحیث یجعلها مقتصره بالدرجه الأولی علی النشاطات العقلیّه العلیا، أو علی الانتاج الذهنی، سواء كانت علی المستوی الشعبی أو علی المستوی الرسمی، الحیّه أو الموروثه، وبین مفهوم ثالث أكثر شمولاً یحاول أن یربط الثقافه بكلّ النشاطات الذهنیّه، والجسدیّه التی تخلق لدی جماعه معیّنه بطریقه متمیّزه فی السلوک والحیاه.

ولأجل إيضاح معنى الثقافه العالميّه، التى أخذت المحاولات الغربيّه تشيعها فى أرجاء المعموره جميعها مع بدايه تداعيات وتجليات الوضع الدولى الجديد، ولإبراز الموقف الإسلامى المعاصر الذى يؤكّد دوماً على خصوصيّه الثقافه الإسلاميّه، كان لزاماً علينا أن ندخل فى المعانى اللغويّه والاصطلاحيّه للفظه العولمه الثقافيّه، والبحث فى آلياتها:

الثقافه لغهً واصطلاحاً:

اشاره

والآن نتناول تعريف الثقافه لغهً واصطلاحاً، ومن ثَمَّ نذكر الثقافه فى الإصلاح العولمى المعاصر.

۱. الثقافه فى اللغه:

لقد تمَّ اشتقاق لفظه الثقافه من الفعل ثقف، الذى ورد فى معانى متعدّد، وأماكن متباينه فى القرآن الكريم فى الكثير من آياته المباركه التى جاءت جميعها تحمل معنى: وجد، مثل آيه: وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۱ ، فَخُذُوهُمْ وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۲ ، يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْداءً ۳ ، فَإِمّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۴ ، ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّهُ أَيْنَ ما ثُقِفُوا ۵ ، مَلْعُونِينَ أَيْنَما ثُقِفُوا أُخِذُوا وَ قُتِّلُوا تَقْتِيلاً ۶ .

فی حین ورد أنَّ الثقافه من الفعل:

ثقف، ثقف الشیء ثقفاً، وثقوفه:حذقه.

ورجل ثقف: رجل حاذق الذهن.

کما یُقال: ثقف الشیء وهو سرعه التعلّم.

وثقف الرجل ثقافه: صار حاذقاً (۱).

وقال الزمخشری:

الثقافه من الفعل ثقف.

وثقفت العلم أو الصناعه إذا أسرعت أخذه.

وفلان من أهل المثاقفه، وهو مثاقف، حسن الثقافه بالسیف.

ولقد تثاقفوا فکان الحقّ أثقفهم (۲).

إذاً: تأتی لفظه العولمه بمعنی: وَجَدَ فی الکثیر من معانیها.

۲. الثقافه اصطلاحاً:

عُرِّفت الثقافه بأنّها منظومه معرفیّه سلوکیّه منتقاه تشمل العقائد وکلَّ ما یصفه الإنسان بالحیاه بما یحقِّق به وجوده ورأُیه، والتعبیر عن ذلک بمختلف النشاط الإنسانی (۳).

إنَّ الثقافه صوره حیّه لها حدود تحدِّد ملامح شخصیّتها وتصدر عن عقیدتها ومبادئها ونظمها وتاریخها وتراثها، وتتفاعل مع الثقافات والأمم والشعوب الأخری،

وتقبل الأفکار والعلوم والفنون المختلفه المنظوره، وتتفاعل مع ما یلائمها، وترفض ما عداه ممّا فی الخطه الشامله للمنظومه العربیّه: إنَّ الثقافه بالمعنی العربی الأصلی للکلمه، تعنی: سرعه التعلم والحذق والفطنه، وثبات المعرفه بما یحتاج إلیه المرء.

۱- (۱) . لسان العرب: ۹ / ۱۹.

۲- (۲) . أساس البلاغه: ۹۵.

٣- (٣) . الخطّه الشامله للثقافه العربيّه، المنظمه العربيّه لتربيّه والثقافه: ١٢.

وقـد تعـدّدت الكلمه وتنوعت بالمعنى الأنتربولوجى، فهى مفهوم يشـمل كلّ الفعّاليّات لرفض التقبل السـلبى للطبيعه وهو الثقافه, اعتباراً من أبسط السلوك الإنسان البدائى حتّى العصر الإلكترونى (۱).

ويـدخل ضـمن هـذا المفهوم الثقـافه كـلّ مـا تنتـج البشـريّه من الحياه من انتاج مادّى وغير مادى - معنوى - سواء أكانت تراكم خبرات، أم ممارسات فكريّه، أم تصوريّه ناتجه من عقائد روحيّه، أم صنع أداه من الأدوات، أم من إضافات جديده (۲).

وكذلك ما قالته الدكتوره سلوى العمد:

من أنّ مصـطلحى: ثقافه ومثقّف فى الوجدان الإسـلامى المعاصر، تشيران لمجمل النتائج الذهنيّه للمفكّرين والأدباء، وغيرهم من المبـدعين فى ميـادين: الأـدب والفكر والفن، و بـالرغم من كثره ميادين الإبـداع. وهـذا الأقرب لمصـطلحى ثقافه ومثقف، إلاّ أن أصول مصطلح الثقافه تقترح ما هو أوسع من نتائج النخب الإبداعيّه (۳).

ويرى الدكتور حسن حنفى:

أنّ لكـلّ ثقافه مسارها الخاصّ بها، ولا يوجـد مسار واحـد لجميع الثقافات، فالثقافه تعبّر عن مرحله تاريخيّه بعينها، وتشـكِّل أطار الوعى التاريخى للأمّه (۴). و عرف بابلور الثقافه:

بالحضـاره: هى مجمـل التركيبه التى تحتوى على المعارف والعقائـد، والفنّ والأخلاق، والقانون، والتقاليـد، وكلَ ّالقـدرات التى يكتسبها الإنسان بصفته عضواً فى مجتمعٍ ما (۵).

۱- (۱) . المصدر: ۱۷.

۲- (۲) . مجله أفكار، العدد: ۱۴۲ / ۶، أيار ۲۰۰۰ م؛ وزاره الثقافه: ۱۷.

۳- (۳) . الخطّه الشامله الثقافه العربيّه، المنظمه العربيّه لتربيّه والثقافه: ۱۷.

۴- (۴) . العولمه والهويّه: ۲۷.

۵- (۵) . مجله أفكار: ۷.

وتقول الدكتوره سلوى العمد:

بأنّه منذ وضع بابلور هذا التعريف عام ۱۸۷۱م، وعلماء الأنتربولوجيا يتداولون مصطلح الثقافه باستخدامات متعدّده، ولم يكن هناك إجماع لتعريف واحد شامل للأبعاد التكامليّه للثقافه.

وتضيف كذلك أنّ علماء الأنتربولوجي جمعوا قبل خمسه عقود ما يقارب ثلاثمائه تعريف، ثمّ جاء العالم الأنتر بولوجي، كابلان ليذكر بان علماء الأنتر بولوجي يجمعون على أمر واحد على الأقلّ، وهي: أنّ الثقافه تتألّف من نماذج من التعاريف المترابطه التي استمر تداولها عبر الزمان والمكان بوسائل غير بيولوجيه، ومن خلال إعمال العقل والقدرات اللغويّه والترميزيّه التي تميز بها الإنسان عن سائر المخلوقات (۱).

۳. الثقافه في الاصطلاح العولمي المعاصر:

وبعد نقل هذه التعاريف، لغةً واصطلاحاً، نودُّ الدخول إلى المراد من الثقافه في الاصطلاح العولمي المعاصر، والنظر في ما هو المراد من العولمه الثقافيّه.

إنَّ العولمه تعني: محاوله فرض نمط من أنماط السلوك و التفكير و الاستهلاك الغربي لتجعلها عالميّه الطابع، أي: فرض نوعاً من القيم الخاصّه بأمَّه من الأمم، على الشعوب الأخرى، بتحويلها إلى قيم عالميه (۲)، أي: أنَّ هذه الثقافه تصبح مصدر القيم الإنسانيّه الأساس، ومنبعها ومرجع الأمم الأخرى كافه؛ لتنهل من هذا المنبع ألقيمي، والقيم الأخلاقيّه، التي تقيم أساس المجتمع المنيع هذا (۳) فضلاً عن أنّها صاحبه نظره إنسانيّه شامله مميزه تتجاوز هويّه محدّده، تحاول فرضها على غيرها من الثقافات، كما

۱- (۱) . الفكر الإسلامي المعاصر.
۲- (۲) . ثقافه المسلم بين الأصاله والتحديّات، دراسات منهجيّه هادفه، العدد: ۵ / ۲۲.
۳- (۳) . اغتيال العقل: ۲ / ۱۱۶.

يريـد الغرب الـذى تهيأت له الفرصه المناسـبه مع تـداعيات العصـر والوضع الـدولى الجديـد. وعليه جاء اختلاف الأمم وشعوبها باختلاـف ثقافاتهـا السائـده، فالأـمّه الإسـلاميّه على سبيـل المثال تختلف بثقافاتها عن الثقافات الغربيّه؛ لأنّ الواقع الثقافى لأيّه أمه ينتج عن تفاعل مشترك لعدّه عوامل مستبطنه من بيئه الأمم ذاتها بشـكل يكوّن شخصـيّتها التى تميّزها عن غيرها من الأمم؛ ولذا فالثقافه الإسلاميّه تتّصف بالشمول الناتج من شمول الإسلام المستمد من الحقيقه الإسلاميّه، التى تحدّد شخصيّه المجتمع وتضبط سلوكه وتصرفاته.

وبذلك فإنّ الثقافه الإسلاميّه والثقافه الغربيّه متوازيتان لا التقاء بينهما من حيث المنبع والمبدأ والمنطق.

ويرى البعض وجود ثقافتين لا ثالث لهما، منهم: سـيّد قطب الـذى يعتقد بأنَّ الثقافه الإسـلاميه قائمه على وفق التصوّر الإسـلامى، والثقافه الجاهليّه مصدرها الفكر البشرى (١).

لقـد أدرك الفكر الإسـلامى أنّ الغرب لاـ يفسـح مجالاًـ لمنافسـته لأـىّ أنموذج قـادر على الانتشـار العالمى وفيه قابليّه الامتـداد الحضـارى، لاسـيّما إذا كـان يعرف القوّه والقـدره الحيويّه فى ذلك الأنموذج.إلّا أنّ التركيز على الجانب الثقافى وتأثّره بالعولمه من عـدَّه جوانب، ومن عـدّه مـداخل تربطهـا علاـقه مباشـره الجوانب، مثـل: صـراع الحضـارات وحوار الثقافـات والثقـافه الوطنيه والعولمه، والثقـافه الشـموليه والتى تحـدِّد أنماط العيش، وأسـلوب الحياه المعينه، بخلق عادات وتقاليـد جديـده من خلال ضـخّ العولمه لها، لتشكِّل قيماً جديده تفرض ثقافه مغتربه مؤمركه لتسهيل تسويق الثقافه الاستهلاكيّه.

فالعولمه الغربيّه الثقافيّه ليست موجَّهه ضدَّ الحضاره الإسلاميّه فحسب،

١- (١) . معالم الطريق: ٣.

بل هى موجَّهه ضدَّ جميع الحضارات والثقافات الحيّه، كالصينيه والهنديّه، والأفريقيّه والفرنسيّه.

وقد يسَّر هذه الأمور وجود التكنولوجيّاً الاتّصاليّه والمعلوماتيّه وتطوّرها، حيث أصبحت الثقافه محموله عبرها، فإنَّ ما دخل إلينا من وسائل إعلاميّه ومعلوماتيّه جديده، وقبولها لنا بشكل مطلق ما هو إلاّ غزو ثقافى تغيّرى جديد على جميع الثقافات، ومنها: الثقافه الإسلاميّه.

غزو العولمه الثقافى:

كان الغزو فى الماضى يتمّ بأدوات بدائيّه، بالسيف والرمح والفرس، ثُمَّ تطوّر إلى أدوات حداثه وتطوراً؛ حيث استعملت المنجنيقات وقاذفات اللهب المحرقه، ثُمَّ تطوّر بعد اختراع البارود، وأصبح من خلال البنادق والمدافع، ثمّ تقدَّمت وسائل وأساليب الغزو، حيث أصبحت تتمّ عبر الطائرات والصواريخ الموجَّهه عبر الطائرات والسفن والغواصات، وإلى الأمس القريب تمّت عدّه حروب فى العراق وأفغانستان وغيرهما عبر الأقمار الاصطناعيّه والصواريخ الموجَّهه العابره للقارات، حيث استعملت فيها جميع الأدوات التكنولوجيا، واستغلت جميع الوسائل الإعلاميّه للدلاله على تأسيس النظام العالمى الجديد، الذى أعلن عنه الرئيس الأمريكى جورج بوش، حيث اعتبر الحرب إعلاميّه، لكن هناك قليل ممّن اعتبروا ذلك تسويقاً لقوّه أمريكا، فى سبيل إخضاع العالَم أجمع لسلطانها، وقوّتها، فأصبحت القوه الوحيده فى العالم بعد انهيار الاتّحاد السوفياتى.

أمّا اليوم – ونحن فى بدايات القرن الجديد– فقد اختلفت أدوات الغزو، فمن قبل كانت أدواته ماديّه ملموسه تحتاج إلى دبابات وطائرات وسفن وغواصات وحتى أجهزه حاسوب، أما اليوم فتحوّلت إلى أدوات غير ملموسه، إذ تحوَّل

الغزو إلى غزو ثقافى، للقيم يحاول أن يزرع منظومه قيم خاصّه به، فلم تعد الثقفه كما كانت فى الماضـى خاضعه لوسائل تقليديّه فى النشـر، وإنمـا أصـبحت اليوم متـأثره إلى حـدٍّ بعيـد بتكنولوجيـا عـامّه، والتكنولوجيـا الاتّصـاليّه خاصّه، هـذه التكنولوجيّا التى استطاعت القيام بالاختراق الثقافى، أى: أنّ السيطره للتكنولوجيّا ومن يسيطر عليها بإمكانه بث الثقافه التى يريد (١).

وعلى مـا يبـدو أنَّ الثقافـات التى تمتلـك الأـدوات التكنولوجيّه هى التى تسـيطر على الثقافـات الأضـعف والتى لاـ تمتلك هـذه التكنولوجيّا، وهى بـذلك تلعب دوراً تأثيريّاً بارزاً، ليس على نطاق محلى فحسب، بل على نطاق عالمى، والعولمه الثقافيه بصوره أكـثر دقّه ووضوحـاً هى محـاوله مجتمع تعميـم نمـوذجه الثقـافى على المجتمعـات الأـخرى، مـن خلاـل التـأثير على المفـاهيم الحضاريّه، والقيم الثقافيّه، والأنماط السلوكيّه لأفراد هذه المجتمعات بوسائل سياسيه واقتصاديّه، وثقافيّه وتقنيه متعدّده (٢).

ويستفاد من تقنيات الاتّصال هذه، ويتمّ تحويلها إلى صناعه ممنهجه لغسل الأدمغه التى ترافق ظهورها مع الانتقال اللامتكافئ من المكتوب إلى المرئى، لكى يتحوَّل العالم إلى مجرّد مشهد يحقّق له الظهور وفق رغبات القوى التى تتحكّم بالاتّصال، الأمر الذى حـدا ببعض البـاحثين إلى القول بـأنَّ الإعلاـم هو العولمه أو الوجه الجديـد للاقتصاد المعولم الهادف إلى تسويغ الأفكار والتمايز البـايلوجى التى تحـاول تأسيسه الثوره التكنولوجيّه الحـاليّه، لاسـتكمال حلقات التحكم الاقتصاديّه للزمان والمكان فى آن واحد بكلِّ ما تشكّله من ضغوط على الشعوب وكلّ ما تخلقه من الاحساس بالحاجه والضعف فى مجالات التنميه البشريّه.

١- (١) . العولمه والهدايه: ١١٩.

٢- (٢) . العولمه الثقافيه، المجله الثقافيه: ٤٩ / ٢٥.

آليّات العولمه الثقافيّه:

اشاره

بعد أنّ تعرّفنا على الآليات العامه التى اتّخذتها العولمه طريقاً للوصول إلى المساحه الواسعه التى تبتغيها، والتى تريد الوصول إليها القوى المنشأه لهذه الظاهره العولمه، فهناك أيضاً آليّات أخرى جزئيّه كانت طريقاً لنشر العولمه، وهى:

۱. الإذاعه المرئيّه وغير المرئيّه والأطباق اللاقطه (القنوات الفضائيه):

إنَّ ما حدث من إعلام تلفزيونى مباشـر، وغير مباشر ومع كثره هذه القنوات الفضائيّه التى غزت العالم، ما هو إلاّ طريق واسع لنشر العولمه المعاصره.

يقول هربرت اسيلر:

إنّ فهم آليات الصـناعه الأمريكيّه أصـبح ضـروريّاً بصوره ملحَّه فى منتجات ومبتدعات هذه الصناعه يتمُّ انجازها وفقاً لمواصفات محدَّده، وبمقوِّمات تمَّ اختيارها عمليّاً، ويشار على المشاهدين والمستمعين والقراء أن يعوِّدوا أنفسهم على السمات المتميزه. (۱)

لهذه الآليّات الحديثه التى بدأت تأخذ مساحه أوسع فى الانتشار والتمركز.

۲. الصحف اليوميّه:

إنَّ الـدور الـذى تقوم به الصـحف والمجلات التى تصـدر بكثره كـان له الأـثر الكبير فى إعـداد ونشـر العولمه الثقافيّه، ومحاوله الإعداد لحضاره جديده، والسيطره على الثقافات القديمه والمعاصره للغير وتغييرها بثقافات أخرى.

تؤكّـد الـدراسات المتخصّـصه أنَّ ثلاثـاً وعشـرين شـركهً فقـط تسـيطر فى الولايات المتّحـده على معظم أعمال الصـحف اليوميّه والتلفزيون والكتب والرسوم المتحرّكه (۲)، بينما هناك الكثير من الشركات التى كانت تمارس

۱- (۱) . نقلاً عن: أثر العولمه فى الثقافه العربيّه: ۹۶.

۲- (۲) . المصدر: ۱۱۸.

عملها فی مجال السلع والبضائع الاستهلاکیه، أخذت تنقل نشاطها إلی عالَم الکتاب والسینما والتلفزیون، وإنَّ سِتَّ شرکات تستولی علی نصف عائدات الکتب، کما کان الاحتکار منذ الثمانینات هو السمه الممیزه لعالم الإعلام والثقافه فی الولایات المتّحده.

ولعلّ هذا ما یمیز ثقافه العولمه، التی تخضع للکم الهائل من المعلومات، والأفلام، والمسلسلات والإخبار، فهی فی النهایه تسیر إلی ما تصبو إلیه من خلال العمل علی صیاغه قیم تؤسّس لثقافه وحضاره أخری لهذه المجتمعات، مهدّده هویّتها الحضاریّه بشکل جدّی باتّجاه فرض نمط ثقافی وهیمنه ثقافیه معیّنه، تتبعها مصالح الأقویاء خلال صیاغه منظومه القیم والأخلاق والعادات فارضه نفسها علی الکون، وعرّفت کذلک بأنّها الظاهره التی تشعُّ فی المحیط الکونی بلا قیود أو حدود.

ثقافه العولمَه:

إنّ المقصود من: ثقافه العولَمه هو القضایا والنماذج التی ترید العولمه تشییعها وتعمیمها علی جمیع البلدان الأخری، والأهداف التی تبتغیها هذه الظاهره (۱)؛ لأنّ الصراعات الفکریّه التی غطّت القرنین الماضیین، دارت بالدرجه الأولی حول القیم المرتبطه بالاشتراکیه واللیبرالیّه والقومیّه، وکلُّها عقائد جدیده نشأت وعمَّ أثرها نتیجه إدخال جمیع المجتمعات فی دور الرأسمالی الفکری والثقافی فی المعجم الرأسمالی العالمی، وحتّی هذه الثقافات التی تظهر فی الوقت المعاصر، وتحت مسمّیات متعدّده، وأشکال مختلفه، فإنَّ أزمتها مرتبطه بأزمه مفهوم الحداثه، والتقدّم الدیمقراطی وحریّه الرأی، وما إلی ذلک من مفاهیم جدیده أدخلتها العولمه الحضاریّه والثقافیّه المعاصره.

۱- (۱) . ثقافه العولمه وعولمه الثقافه: ۵۸.

إن الهدفيه الأساسيه التى تسعى إليها العولمه فى الوقت الحاضر هى محاوله توحيد لجميع ثقافات العالم والحضارات القائمه فيه، وجعلها تحت رايه تغييريّه واحده، فتحرّر وتحقّق انقلاباً حضاريّاً جديداً، بحيث يكون أحد ركائزه هو الانقلاب الثقافى.

إنَّ ما يذكره (ايمانؤيل فالرشتين) الذى يتحدَّث عن النظام العالمى، لَيبيِّن الترابط العميق والمستمر بين مختلف الحركات والظواهر التاريخيّه والاجتماعيه، التى تجرى فى مرحله تاريخيه معينه، ولا يستطيع أن ينظر إلى الرأسماليّه إلّا بوصفها نظاماً عالميّاً متكاملاً (۱).

لكن ما نراه فى الوقت الحاضر أنّ العولمه شىء آخر يتجاوز هذه العلاقه بين المركز والمحيط، وما تدفع إليه من ترابط الأحداث التاريخيّه والتكونات الاقتصاديّه والاجتماعيّه، وآليات تحقِّق هذا الترابط، إنها تتجدّد فى نشوء شبكات اتّصال عالميّه فعلًا، بحيث تربط جميع الوجوه الاقتصاديّه والبلدان والمجتمعات، وتخصِّصها لحركه واحده.

وربّما كان أوضح مثال على هذا التعميم الجديد الذى أرادت العولمه طرحه، هو الارتباط الحادث بين الأطراف العالميّه المختلفه، وهو الاندماج الحاصل فى ثلاث منظومات رئيسيه فى حياتنا الاجتماعيّه والدوليّه الراهنه:

المنظومه الأولى: هى المنظومه الماليّه لقد أصبحنا نعيش فى إطار سوق واحده لرأس المال، وبورصه عالميّه واحده، على الرغم من تعدّد مراكز نشاطها.

المنظومه الثانيّه: هى المنظومه الإعلاميّه الاتّصاليّه، إذ من الممكن اليوم لجميع سكان الأرض القادرين على دفع الثمن، الارتباط بالطبق اللاقط

۱- (۱) . المصدر: ۱۴.

بـالقنوات التلفزيونيّه ذاتهـا الموجوده فى كـلّ أنحـاء العـالم، والتى تتوجَّه فى بثّهـا لجمهور عـالمى أو معولـم أكثر فأكثر لجمهور محلّى.

المنظومه الثالثه: هى المنظومه المعلوماتيّه التى تجّسدها بشـكل واضح شـبكه معلومات الإنترنت، فهى شـبكه واحده يشارك فيها الأفراد وينظرون إلى ما تنطوى عليه من معلومات وعروض، بصرف النظر عن الحدود السياسيّه، والخصوصيّات الثقافيّه (١).

نعم، إنَّ مـا أرادته الثقـافه العولميّه هو الـدخول والانـدماج فى النظـام العلمى الأـعمق على عـدّه مسـتويات، فمن جهه هناك نوع توحيد أكبر لمصادر المعلومات للعروض والطلبات، أى: النخب العارضه للجمهور، ومن جهه ثانيه هناك توحيد أشـمل لأشكال الاتّصال وأدواته، ومن جهه ثالثه، هناك دمج أقوى لوسائل الاتّصال.

إنَّ هناك فرقاً كبيراً بين أن ننتمى جميعاً لدول متعدّده تجمعها موارد اشتراك عدَّه، وموارد اختلاف عده من قبيل: اللغه، والبقعه الجغرافيّه والموارد ومـا إلى ذلـك، وبين أن ينتمى العـالم إلى نظـام السـيطره والقوّه ويتجـاوز الـدوله والبقعه الجغرافيّه والعادات الثقافيّه والحضاريّه.

وأيضـا هنـاك فرق بين أن يكون لكـلّ مجتمع قنواته الخـاصه التى يسـتطيع من خلالها إيصال القضايا الهامّه المفيـده لأهل هـذه البقعه الاجتماعيّه، وبين أن تشترك جميع المجتمعات بشـبكه واحـده متعدّده الأطراف من البثَ ّالتلفزيونى العامّ للقارات التى لا يستطيع الإنسان من خلالها البقاء على المجتمعات المحافظه، بل كلّ ما تدعو إليه هو الكثير من الإباحيّه وعدم التقيد.

إنّى لاـ أقول إنَّ جميع هـذه الظـاهره الشـموليّه سـلبيّه بالكامـل، بـل لابـدَّ من مراعاه حقوق الاعتـدال؛ لأنّ الإنسان لا يسـتطيع أن يتصدَّى بالكامل لجميع

١- (١) . المصدر: ١٦.

آليـات الغزو الثقـافى التى بـاتت داخله فى كـلّ مجتمع وكـلّ بيت، وفى كـلّ جزئيّـات الحياه الإنسانيّه، وهناك فرق كبير بين أن يكون لكلِّ دوله اقتصادها الرأسـمالى وسوقها المسـتقلُّ نسبيّاً، بحيث يكون لديها الاكتفاء الذاتى لأكثر الاحتياجات الخاصّه بها، كـذلك الاسـتقلال نسبيّاً فى نظـام أجوره وأسـعاره وتبادله، على الرغم من ارتباطه بغيره من الأسواق، وبين أن تـدخل فى سوق رأسـماليّه واحده وتتّخذ منها بحسب إمكاناتها ودرجه التحكم التقنى والعلمى والصـناعى، ومواقعها المختلفه، وما ينتج عن ذلك هو مخاطر عظيمه وآثار مختلفه تماماً.

فبقدر ما كانت الحقيقه الوطنيّه من التاريخ العالمى تقع نحو سـياسات تضامن اجتماعى ضـروريه للمحوريّه الذاتيّه وبناء المركزيّه الوطنيّه، بقدر ما تشجع حقيقه العولمه على انحلال منطق الحسابات الوطنيّه، وعلى نزوغ النخب الاقتصاديّه وخاصّه النخب الوطنيّه الضـعيفه المراده، والإمكانيـات إلى عـدم الـتردّد فى اللجوء إلى سـياسات النهب والإـثراء غير المشـروع والمضـاربه الـتى تمكنها وحـدها من انتزاع قسـط من رأس المـال الاقتصـادى والثقافى والسياسـى الـذى يسـمح لها بالبقاء فى السوق العالميّه والعمل على مستواها.

إنَّ المضـمون الرئيسـى للعولمه هو أنّ المجتمعات البشـريّه التى كانت تعيش كلٌّ واحـده فى تاريخها الخاص بها وحسب تراثها الخاصّ بها، ووتيره تطوّرها ونموّها المسـتقل نسبيّاً على الرغم من ارتباطها بالتاريـخ العالمى أصـبحت فى تاريخيّه واحـده، وليس فى تاريخ واحد، وعلى هذا الأساس يمكن تلخيص العولمه فى كلمتين هما:

كثافه انتقال المعلومات وسـرعتها (۱) إلى درجه أصـبحنا نعيش فى عـالم واحـد موحَّد، أو كما قال امكلوهان صاحب أوّل مهمّه عن العولمه هى قريه كونيه، بما تُوحى كلمه القريه من علاقات قرابه وجوار، فإذا ما وقع حدث فى

۱- (۱) . المصدر: ۳۲۱.

بقعه ما انتشر فی بقاع أخری من العالم، أی کلّما یحصل ویحدث فی جزء یظهر أثره فی الجزء الآخر.

نعم، لا ـ تعنی العولمه أنّ جمیع الأـفراد المقیمین علی وجه الأرض، سوف یندمجون فی الشبکات المالیّه والمعنویّه، وثقافه العولمه، فالأـغلبیّه الساحقه من سکان المعموره لا ـ یزالون یعیشون وسیعیشون خارجها، ولکن هذا لا ـ یعنی أنّهم لا یخضعون لقوانینها؛ وذلک لأنّ هذه القوانین أصبحت عامّه لکلّ مکان.

فمن الصحیح إذاً: أنّ هذه الأهداف العالمیّه- المرتبطه بالثوره الثقافیّه من معلومات الاتّصالات فی الوقت الذی یتیح التحرّر المتزاید لجزء من البشریّه- تعمل علی تعمیم سیطره فئه من المجتمعات علی فئه أخری.

إنَّ مجموعه من النخب الخاصّه فی المجتمعات الکبری، تحمل من دون شکّ هیمنه الإراده، ونظام الهیمنه أکثر شمولاً من کلّ ما شهدته الإنسانیّه فی السابق، ومع ذلک لا ـ یلغی الخطر الذی تحمله هذه الظاهره فائده الانخراط فیها بالنسبه للمجتمعات والأفراد علی حدّ سواء، وهو لا یقلل کذلک من قیمه الإمکانات التی تفتحها والفرص التی تقدمها؛ لأنّه لیس من الممکن حرمان أیّ فرد یرید أن یستفید، وأیّ مجتمع من هذه الفرص.

علی أیَ ٍحال إنّ التحدِّی الذی تطرحه العولمه لیس جدیداً علینا لکن عندما نلحق الثقافه بالعولمه، یتبادر إلی الذهن کلمات جدیده أصبحت تتردّد کثیراً فی المؤتمرات والندوات العلمیه. مثل الأمرکه، أی: تعمیم النموذج الأمریکی للحیاه والسلعنه، أی: تعمیم قیم السوق والفعالیّات الثقافیّه، وتحویل الثقافه إلی سلعه وتهدید الهویّه الثقافیّه، لکن السؤال الذی ینبغی طرحه هو: هل یؤدّی الانفتاح المتبادل للفضاءات الاقتصادیّه والثقافیّه، إلی الأمرکه والسیطره الأحادیّه للولایات المتّحده الأمریکیّه؟ أو بالعکس یؤدّی إلی تطویر وتعمیق التعددیّه الحضاریّه والثقافیّه والسیاسیّه؟

ص:۷۹

وهذا ما أجاب عليه الدكتور، برهان غليون، حيث قال:

العولمه تعنى: إذاً بالضروره الأمركه، إذا فهمنا الأمركه على أرجحيه المساهمه الأمريكيه فى الانتاج الثقافى والمادّى والمعنوى، الذى يملأ السوق ويملأ الفضاء العالمى الجديد، الذى أنشأته ثوره المعلومات، لكن إلّا إذا فهمنا من الأمركه تحويل ثقافات الشعوب جميعاً إلى ثقافه أمريكيه أو تعميم القيم الأمريكيه على شعوب العالم، نعم، ليست العولمه هى المنشأ لسيطره ثقافه على ثقافه أخرى، لكنها منشأ لنمط جديد من السيطره الثقافيّه.

وليس لثقافات الأخرى أىّ مستقبل بالفعل إلّا إذا أدرك أصحابها طبيعه هذا النمط الجديد من السيطره الثقافيّه وآليّاتها، وحقّقوا أبواب جديده تسمح لثقافاتهم بالمشاركه العالميّه والإبداعيّه. (١)

وذلك لأنّ العولمه الثقافيّه تساهم كثيراً بمزيد من الفاعليّه فى التأثير فى الثقافات الوطنيّه عبر أجهزه الإعلام.

فاتّجاه ثقافه البلاد المتقدّمه نتيجه لثوره الاتّصال التقنيه نحو تنميطوتطبيع الثقافات الأخرى وإدخالها فى إطارها الخاصّ وقيمهاالذاتيّه، فسهل لها ذلك الوسائل القويّه التى لم تتوفّر من قبل لأىّ حضاره أخرى.

أثر العولمه على الثقافه الإسلاميّه:

إنَّ الأمه الإسلاميّه المتمَّثله بحضارتها، تقف أمام مفترق طرق، ونقطه تحّول، فلقد انتهت قرون وبدأت قرون جديده، فلم يختلف عليها شىء، كما هو الحال فى القرون التى جاءت بعد الانتشار الإسلامى، وحضوره ودخوله فى الحضارات السابقه عليه واللاحقه كذلك.

١- (١) . المصدر، ص۴۶.

وترى الدكتوره سمر روحى الفيصل:

إن الإنسـان هو هـدف الثقـافه، فمن الواضـح أنَّ الإنسـان المسـلم فى أخريات الألفيّه الثانيه أصبح ميّالاً إلى الاستهلاك، ملتزماً بقـائمه المحرَّمـات الطويله سواء أكـانت محرّمـات دوليّه أم محرّمات قبليّه، وحتى قوميّه، خاضـعاً لأوامر دولته ونواهيها، وضـعف الإحسـاس بـالقيم الوطنيّه والقوميّه والاجتمـاعيّه، حريصـاً على تـامين حاجـاته دون نظر فى شـرعيّه الأسـلوب وأخلاقيّـاته، رافضـاً مجتمعه راغباً فى الهجره منه (۱).

ولاشـكّ أنّ لهـذه النظره الأـكثر تشاؤميّه، نسبهً كبيرهً من الصـحّه، إلّا أنّها فى الواقع، طرحت عـدّه نظريّات وآراء حول مسـتقبل الثقافه الإسلاميّه مع الموقف العولمى المعاصر، الذى يرغب فى الهيمنه على الحضارات والثقافات العالميّه؛

لأـنّه فى الوقت الـذى تتعرّض له الثقـافه الإسـلاميّه وغيرهـا من الثقافـات لخطرٍ كبير بفعـل ظـاهره العولمه الغربيّه تمثّل فى الوقت الحاضر أخطر التحدّيات المعاصره للثقافه الإسلاميّه، وهذه الخطوره لا تأتى من الهيمنه الثقافيّه التى تنطوى عليها العولمه فحسب، وإنّما من الآليات والأدوات التى تستخدم لعرضها.

فـالعولمه الغربيّه ظـاهره تقفز على: الـدوله، والوطن، والأـمه، وتعمل على إضـعاف الـدوله والتخفيف من حضورها ممّا يعود على اسـتنهاض الأطر التقليـديّه السابقه على الـدوله، ك: الانتماء للقبليّه، والطائفيّه، والتعصب المـذهبى، بقصد تمزيق الحضارات الأمّ واستبدالها بحضارات جديده.

فالعالم اليوم يعاد تقسيمه، وفق مبـدأ الأقوى اقتصاديّاً وتقنيّاً واتّصاليّاً، بحيث تسـتخدم فيه كل وسائل العلم الحديث والتكنولوجيا المعاصره بدلاً من الاحتلال العسكرى المباشر.

ولعلَّ من أكثر المجالات حساسيّه فى عصر التغيرات السريعه والجذريّه ومضاعفاتها الاجتماعيّه والحضاريّه هو التغير الثقافى،

۱- (۱) . العلمانيّه والعولمه والأزهر: ۹۳.

وآثار هذا التحول ليست كلّها خيراً ولا كلّها شرّاً، فيها من التقدّم نحو أدوات التطوّر العصرى من جهه، وفيها ما يضعف خصائص إنسانيّه عظيمه فى الحضارات العريقه من جهه أخرى (١).

وعلى هذا النمط يرى حبيب الجنجانى:

أنّ التيـار الفكرى الجديـد الـذى شـدَّ إليه انتباه فئه من المثقّفين العرب هو تيـار العولمه بشتّى أبعـاده، وهو تيار يختلف فى نظرنا اختلافاً جذرياً عن جميع التيارات السياسـيّه والفكريّه الغربيّه التى أثّرت فى الفكر الإسـلامى الحديث. فقد اكتسحت بسرعه فائقه الحواضر والبوادى، فعرض نفسه عبّر ثقافه الصوره على جميع الفئات مبشِّراً بذلك عصر ما بعد المكتوب (٢).

وذلـك عبر فرض النموذج الثقافى الكونى العولمى على الأمم والقوميّات، ومنها الثقافه الإسـلاميّه، أى: اجتثاث الثقافه الإسـلاميّه وإحلال الثقافه العولميّه محلَّها.

إنَّ مـا نشـهده بالأـحرى انبثاق حضاره جديـده ذات غزاره معرفيّه شديـده، تقسم النظام العالمى بأسـره وتحولّه من حال إلى حال أخرى.

فكـلُّ شـىء فى هـذا النظـام هو حـاله تحول من مكونـاته الأـوليّه إلى العلاقات التى يقيمها دون نسـيان سـرعه التفاعلات الثقافيّه والحضاريّه.

إنّ هـذا التغيير المفـاجئ الـذى لعبته العولمه، مـا هو إلّـا حاله من الغزو الحضارى لهـذه الحضارات، والتى فى مقـدِّمتها الحضاره الإسـلاميّه، لكن ممّا يؤُسف له وجود بعض الاسـتعدادات الباطنيّه والظاهره عندَ منْ يتعامل مع القواعد الثقافيّه الموجوده عند غير العولمه، وان كنّا فى بعض الأحيان مجبرين على هذا النوع من التغيّر ولو بقبول بعض أنواعه.

١- (١) . العالم والثقافه العربيّه على مشارف القرن الحادى والعشرين: ٧١.

٢- (٢) . التغيرات العالميّه وانعكاساتها على الدول الناميه: ٨٨ .

یری صاحب کتاب صِدامُ الحضارات هنجتون ۱۹۹۶ م، والذی جاء بعد أن نشر مقاله بهذا العنوان فی مجله فورین أیفرز الصادره ۱۹۹۳ م (۱) إنّ المسئول عن تخلّف بلدان الدول النامیه، وعدم نموّها الاقتصادی والاجتماعی لم یکن الاستعمار، وإنّما شخصیّتها القومیّه، وحضاره تلک الشعوب، فسمات هذه الشخصیّه القومیّه تحدِّد الاستعداد العقلی والعلمی والتکنولوجی لهذه الأم، وهذه نقطه ضعف کبیره فی نسیج هذه المجتمعات.

العولمه السیاسیّه

اشاره

لا یمکن الفصل بین عولمه الثقافه التی کانت إحدی السمات الأساسیه للنظام العولمی منذ نشأته، والنظام العولمی الاقتصادی، والذی هو أساس بدایات العولمه والنظام العالمی الجدید، وبین البعد السیاسی لهذا النظام السائد.

لقد فشلت السیاسات العالمیّه الممارسه فی الوقت الحاضر استراتیجیّات رأس المال السائد، وتتمیّز هذه الأنظمه بقیام مشروع أمریکی للهیمنه العالمیّه، وهذا المشروع یحتلُّ المسرح العالمی بالکامل؛ إذ لا یوجد حالیاً مشروع مضادٌّ یعمل علی الحدِّ من مجال تحکّم الولایات المتّحده، کما کان المجال فی مرحله القطبیّه الثنائیّه.

لقد کان وجود قطبین عالمیین یتنازعان السیاده والقوّه العسکریّه الاقتصادیّه، یتیح للآخرین من القوی الصغیره والضعیفه، أن تختار لنفسها أن تدور فی فلک هذا القطب أو ذاک، أو تختار نهجاً بین النهجین، کما حاولت دول کتله الحیاد الإیجابی وعدم الانحیاز.

۱- (۱) . العولمه ودورها فی تهمیش النظام الإقلیمی العربی، مجله قضایا إستراتیجیّه، العدد:۲:۵۶.

إنَّ الأطروحات الغربيّه للعولمه السياسيّه انحصرت فی ثلاثه محاور، و هی:

أ). عولمه حقوق الإنسان.

ب). عولمه الديمقراطيّه.

ج). تهميش الدوله فی ظلّ العولمه.

وفيما يأتی نقوم باستعراض هذه النقاط واحده تلو الأخرى:

أوّلاً: عولمه حقوق الإنسان:

اشاره

جاء فی لسان العرب:

إنَّ الحقَّ نقيض الباطل, قال تعالى: وَ لا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْباطِلِ وَ تَكْتُمُوا الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ١. وحَقَّ الأمر إذا: صار حقاً وثبت، وحَقَّ الأمر يحقهُّ حَقّاً، وأحقَّه: كان منه على يقين.

والحقُّ من أسماء الله عزّ وجلّ: ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ ٢

.٣

١. تعريف حقوق الإنسان:

يعرِّف بعض الباحثين حقوق الإنسان أو مصطلح حقوق الإنسان, بأنّها:

الحقوق التی تهدف إلى ضمان وحمايه معنى الإنسانيّه فی مختلف المجالات السياسيّه والاقتصاديّه والثقافيّه (١).

٢. حقوق الإنسان فی الفكر الغربی:

إنّ فكره حقوق الإنسان على وفق المفهوم الغربی، تعود إلى فكره القانون الطبيعی, التی كانت بداياتها مرتبطه بوجود قوّه

ص:٨٤

١- (۴) . الإنسان وحريات السياسه فی القانون الدولی والشريعه الإسلاميّه: ١۶۶.

إلهيّه عُليا تضع هذا القانون. وأفضل مَنْ مثَّلها هو يشيرون (١) الـذى عرف القانون الطبيعى, بأنّه: القانون النابع من العنايه الربّانيّه, التى تحكم هـذا الكون, ومن الطبيعه السـلميّه للكائنـات البشـريّه، أى:قانون العقل الصـحيح الـذى يتوائم مع الطبيعه, وينطبق على النـاس كافه, كما أنّه أزلى وغير قابل للتغيّر (٢)، إلاّ أنّه فيما بعـد تمَّ إبعاد أىّ فكره تسـتند إلى وجود قوّهُ إلهيّه تعدُّ هذا القانون؛ وبالتالى تمَّ إحلال القانون الطبيعى المستند إلى العقل، محلّ القانون الإلهى (٣).

لقـد أدت فكره القانون الطبيعى المسـتنبطه من الطبيعه، والتى تدرك عن طريق العقل (۴) إلى بناء منطوق نظرىّ، لتحديد أصول فطريه لبعض المراكز القـانونيّه، مثـل: نظريه العقـد الاجتمـاعى، وغيرهـا من النظريّات التى اتجهت لتقرير حقوق أصـليه للأفراد، سابقه على قيام السـلطه الحاكمه، وهى نظريّات انتهت إلى فكره حقوق الإنسان، وبقيت مبادئ القانون الطبيعى ذات صبغه فلسفيّه إلى حين قيام كلٍّ من الثوره الأمريكيّه والثوره الفرنسـيّه التى أصبحت على أثرهما مذهباً رسمياً ذات صبغه قانونيه (۵)، حيث تمّ تأطير حقوق الإنسان بوثائق دستوريّه فى نهايه القرن الثالث عشر.

وكان أوّل عمل أسَّسـته هـذه المبادئ بصـفه قانونيّه، وثيقه فرجينيا للحقوق عام ۱۷۷۶م حيث اندلعت الثوره ما بين المسـتعمرات البريطانيّه- الثلاث عشـره المنتشره على طول الشاطئ الشرقى لما يُعرف اليوم بالولايات المتّحده الأمريكّيه- وبين بريطانيا العظمى التى تعدُّ ثوره للمطالبه بالسلطه

١- (١) . النظريّه السياسيّه الإسلاميّه فى حقوق الإنسان الشرعيّه: ٢۴.

٢- (٢) . الحريات العامه وحقوق الإنسان:٢٣.

٣- (٣) . النظريّه السياسيّه الإسلاميّه فى حقوق الإنسان الشرعيّه: ٢۵٠.

۴- (۴) . المصدر: ٢۶.

۵- (۵) . من أصول الفكر السياسى الإسلامى: ٢١.

والاستقلال، كما عدّت هذه الوثيقه أوّل دستور مكتوب يؤسّس الحقوق الإنسانيّه الليبراليّه (١).

وأصبحت هذه المبادئ قانوناً بعد قيام الثوره الفرنسيّه ١٧٨٩م، والتى رفعت شعار الحريّه والمساواه، وإنَّ كلَّ حقٍّ مصدره الإنسان؛ لأنه وحده الذى يتمتّع بالحرّيه، أمّا السلطه، فهى نابعه من الشعب الذى يحافظ على تلك الحرّيه والمساواه (٢).

ولقد صيغت العديد من المواثيق الدوليّه التى حاولت صياغه حقوق الإنسان فى العالم، كان أهمّها الميثاق العالمى لحقوق الإنسان فى كانون الأوّل ١٩٤٨م، وهذا الميثاق بمواده الثلاثين قد نصَّ على كرامه الإنسان، وحقوق الإفراد وضروره التمتع بها، وهذا واضح فى مادَته الأولى والثانيه، إذ نصَّت: مادتّه الأولى:

ان يُولد جميع الناس أحراراً متساوين فى الكرامه والحقوق.

والمادّه الثانيه:

لكلّ إنسان حقُّ التمتع بكافه الحقوق والحريات.

ثمَّ يبدأ بالتركيز على حقّ الحياه والحريّات والمساواه أمام القانون، فضلاً عن حرّيته فى التنقل والإقامه (٣).

إلّا أنّ تلك المقرَّرات حوَّلت بعض المفاهيم العالميّه، باتّجاه جديد كّلاً منها بإطار غربى أمريكى بما فيها مفهوم حقوق الإنسان، ومحاوله تعميمه على وفق الرؤيّه الأمريكيّه ومصالحها الكبرى عبر العالم.

وبذلك أصبحت حقوق الإنسان تعبّر عن إطار قومى لمصلحه الولايات المتّحده الأمريكيّه، لنشر المفاهيم المرتبطه بالفكر الرأسمالى من خلال

١- (١) . ريتشارد شرودر, موجز نظام الحكم الأمريكى:٥.

٢- (٢) . النظم السياسيه والحريات العامه: ٩٦.

٣- (٣) . الفكر الإسلامى المعاصر: ٩٤.

دعوتها إلى تلك الحقوق التى بدورها أضافت إليها حقوقاً أخرى إلى جانب الحقوق السياسيّه والاقتصاديّه والاجتماعيّه.

ثانياً: عولمه الديمقراطيّه:

اشاره

تُعدُّ الديمقراطيّه من المفاهيم السياسيّه المهمّه فى الغرب، وهى رغم قدمها إلّا أنّها لاقت رواجاً واهتماماً واسعاً فى حقبه ما بعد الحرب البارده؛ لكونها أحد المفاهيم الواسعه التى ارتكز عليها النظام العالمى الجديد؛ ولذا حاول دعاته غزو العالَم من خلال تعميمهم هذا المفهوم الغربى الجديد.

وإليك تعريف وتوضيح مفهوم الديمقراطيه لدى الفكر الغربى:

١. الديمقراطيّه فى الفكر الغربى:

لقد أجمعت العديد من المؤلّفات التى تناولت مفهوم الديمقراطيّه على أنَّ معناها:

حكم الشعب بالشعب ومن أجل الشعب. و قد اشتّقت هذه الكلمه من اللغه اليونانيه، فكانت تعبر عن مقطعين هما: bemos ، أى: الشعب. و cretos ، أى: الحكم. وبإدماج المقطعّين يتكون معنى كلمه: حكم الشعب (١).

٢. تعريف الديمقراطيه فى الفكر الغربى

عُرِّفت الديمقراطيه فى الفكر الغربى:

بأنّها عباره عن ترتيبات سياسيه للوصول إلى قرارات سياسيه، حيث يتسنّى للأفراد الحصول على السلطه اللازمه، لصنع تلك القرارات عن طريق التنافس على أصوات الناخبين، على أنّها تشكل الحكومه فى قرارات مسئوله، نحو نظام يؤكّد فيه احترام كلّ شخص لرأيه (٢).

١- (١) . رؤيه نقديّه لإشكاليّه الشورى والديمقراطيّه: ٣٨.

٢- (٢) . نقلاً عن: الفكر الإسلامى المعاصر والعولمه: ١١٢.

بـدأ المفهوم فى المـدن اليونـانيّه القـديمه، عبـاره عن فكره لانتخـاب ممثلين يتمُّ التصويت عليهم فى وسـط عام، ثمّ شـهد تطوّراً واسعاً على مدى التاريخ الطويل (١).

وقـد أثَّرت عليه ظروف وتجارب المجتمعات البشـريّه التى حفَّت به؛ لـذلك فمن الصـعب وضع تعريف عام لمفهوم الديمقراطيه بجميع المراحل التى مر بها، ولكن سنقوم بنقل بعض التعاريف التى يمكن أن توصل المفهوم الديمقراطى لمن يقرأ هذا البحث.

١. تعريف أرسطو طاليس

لقد حاول أرسطو طاليس أن يضع تعريفا للديمقراطيّه، بوضع الصوره الأولى للديمقراطيه التقليديّه، فكانت الديمقراطيّه لديه هى: «نظام سياسى يمثل إراده الشعب التى تُعَدُّ فوق كلّ شى حتّى القوانين (٢).»

٢. تعريف عبد الغنى بسيونى:

وعرفها عبد الغنى بسيونى، بقوله:

الـديمقراطيه التقليـديه، تجلّت فى أنّها مـذهب سياسـى بعيد عن أى طابع اقتصادى تضع الأفراد جميعاً فى حاله من المساواه أمام القانون (٣).

٣. الديمقراطيّه والليبراليّه:

لقـد اقترن مفهوم الـديمقراطيّه فى العصـر الحاضـر بمفهوم: أللبيراليّه على الرغم من اختلاف كلٍّ منهما عن الآخر، فالـديمقراطيّه وضع السـلطه بيد الشـعب كمفهوم سياسـى، فى حين أنّ الليبراليّه، هى إعطاء الحرّيه إلى الفرد مع وضع قيود على السلطه والدوله كمفهوم اقتصادى (۴).

١- (١) . أرسطو طاليس. السياسه: ١٩۴، ترجمه أحمد لطفى السيّد.

٢- (٢) . النظم السياسيه والحرّيات العامّه: ٣٣ - ٣۴.

٣- (٣) . النظم السياسيّه و أسّسّ ا التنظيم السياسى: ١٩٩ - ٢٠٠.

۴- (۴) . الديمقراطيّه وحمايه حقوق الإنسان فى الوطن العربى: ١٧٢.

فأصبحت الديمقراطيّه فى الغرب تعنى: الحرّيه السياسيّه، بمعنى تمكين الإفراد من مشاركتهم السياسيّه والتمتع بحقّهم الانتخابى.

۴. الديمقراطيّه فى العصر الحاضر

إنّ مسأله الـديمقراطيّه أخـذت تطرح بروح جديـده فى ظلّ تداعيات الوضع الدولى المعاصـر، بحيث أخذت الولايات المتّحده، تطرح انتفاء أىّ مبرّر لوجود تعدّديّه الديمقراطيّه للأمم مع بقاء أنموذجها الديمقراطى، أساساً لتقدّم الأمم.

وفى محـاوله إضـفاء صـفه شـرعيّه على مـا يجرى من انتهاكـات لحقوق الإنسـان فى مواطن عديـده من البقاع سواءً فى داخل أو خارج الولايات المتّحده الأمريكيّه، أصـبحت الديمقراطيّه نوعاً من الانحلال الثقافى، والسياسـى، بل أصبحت فى مجالات حياتيّه أخرى وبالاً على الكثير من الشعوب والأمم.

ثالثاً: تهميش الدوله فى ظِلّ العولمه:

لقـد أدرك الغرب أنّه- لأجـل تحقيق أطروحته الجديـده، ووصولاً إلى عالم بلا حـدود- لابـدَّ من قيامه بعمليّه تـذويبيّه للـدوله، تعمل على تهميش دورها لاستخلاص النتيجه المطلوبه، وقد عبر أحد الباحثين عن ذلك بقوله:

إن عصر العولمه نهايه لمبدأ وسياسه الدوله الأولى بالرعيّه، وبدايه لمبدأ وسياسه الدوله الأولى بالتهميش (۱).

كما عبّر بول كنيدى عن دور الدوله، والوضع الراهن بقوله:

إنّ العامل المسـتقل الذى جسدته الدوله فى الشؤون السياسـيّه والدوليّه على مدى العقود الماضـيّه، يبدو اليوم أنّه لا يفقد سيطرته وتماسكه فقط، بل يبدو أنّه قد غدا نموذجاً مغلوطا للكيان القادر على معالجه الظروف المستجّده. (۲)

۱- (۱) . سيناريو ابستمولوجى حول العولمه وأطروحات سياسيّه: ۳۹.

۲- (۲) . الإستعداد للقرن الحادى والعشرين، ترجمه محمّد عبد القادر وغازى مسعود: ۷۷.

وهكذا حدد الغرب نهايه الدوله، وبالتالى لابدّ لها من التراجع إلى الوراء معتبراً إيّاها مجرد آله، تستعمل فى الظروف القصوى، والواقع أنَّ الغرب لاسيّما أمريكا تستنكر تدخل الدول الأخرى، كما عبّر فوكاياما (١) عن ذلك صراحه بقوله:

الأمريكيين إجمالاً يقفون ضدّ تدخل الدوله، وهكذا هُمّشت الدوله فى ظِلَ ّالنظام الدولى الحاضر.

الدوله ظاهره ثانويّه:

يرى قسم من المراقبين أنَّ العالم اليوم مؤلّف من قوى جديده، وأسواق مستقلّه، وكيانات عملاقه ممّا يجعل الدوله ظاهره ثانويّه، وقسم آخر يرى العكس من ذلك، حيث يعتبر الدوله وحده مهمّه فى النظام العالمى.

وما يحدث الآن هو نتيجه ظاهره العولمه، وهو إعاده صياغه مفهوم الدوله وترتيب أمورها وآلياتها فى وجه تطور التقنيات والحقائق الجديده لعالم اليوم.

ويبدو أنَّ العولمه بدأت تقوض أيّ اتّساع لحجم سلطه الدول والأفراد، بسبب زياده مصالح وسياسات سلطه الكيانات الجبّاره وحضورها الفاعل.

لكن هناك من يعتقد بعدم وجود ظاهره العولمه، وتضائل دورها فى الدوله لوجود مؤسّسات الحكومه المستقرّه داخل الحدود الوطنيّه.

والحقيقه أنَّ وجود الدوله لا ينفى ظاهره العولمه، وأنّها أى: -الدوله- جزء من الواقع العملى الذى نعيشه، وعمليه العولمه ليست أمراً يسهل قياسه، وإنّما يمكن تحسُّسه على عدّه مستويات، وهو تآكل الدوله (٢).

ص:٩٠

١- (١) . الثقه والفصائل الاجتماعيه ودورها فى خلق الرخاء الاقتصاديه: ٢٧.

٢- (٢) . العرب وعصر العولمه: ١٤٦.

و بعـد الانتهاء من هـذا الفصل الـذى حاولنا فيه توضـيح معنى العولمه مع بيان المفاهيم المقاربه والنشأه ومراحل التطوّر، تبين أَنَّ العولمه هى مصـطلح اشـُتُقَّ من العالَميّه، لعـدم وجوده فى القواميس اللغويّه، وكذلك عرّفْنا بهذه الظاهره التى أخذت تغزو العالَم فى جميع مجالاتها، فكانت عباره عن ظاهره عالميّه بدأت بتغيير الكثير من جوانب الحياه البشريّه.

وهذا ممّا دفع البعض - ممّن تعاطى مع هذه الظاهره الحضارّيه بقوّه، عن طريق الجهل متناسـياً ما فى الإسلام من عظمه فى جميع القضايـا- إلى أنّ يعتبر العولمه الغربيّه هى صـاحبه الامتيـاز، والحـامله للحلول النـاجعه لمـا تعـانيه البشـريّه من مشاكل فى العصـر الحاضـر، بحيث لم يتوانَ عن التفكير ولو لمـدّه قصـيره فى سـلبياتها، بـل اعتبرهـا إيجابـاً لاسـلب معه، وخيراً لا شـرَّ قباله، فأخـذه الإنبهار بها متصوّراً أنها ستوصل الإنسان إلى التكامل المنشود، والذى خُلق من أجله.

فبدأ يدير وجهه عن القضايا الفطريّه، والشـريعه الإلهيّه المتمثّله بالإسلام، وأخذ يتناسى ما فى هذا الدين الحنيف من كمال ورقى فى جميع المجالات الحياتيّه، والذى من خلاله يستطيع الإنسان الوصول إلى السعاده الأبديّه فى الدنيا والآخره.

فهل هناك عالميّه إسلاميّه؟

وهل هناك نظريّه سياسيّه أو ثقافيّه فى الإسلام؟

وما هو رأى الإسلام فى مجال الدوله؟

هذا ما سوف نحاول بحثه فى الفصل الثالث بنوع من المقارنه البسيطه بينها وبين العولمه الغربيّه المعاصره.

ص:٩١

٢-التفسير المقارن لآيه الإظهار

تمهيد:

إنّ المراد فی هذا الفصل، هو القيام بنوع من المقارنه فی تفسـير هذه الآيه بين علماء الشـيعه وأهل السنّه، ومحاوله الخروج بنتيجه واضحه وصحيحه، أو على الأقلّ إعطاء مصداق واقعی لهذه الآيه المباركه.

فيكون البحث فی الآيه فی موضوعات:

أ). الآيات المشابهه لآيه الإظهار.

ب). تحليل ألفاظ آيه الإظهار.

ج). مُفاد آيه الإظهار.

د). آيه الإظهار عند مفسرّی الشيعه.

ه). آيه الإظهار عند مفسرّی أهل السنّه.

و). معنى إظهار الإسلام على الدين كلّه.

ز). البُشرى بإقامه الدوله العالميّه الإسلاميّه.

بين يدی آيه الإظهار

اشاره

قال تعالى: هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى

اَلدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ١.

تعتبر هـذه الآـيه المباركه والتى أطلقنا عليها اسم آيه: الإظهار من الآيات الواضـحه الـدلاله منطوقاً ومفهوماً على عالميّه الإسـلام، وانتشـار الـدين الإسـلامى على جميع أرجـاء المعموره بالكامـل مسـتعلياً على جميع الأديـان والمـذاهب، بجميع أنحاء الاسـتعلاء والظهور.ومتقـدماً على جميع النظريّات العلميّه والعمليّه، غير الإسـلاميّه، والتى منها النظريّات العولميه المعاصـره التى نحن بصـدد البحث فيهـا، بنوع من المقـارنه بين النظريّات التى طرحتها هـذه الظاهره المعاصـره التى يُراد لها أن تحكم العالم بصوره جديـده. وبين مـا يهـدف اليه الـدين الإسـلامى من انتشـار، وعالميه إلهيه مباركه، يُراد لها أن تملأ العالم بأسـره، تحت رايه الحق والعـدل الإلهى، وعلى يد الإمام المهدى(عج) مسـتفيدين فى ذلك من مضـمون هذه الآيه الشريفه، مع نوع من المقارنه بين مجموعه من الآراء التفسيريّه لهذه الآيه بين علماء الفريقين.

ولكن السؤال الذى ربّما يتبادر للقارئ الكريم هو: لماذا أطلقنا هذا الاسم بالذّات على هذه الآيه الكريمه؟

وبدورنا وفى مقام الجواب عن هذا التسائل، نقول:

إنّ كلمه الإظهار لغه، تعنى: الغلبه والاستعلاء.

والآـيه المبـاركه صـريحه فى إثبـات تعلق الإراده الإلهيّه بإظهار الإسـلام على جميع الأديان الأخرى. وكلمه: الإظهار هنا أخـذت الدور البارز فى التعبير عن مراد الآيه، وهو: الغلبه واستعلاءه على جميع هذه لأديان.

كـذلك تحمـل وعـداً إلهيّاً جميلاً بأنّ يُتمّ الله تعالى نوره الـذى ذكر فى الآيات السابقه على هـذه الآيه، فيظهر نور الإسـلام على جميع الأديان السماويّه والأرضيّه الماديّه وغير الماديّه، والذى يستفاد من قوله تعالى:

لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ. وأيضاً كان لكلمه: لِيُظْهِرَهُ، والتى تعطى معنى: الإظهار الواضح فى إيصال المعنى المراد.

وكذلك من خلال الإطلاق الوارد فى كلمه: لِيُظْهِرَهُ وعدم وجود أىّ نوع من المقيّدات بنمط معين من الإظهار، ك: ظهور الأفضليه، أوالقوّه، أوالغلبه بالحجّه على المستوى العقلى أوالإستلالى أوالبيانى، وأىّ نوع من أنواع الغلبه والاستعلاء الأخرى. وهذا أيضاً مستفاداً من كلمه: لِيُظْهِرَهُ، والتى تعطى معنى: الإظهار.

إن هذه المفرده اللغوّيه، تُعطى البُشرى التى تحملها الآيه الكريمه، والتى تتظمّن أقامه دوله إسلاميه عالميّه تكون فيها الحاكميّه المطلقه للشريعه الإسلاميّه، لا غير.

كما تُعطى المعنى التامّ لتطهير الأرض من جميع أشكال الظلم والاظطهاد الناتج عن الأديان المنحرفه والنظريّات الزائفه التى تتشبث بها عقول الكثيرين ممّن يكون فى غايه البعد عن المبادئ الإلهيّه الحقّه.

إذاً: كان المحور الهام فى مفادهذه الآيه هو الإظهار على جميع الأديان والنظريّات غير الحقّه، وبجميع أنواع الإظهار وأشكاله.

من هنا ارتأينا أن نُطلق هذا الاسم - المستوحى من الآيه الكريمه نفسها- عليها بغيه تعيينها والتعريف بها، والغور فيها من خلال هذا البحث، سائلين المولى تعالى أن نكون موّفقين فى إيصال المراد منها إلى القارئ الكريم.

أ). الآيات المشابهه لآيه الإظهار

اشاره

وردت آيه الإظهار فى القرآن الكريم مرّتين بنفس اللفظ، مرهً فى سوره التوبه، وأخرى فى سوره الصف، وهى قوله تعالى: هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ... ١.

ص:٩٥

ووردت مرّهً ثالثهً مع اختلاف يسير في سوره الفتح (۱)إضافه إلى آيات كثيره تشابه آيه الإظهار، فقد تشابهها باللفظ والمعنى، وقد تشابهها بالمعنى فقط، وتفيد ما أفادته آيه الإظهار إفاده تامّه أو قريبه منها.

وإليك مجموعه من تلك الآيات على سبيل الإجمال مع تقسيمها إلى ما يدلُّ منها على عالميه الإسلام، وما يدلُّ منها على الاستخلاف:

أوّلًا: آيات العالميّه:

الآيه الأولى:

وَ أَرْسَلْناكَ لِلنّاسِ رَسُولاً ٢.

قال الطبرى في تفسير هذه الآيه المباركه:

أي إنّا جعلناك يا محمّد، رسولاً بيننا وبين الخلق تبلغهم ما أرسلناك به من رساله، وليس عليك غير البلاغ وأداء الرساله إلى من أرسلت (۲).

ومن خلال النظر إلى كلمه: الخلق على إطلاقها ومن غير أيّ قيد، نعرف أنّ النبيّ الكريم(صلى الله عليه و آله) قد بُعث للأنس والجن، فضلًا عن الأنس فقط.

وهذا أيضاً ما أكّده العلّامه الطباطبائي(قدس سره) من خلال تفسير للآيه الأولى من سوره الفرقان، بقوله:

والعالمون جمع: عالم ومعناه. الخلق: واللفظه و إن كانت شامله لجميع من الجماد والنبات والحيوان والإنسان والجّن والملك لكن سياق الآيه- وقد جعل فيها الإنذار غايه لتنزيل القرآن، يدلّ على كون المراد بها المكّلفين من الخلق، وهم الثقلان: الإنس والجن (۳).

ص:۹۶

۱- (۱) . الفتح: ۸.

۲- (۳) . تفسير جامع البيان: ۵ /۲۱۰.

۳- (۴) . تفسير الميزان: ۲۴۷/۱۵.

وجاء فی تفسیر البحر المحیط أنّه(صلی الله علیه و آله) بعث للناس عامهم وخاصتهم (۱).

الآیه ثانیه:

وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلاّ کَافَّهً لِلنّاسِ بَشِیراً وَ نَذِیراً وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النّاسِ لا یَعْلَمُونَ ۲،

یعنی: أحمرهم وأسودهم (۲).

الآیه الثالثه:

قوله تعالی: تَبارَکَ الَّذِی نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلی عَبْدِهِ لِیَکُونَ لِلْعالَمِینَ نَذِیراً ۴.

قال العلّامه الطباطبائی فی ذیل هذه الآیه لِیَکُونَ لِلْعالَمِینَ نَذِیراً.

اللّام للتعلیل، وتدلّ علی أنّ غایه تنزیل الفرقان علی عبده أن یکون منذراً لجمیع العالمین من الإنس والجنّ؛ والجمع المحلّلا باللّام یُفید الاستغراق، ولا یخلوا الإتیان بصیغه الجمع المحلّی باللّام من إشاره إلی أنّ الجمع إلهاً واحداً، لاکما یذهب إلیه الوثنیّون، حیث یتّخذ کلّ قوم إلهاً غیر ما یتّخذه الآخرون (۳).

الآیه الرابعه:

قوله تعالی: قُلْ یا أَیُّهَا النّاسُ إِنِّی رَسُولُ اللّهِ إِلَیْکُمْ جَمِیعاً ۶.

جاء فی تفسیر هذه الآیه:

قال: فمن بلغه هذا القرآن من عرب وعجم وأسود وأحمر، وإنس وجان، فهو له نذیر.

ونقل عن مجاهد قوله فی تفسیر هذه الآیه، یعنی: الأنس والجّن، فهو صلوات الله علیه، رسول الله إلی الناس أجمع، الثقلین الأنس والجّن (۴).

۱- (۱) . تفسیر البحر المحیط.

۲- (۳) . تفسیر البغوی: ۳/ ۵۵۵.

۳- (۵) . تفسیر المیزان: ۱۵/ ۲۴۷.

۴- (۷) . تفسیر القرآن العظیم: ۳/۱.

إن هذه الآيات قد استخدمت لفظتى الناس والعالمين وما فيهما من الدلاله على الإطلاق هو دليل على أنّ الرساله الإسلاميّه رساله عالميّه، وكذلك الرسول الأكرم(صلى الله عليه و آله) إنّما هو لجميع الناس، لا لفئه دون أخرى.

الآيه الخامسه:

قوله تعالى: وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ ١ ، كلّنا يعرف أنَّ من الأدله على عالميّه الدين الإسلامى هو عدم اختصاص من أرسل به، بأمّه دون أمّه، أو تحديده بقوم أو منطقه معيّنه، فهو رحمه حتّى لغير المسلمين، و غير معتنقى الإسلام يعلمون أنّ هذه الدعوه شامله، وغير محدَّده بمنطقه جغرافيّه معيّنه، فإنَّ هذه الآيه أشارت إلى رحمه وجود النبىّ(صلى الله عليه و آله) العامّه، فإنّه لعامَّه البشر فى الدنيا، سواء الكافر منهم أو المؤمن؛ لأنّه تكّفل بنشر الدين الذى ينقذ الجميع، دون تمييز منه؛ لأنّ التعبير بالعالمين له إطار واسع يشمل كلَّ البشر وعلى امتداد الأعصار والقرون، لهذا يعتبر الإسلام هو خاتم الديانات وأعمّها.

الآيه السادسه:

قوله تعالى: هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لقد ذكرت هذه الآيه ثلاث مرّات فى القرآن الكريم وذلك بالإضافه إلى سوره التوبه، فقد ذكرت أيضاً فى سوره الصف الآيه:٩ .

وسوره الفتح الآيه: ٢٨، وما ذلك إلّا تأكيداً منه تعالى بأنّه سوف يظهر هذا الدين على جميع المعموره.

فان بِالْهُدى هى الهدايه الإلهيه التى قرنها برسوله ليهدى بأمره، و دِينِ الْحَقِّ هو الإسلام بما يشتمل عليه من الأحكام والعقائد المنطبقه على الواقع الحّق، ومعناه: أنَّ الله تعالى الذى أرسل رسوله محمّداً(صلى الله عليه و آله) مع الهدايه والآيات والبينات، والدين الفطرى ليظهره وينصره على جميع الأديان الأخرى.

ثانیاً: آیات الاستخلاف:

الآیه الأولی:

قال تعالی فی سوره النور: وَعَدَ اللّهُ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ لَیَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِی الْأَرْضِ کَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَیُمَکِّنَنَّ لَهُمْ دِینَهُمُ الَّذِی ارْتَضی لَهُمْ وَ لَیُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً یَعْبُدُونَنِی لا یُشْرِکُونَ بِی شَیْئاً وَ مَنْ کَفَرَ بَعْدَ ذلِکَ فَأُولئِکَ هُمُ الْفاسِقُونَ ١.

تبیّن مجموعه من الآیات الکریمه، ومنها هذه الآیه أن الدوله العالمیّه الإسلامیّه التی سیظهر فیها اسم الله، والتی ستنبثق من إظهار الإسلام علی جمیع الأدیان الموجوده فی الأرض وسوف یظهرها الله تعالی علی أیدی صالحی المؤمنین، فهی تصرح فی صفات وهُویّه الذی یحقّق الله تعالی به وعده الجمیل بإتمام نوره وإشراق کلّ الأرض به.

فی هذه الآیه خطاب للأمه الإسلامیّه بأنّه سوف یستخلف الله منهم قوماً مؤمنین به تعالی، وبما جاء به الرسول الکریم(صلی الله علیه و آله) مع العمل الصالح؛ لأنّ الأیمان یحثّ علی تجسیده بالعمل الصالح، وفی العمل الصالح ینال الإنسان مرتبه الخلافه الإلهیّه: لَیَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِی الْأَرْضِ کَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ، والاستخلاف هذا یکون بالتمکین من الله تعالی، وَ لَیُمَکِّنَنَّ لَهُمْ دِینَهُمُ الَّذِی ارْتَضی لَهُمْ، توطید حکم الله تثبیت أرکانه فی الأرض بعد أن کان متزعزعا؛ لأنّ التمکین عکس التزلزل والاضطراب، فیکون الله تعالی قد بدّل الخوف والاضطراب، بالأمن والثبات: لا یُشْرِکُونَ بِی شَیْئاً. و الآیه بحسب القرائن الحیثیّه وارده بشأن الحجّه بن الحسن(علیه السلام).

قال ابن کثیر فی تفسیره لهذه الآیه: إنّ هذا عهد من الله لرسوله(صلی الله علیه و آله) بأنّه سیجعل أمّته خلفاء الأرض، أئمّه للناس والولاه

علیهم، وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد، ولیبدّلنّهم بعد خوفهم من الناس أمناً؛ وذلک قوله: وَ لَیُمَکِّنَنَّ لَهُمْ دِینَهُمُ الَّذِی ارْتَضی لَهُمْ وَ لَیُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً، کما قال رسول الله(صلی الله علیه و آله) لعّدی بن حاتِم، حین وفد علیه المدینه:

«أتعرف الحیره»؟. قلت: لم أرها. وقد سمعت بها.قال صلی و آله:

عن الصادق(علیه السلام)إنّ ذلک یکون عند خروج المهدی(عج) من آل محمّد(صلی الله علیه و آله) فلا یبقی أحد إلّا أقرَّ بمحمّد(صلی الله علیه و آله).

وقال الکلبی:

لا یبقی دین إلّا ظهر علیه الإسلام، وسیکون ذلک ولم یکن بعد، ولا تقوم الساعه حتّی یکون ذلک. وقال المقداد بن الأسود: سمعت رسول الله(صلی الله علیه و آله) یقول:

«لا یبقی علی ظهر الأرض بیت مدر، ولا وبر، إلا أدخله الله کلمه الإسلام» (۱).

وجاء فی تفسیر المیزان:

إنّ تمکین الشیء إقراره، وهو کنایه عن: ثبات الشیء من غیر زوال واضطراب وتزلزل، بحیث یؤثّر أثره، من غیر مانع ولا حاجز، فتمکّن الدین هو کونه معمولاً به، فی مجتمع کفر أو استهانه بأمره، ومأخوذ بمعارفه من غیر اختلاف وتخاصم (۲). والمتحصّل من ذلک کلّه:

أنّ الله سبحانه، یعد الذین آمنوا وعملوا الصالحات أنّه سیجعل لهم مجتمعاً صالحاً خالصاً من وصمه الکفر والنفاق والفسق وهو الذی سیرث الأرض، وهذا المجتمع الطیب الطاهر، علی ماله من الصفات والفضیله، لم یتحقّق منذ زمان النبی(صلی الله علیه و آله) إلی یومنا هذا، وإن انطبق، فسینطبق علی زمن ظهور المهدی(عج) علی ما ورد من صفته فی الأخبار المتواتره، عن النبیّ(صلی الله علیه و آله) وأهل البیت(علیهم السلام).

قال العلامه الطباطبائی(قدس سره):

المراد من استخلافهم فی الأرض، عقد مجتمع مؤمن صالح، فهم یرثون الأرض.

فالحقّ أنّ الآیه، إن أُعطیت حقَّ معناها لم تنطبق إلّا علی المجتمع الموعود الذی سینعقد بظهور المهدی(عج) وإن سومح فی

۱- (۱) . مجمع البیان: ۵/ ۴۵.

۲- (۲) . تفسیر المیزان: ۵ / ۱۵۳.

تفسیر مفرداتها وجملها، وکان المراد باستخلاف الذین آمنوا وعملوا الصالحات استخلاف الأمّه بنوع من التغلیب ونحوه (۱).

وفی تفسیر الأمثل:

إنّ نتیجه جهود جمیع الأنبیاء والمرسلین حصول حکم بسوره التوحید، بحیث یتحقّق الأمن الکامل والعباده الخالیه من الشرک، و لا یکون ذلک إلّا حین ظهور المهدی(عج)، وهو من سلاله الأنبیاء(علیهم السلام)، وحفید النبیّ الأکرم(صلی الله علیه و آله).

الآیه الثانیه:

قال تعالی: وَ نُرِیدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَی الَّذِینَ اسْتُضْعِفُوا فِی الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّهً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِینَ. ۲ اتفّقت کلمه الکثیر من المفسرّین علی أنّ هذه الآیه نزلت فی محمّد(صلی الله علیه و آله) وأهل بیته(علیهم السلام)، فهی خاصَّه بقائمهم. فعن الشیخ الطوسی(رحمه الله) فی کتاب الغَیبه بإسناده إلی محمّد بن الحسین، عن أبیه، عن جدّه، عن الأمام علیّ(علیه السلام) مفسِّراً الآیه قال:

هم آل محمّد یبعث الله مهدیَّهم بعد جدِّهم فیعزهم ویذلّ عدوهم (۲)

(۳).

فهذه الآیه تحدَّثت عن زمان یکون الإسلام فیه قد عَّم البسیطه، ولم یبقَ بیت إلّا دخله الإسلام، فهی أحد الدلائل علی عالمیّه الإسلام وکونه رساله عالمیّه.

الآیه الثالثه:

قال تعالی: وَ لَقَدْ کَتَبْنا فِی الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّکْرِ أَنَّ الْأَرْضَ یَرِثُها عِبادِیَ الصّالِحُونَ ۵.

ص:۱۰۲

۱- (۱) . المصدر: ۱۵۶.

۲- (۳) . تفسیر الصافی: ۴/ ۱۱۳.

۳- (۴) . المصدر: ۴/ ۱۱۳.

إنَّ هـذه الآـيه تفصـح عـن سُـنَّه إلهيّه فى خلقه تعـالى يختصُّ الله تعـالى بهـا طـائفه خـاصَّه من المـؤمنين - الـذين هم من عبـاده الصالحين - بوراثه الأرض.

أيضـاً هـذه الآـيه لهـا دلاـله هـامّه حول عـالميّه الإسـلام؛ وذلـك بملاـحظه الحاله الانتاجيّه للإنسان الصالـح، هو أن يكون وريثاً للأرض، وكلمه الأرض جاءت بصوره الإطلاق .

فعن الأمام الصادق(عليه السلام) عندما سئل عن الزبور والذكر؟

قال(عليه السلام):

الـذكر عنـد الله، والزبور الـذى نزل على داود وكلّ كتاب نزل، فهو عند أهل العلم ونحن هم (۱) والمراد بالعباد الصالحين الذين يرثون الأرض: أصحاب الأمام المهدى فى آخر الزمان (۲).

قيل:

ولكن يبدو على الأغلب، أنَّ الزبور هو كتاب مزامير داود، خاصَّه وأنَّ المزامير الموجوده تطابق هذه الآيه تماماً (۳).

وقد قيل:

إنَّ الأـرض هى المعروفه ترثهـا أمَّه محمّـد(صـلى الله عليه و آله) بـالفتوح بعـد إجلاـء الكفار، كما قال: ؛ لأنَّ لفظ الإرث، يعنى: الانتقال انتقال شـخص الشـىء من دون معامله وأخذ وعطاء. وقد اسـتعملت هذه الكلمه فى القرآن أحياناً بمعنى: التسلّط وانتصار قوم صـالحين على قوم طـالحين، والسـيطره على مواهبهم وإمكانياتهم، كما نقرأ فى الآيه: وَ أَوْرَثْنا الْقَوْمَ الَّذِينَ كانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغارِبَهَا ۴.

ص:۱۰۳

۱- (۱) . تفسير الصافى: ۴/ ۳۳۱.

۲- (۲) . المصدر: ۴ / ۳۳.

۳- (۳) . تفسير الأمثل:۱۰/ ۲۲۸.

وقال العلّامه الطباطبائی:

الظاهر أنَّ المراد بالزبور کتاب: داود(علیه السلام)، وقد سمی بهذا الاسم فی قوله تعالی: وَ آتَیْنا داوُدَ زَبُوراً ۱.

وقیـل: المراد به القرآن، وقیـل: المراد به مطلق الکتب المنزله علی الأنبیاء أو علی الأنبیـاء بعـد موسـی، ولاـ دلیل علی شـیء من ذلک.

والمراد بالذکر، قیل: هو التوراه، وقد سـمهاها الله فی موضـعین، وهما قوله تعالی: فَسْـئَلُوا أَهْلَ الذِّکْرِ إِنْ کُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ۲، وقوله تعالی: وَ ذِکْراً لِلْمُتَّقِینَ ۳.

وقیل: المراد هو القرآن، وقد سمّاه الله ذکراً فی مواضع من کلامه.

وکون الزبور بعد الذکر علی هذا القول بعدیه رتبیه لا زمانیه. وقیل: هو اللوح المحفوظ (۱).

وکلمه الأـرض تطلق علی جمیع الکره الأرضـیّه، وتشـمل جمیع أنحـاء العـالم، إلاّـ أنّ تکون هنـاک قرینه خاصّه، وأمّا المراد من وراثه الأـرض؛ إمّـا وراثه دنیویّه، وهو التسـلّط علی منافعهـا واسـتقرار برکات الحیاه بها، وهـذه البرکات؛ وإمّا دنیوّیه، راجعه إلی الحیـاه الـدنیا کالتمتع الصالـح بأمتعتها وزینتها، فیکون مؤدَّی الآیه: أنَّ الأرض سـتتطهَّر من کلَ ـِرجس وشـرک ومعصـیه، ویحلُّ محلَّها مجتمع صالـح لا یعصون الله طرفه عین أبداً ولا یشـرکون بعبادته أحداً. فتکون مختصّه بالوراثه الدنیوّیه وتحمل علی زمان ظهور الأمام المهدی(عج)، عندما یملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

وإمّا برکات أخرویّه، وهی تعبّر عن مقامات القرب التی اکتسبوها فی حیاتهم الدنیا، فإنّها من برکات الحیاه الأرضیّه، کما

۱- (۴) . تفسیر المیزان: ۱۴/ ۳۳۱.

يشير إليه قوله تعالى حكايه عن أهل الجنّه: وَ قالُوا الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِی صَدَقَنا وَعْدَهُ وَ أَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأَ مِنَ الْجَنَّهِ حَيْثُ نَشاءُ ١.

وبالجمله: فإنَّ الآيه مطلقه تعمّ الوراثتين جميعاً (١).

وعن ابن عباس فى روايه أخرى، قال أبو جعفر(عليه السلام):

.

ويدلُّ على ذلك ما رواه الخاصُّ والعام عن الإمام على(عليه السلام) عن الرسول الأكرم(صلى الله عليه و آله) أنه قال:

لو لم يبقَ من الدهر إلّا يوم لبعث الله رجلًا من أهل بيتى، يملأها عدلاً كما ملئت جورا> (٢). ثم ذكر جمله من الروايات، وقال: والأحاديث فى التنصيص على خروج المهدى(عليه السلام) اصح إسنادا (٣).

وإضافه إلى ذلك، فقد وردت روايات كثيره عن الرسول الأكرم(صلى الله عليه و آله) وأئمّه أهل البيت(عليهم السلام)، فى شأن المهدى(عج)، وكلّها تدلّ على أنّ حكم الأرض سيقع فى أيدى الصالحين، وأنَّ رجلًا من أهل بيت النبى(صلى الله عليه و آله)يقوم فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً.

وعليه نحصل من التدبر فى الآيه المباركه .على الدلالات التاليه:

أوّلًا: إنّها تشتمل على قضاء إلهى حتمى بتكريم خطّ الأيمان والصلاح بجزاء دنيوى فضلًا عن الجزاء الأخروى، يتمثّل فى وراثه الأرض وحكمها.

ثانياً: مقتضى وراثتهم للأرض وحكمهم لها، بأن يقيموا بمقتضى صلاحهم بتطهيرها من الشرك والمعصيه وتحقيق آمال وأهداف جميع العباد الصالحين على مدى التاريخ (۴).

ص:١٠٥

١- (٢) . تفسير الميزان: ١٧/ ٣٣٠.

٢- (٣) . ينابيع الموده: ٣/ ٢٧١ . رواه أبو داود وأحمد والترمذى وابن ماجه.

٣- (۴) . مجمع البيان: ٧١/ ١١٩- ١٢٠.

۴- (۵) . الرؤيه القرآنيّه للقضيّه المهدويّه: ۵٨.

الآیه الرابعه:

قال تعالی: اَلَّذِینَ إِنْ مَکَّنّاهُمْ فِی الْأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاهَ وَ آتَوُا الزَّکاهَ وَ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنِ الْمُنْکَرِ وَ لِلّهِ عاقِبَهُ الْأُمُورِ ١، إنَّ کلمه: مکان عند أهل اللغه، تغنی: الموضع الحاوی لشیء. وعند بعض المتکلّمین أنّه عرض، وهو اجتماع جسمین حاوٍ ومحويٍ، وذلک إنّ یکون سطح الجسم الحاوی محیطاً بالمحوی، فالمکان عندهم هو المناسبه بین هذین الجسمین. قال: مَکاناً سُویً ٢. ویقال: مکّنته، ومکَّنت له فتمکَّن. قال: وَ لَقَدْ مَکَّنّاکُمْ فِی الْأَرْضِ ٣ ، وَ لَیُمَکِّنَنَّ لَهُمْ دِینَهُمُ الَّذِی ارْتَضی لَهُمْ ۴.

وربما تأتی کلمه التمکین بمعنی: الغلبه، والسیطره والانتصار، کقولک: مکّنت فلاناً من فلان. فالمتمکن: ذو قدره ومنزله. (١)

وقوله: أَنَّ الْأَرْضَ یَرِثُها عِبادِیَ الصّالِحُونَ ، قال الراغب: إن الوراثه والإرث هو انتقال قنیه إلیک من غیر عقد (٢).

فالمراد أنّ الذین آتیناهم القدره فی الأرض، یقیمون الصلاه ویؤتون الزکاه، ویأمرون بالمعروف وینهون عن المنکر .

إذاً: هناک فئه فی الأرض سوف یمکّنهم الله فی الأرض، ویکون حکمهم حکماً عالمیّاً غیر محدود، بحیث تنتشر رسالتهم وینتشر دینهم، وهذه آیه من الآیات التی تثبت عالمیّه الإسلام، وتمکّنه فی جمیع المعموره.

ص:١٠۶

١- (۵) . مفردات القرآن: ٧٢٢.

٢- (۶) . المصدر: ٨۶٣.

ب). تحليل ألفاظ آيه الإظهار

إنَّ كلمه: الرسل فی اللغه العربيه، تعنی:

الانبعـاث على التُّؤدَه. ويقـال: ناقه رسـله أی: سـهله السـير. وابِل مراسـيل: منبعثه انبعاثاً سـهلًا، ومنه الرسول المنبعث. ويصوَّر تارةً الرفق فيُقـال: على رسـلک، إذا أمرته بالرفق. ويقال تارةً: الانبعاث، فاشـتق منه الرسول. والرسول يُقال تارةً للقول المتحمل، وتاره لمتحمل القول والرساله والرسول و يُقال للواحد والجمع. قال تعالى: لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ١، وللجمع: فَقُولا إِنّا رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ ٢.

وجمع الرسول: رسل. ورسل الله تاره يراد بهم الملائكه، وتارةً أخرى الأنبياء.

والأوّل: قوله تعالى: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ٣، وقوله: بَلى وَ رُسُلُنا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ۴.

والثانی: قوله تعالى: هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ.

أما قوله تعالى: بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ الهدى بمعنى: هدى، يهدى، هدياً، وهديّةً وهدايه، أرشده وهو ضدّ أضلَّه.

ويقال: هداه الطريق، وهداه إلى الطريق، وللطريق: بينه له وعرّفه به، وهداه الله إلى الإيمان وللإيمان (١).

وقال الراغب الأصفهانی: الهدايه دلاله بلطف، ومنه: الهديهُ، وهوادی الوحش، أی: متقدّماتها الهاديه لغيرها.

وقال أيضاً: وهدايه الله للإنسان على أربعه أوجه:

الأوّل: الهدايه التی عمَّ بجنسها كلَّ مكلَّف من العقل، والفطنه،

١- (۵) . مفردات ألفاظ القرآن: ٣۵٣، ٨٣۵.

والمعارف الضروريّه أعمَّ منها كلَّ شيء بقدر فيه حَسْبَ احتماله، كما قال تعالى: قالَ رَبُّنَا الَّذِی أَعْطی کُلَّ شَیْ ءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدی ۱.

الثانی: الهدایه التی جعل للناس بدعائه إيّاهم علی ألسنّه الأنبیاء، وإنزال القرآن، ونحو ذلک، وهو المقصود بقوله تعالی: وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّهً یَهْدُونَ بِأَمْرِنا ۲.

الثالث: التوفیق الذی یختصُّ به مَن اهتدی، وهو المعنیُّ بقوله تعالی: وَ الَّذِینَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدیً ۳ وقوله تعالی: وَ مَنْ یُؤْمِنْ بِاللّهِ یَهْدِ قَلْبَهُ وَ اللّهُ بِکُلِّ شَیْ ءٍ عَلِیمٌ ۴.

الرابع: الهدایه فی الآخره إلی الجنه المعنیُّ بقوله تعالی: وَ نَزَعْنا ما فِی صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ ۵، وقوله تعالی: سَیَهْدِیهِمْ وَ یُصْلِحُ بالَهُمْ ۶.

إذاً: المراد بالآیه: أنّ الله أرسل رسوله بلطف ورشد، لیهدی ویرشد الناس جمیعاً، ولم یرشده بالضلال، والتیه، قال بِالْهُدی وَ دِینِ الْحَقِّ و دِینِ الْحَقِّ هو الدین الصحیح الذی یجب أن یتبع، أَ فَمَنْ یَهْدِی إِلَی الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ یُتَّبَعَ ۷؛ لأنَّ الحقَّ هو الذی یجب أن یُتَّبع، ویجب أن یُؤخذ کطریق للوصول إلی مرضاه الله والتکامل البُشری، وقال الله تعالی: أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِینِ الْحَقِّ هو الهادی إلی دِینِ الْحَقِّ، فهو المرسل وهو الهادی؛ لأنه لا هادی غیره قُلْ هَلْ مِنْ شُرَکائِکُمْ مَنْ یَهْدِی إِلَی الْحَقِّ قُلِ اللّهُ یَهْدِی لِلْحَقِّ ۸.

ص:۱۰۸

وقوله تعالی: لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ الإظهار الإیضاح، یُقال: أظهر الشیء أوضحه وأبانه فجعله ظاهراً لإخفاء فیه، وأظهر فلاناً علی الخبر: أطلعه علیه وأخبره به، عالِمُ الْغَیْبِ فَلا یُظْهِرُ عَلی غَیْبِهِ أَحَداً إِلاّ مَنِ ارْتَضی مِنْ رَسُولٍ ١.

وأظهره علی الشخص جعله مستعلیاً علیه، والاستعلاء بالعلم، أو السیاده والغلبه، أو الشرف والمنزله، أو بها کلّها. وهذا هو المراد بهذه الآیه.

وقوله تعالی: عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ أی: علی جمیع الأدیان السماویّه والأرضیّه، وقوله تعالی: وَ لَوْ کَرِهَ الْمُشْرِکُونَ إنَّ معنی: الکره فی اللغه هو: ما أکرهت نفسکَ علیه، وبالفتح ما أکرَهکَ غیرک علیه، کَرهِه کَسَمِعَه، کرهاً یضمُ، کراهه وکراهیه بالتخفیف. ومکرهه وما نفهمه مکرههً (١) الشیء ضدّاً أحبّه، فهو کاره والشیء مکروه ومن کره الشیء أن لم یعبه، وکره وقوعه، کذلک فی المقام تری أن المشرکین عندهم حقّ أو کرهاً علی الإسلام.

ولما ظهر الإسلام، فهم أوّل من کره ظهوره فی بدایه البعثه، وتبقی هذه الکراهیّه حتّی فی ظهوره التامّ علی جمیع الأدیان، ومن هنا یجرنا البحث إلی بحث الإراده الإلهیّه والإراده عند الإنسان فی مضمون هذه الآیه المبارکه.

لذا یلزم أن نبحث فی الإراده بعض الشیء مع نوع من التفصیل، ونفرق بین الإراده الإلهیّه والإراده الإنسانیّه وعند المشرکین بصوره خاصّه فی الأبحاث الآتیه.

ج). مُفاد آیه الإظهار

قال تعالی: هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ وَ لَوْ کَرِهَ الْمُشْرِکُونَ ٣.

ص:١٠٩

١- (٢) . القاموس المحیط: ٣ / ٣٨٦.

إذا ما طالعنا الآيه القرآنيّه المباركه لرأينا أنَّ الله تعالى: يريد إتمام نوره ودينه: هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِینِ الْحَقِّ.

وهـذه بشـاره من الله تعـالی إلی المسـلمین الـذین جاهـدوا فی سبیل إعلاء کلمته، وإعلاء رایه الإسـلام فوق ربوع المعموره، بأنَّ الإسـلام سوف یظهر علی جمیع الأدیان الإلهیّه وغیر الإلهیّه، فیکون الـدین العالمی، الذی تقبله البشـریه کافه، کما قال تعالی: إِنَّ الدِّینَ عِنْدَ اللّهِ الْإِسْلامُ وَ مَا اخْتَلَفَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ إِلاّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْیاً بَیْنَهُمْ ١.

فهو رساله ربانیّه تغییریّه شامله، تهدف إلی تغییر الإنسان بشکل کامل وأساسی، وهو ثوره ضدّ الظلم والاضطهاد، والتفرقه بجمیع أنواعهـا، کمـا هو ثوره ضـدّ الجـاهلیّه بکـلّ مفاهیمهـا وقیمهـا ومظاهرهـا وأشـکالها، وکلّ الأبعاد التی ترتبط بحیاه هـذا الإنسان؛ وذلک لأنّ الإسـلام فی حقیقته ومحتواه، هو التسـلیم المطلق لله وحده والتسلیم التامّ فی جمیع مراحل الحیاه. وأیضاً؛ لأنّ الشریعه الإسلامیه تقدّم الضمان وتحقیق حاجه البشر الطبیعیّه والفطریّه، وکذلک فی مجال الأحکام، فقد بین الإسلام سلسله من الأصول، والکلیـات الجـامعه، الثابته التی یمکنها أن تلّبی الحاجات البشـریّه المسـتجدّه والمتنوعه، أوّلاً بأوّل، کما أنّ الآیات القرآنیّه تثبت عمومیّه الـدین الإسـلامی وعـالمیتّه، من خلاـل اسـتعمال الألفـاظ العـامّه، أمثال: بنی آدم، أیها الناس، العالمین، وتوجیه الخطاب للأمم الأخری من غیر العرب، وأتباع الأدیان الأخری، أمثال یا أهل الکتاب، فأراد الله تعالی أن یُظهر هـذا الـدِّین الحقّ علی سائر الأدیـان وذلـک بنسـخه إیّاهـا- حسـبما تقتضـیه الحکمه- فإمّـا أن یجعله مسـتعلیاً علیها، والاسـتعلاء بالعلم أو السـیاده والغلبه، أو الشرف والمنزله أو بها کلّها.

ص:١١٠

وهـذا المعنى مأخوذ من اللام فى قوله تعالى: لِيُظْهِرَهُ، فهـذه لام الحكمه، لأنّ الله تعالى الحكيم هو الذى يريد أن يظهر دينه على سـائر الأديان، فيكون هو الـدين المعمول فيه وفى شـريعته المقـدّسه، فقال: هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ محمـداً(صـلى الله عليه و آله)، بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ، وهو إمّا القرآن، وهو الدستور الإلهى والنـاموس الربّانى الـذى، يتمّ حفظه من قبل الله ؛ وذلك من خلال قوله تعـالى: إِنّا نَحْنُ نَزَّلْنا الـذِّكْرَ وَ إِنّا لَهُ لَحافِظُونَ ١ خلافاً للكتب السـماويّه الأخرى التى تعرَّضت للتحريف من قبل أتباع تلك الديانات.

وإمّا الإسـلام، فيكون الله الذى أرسل رسوله بالهدايه للإسـلام الذى هو الدين الحقّ: إِنّا أَرْسَلْناكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَ نَذِيراً ٢، وقوله تعـالى: يـا أَيُّهَا النّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ ٣ ، وقـوله تعـالى: وَ لا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ ۴، أى: دين الإسلام.

فيكون هو الـذى أرسل رسوله بالإسـلام أو هو الدين الحقّ، الدين الذى سوف يظهر على جميع الأديان، بحيث يصـبح هو الدين الذى يدان به، فى جميع أرجاء الأرض؛ لأنّه هو الدين الغالب.

إشكال وجواب:

هنـاك نوع من التساؤل أثاره الفخر الرازى فى تفسيره حول هـذه الآيه الكريمه، قمنا بصـياغته كإشـكال، ومن ثَمّ نقوم بالجواب عليه، تحت هـذا العنوان بغيه الإطلاع أكثر فى تفسير هذه الآيه، وحيث قال: إنَّ ظاهر قوله تعالى: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ يقتضـى كونه غالباً لجميع الأديان، وليس

الأمر كذلک؛ لأنَّ الإسـلام لم یَصِرْ غالباً لجمیع الأدیان فی الأرض، ونحن نری الکثیر من الأدیان سواء أکانت إلهیّه أم غیر إلهیّه موجوده لحدّ الآن، ولم یظهر علیها الدین الإسلامی.

وفی مقـام الجواب علی هـذا الإشـکال وما یشابهه من الإشـکالات الأخری، یوجـد الکثیر من الوجوه التی أجیب من خلالها علی ذلک، نذکر خمسهً منها.

الوجه الأوّل: إنّه لا دین بخلاف الإسـلام، إلاّ وقـد قهره المسـلمون، وظهروا علیه فی بعض المواضع، وإن لم یکن کـذلک فی مواضـعهم، فقهروا الیهود وأخرجوهم من بلاد العرب وغلبوا النصاری علی بلاد الشام، وما والاها من ناحیه الروم والغرب، وغلبوا المجوس علی ملکهم، وغلبوا عبـاده الأصـنام علی الکثیر من بلادهم ممّا یلی الترک والهنـد وسائر الأدیان، فثبت أن الـذی أُخبر عنه، فی هذه الآیه قد وقع وحصل، وکان ذلک إخباراً عن الغیب، فکان معجزاً.

الـوجه الثـانی: إنَّ المراد من قـوله تعـالی: لِیُظْهِرَهُ عَلَی الـدِّینِ کُلِّهِ، أی: یُوقِـف الرسـول الأکرم(صـلی الله علیه و آله) علی جمیع الشرائع، ویطلعه علیها، بالکلّیه حتّی لا یخفی علیه شیء منها.

الوجه الثالث: إنَّ المراد لیظهر الإسلام کلَّه علی جزیره العرب، وقد حصل ذلک، فإنَّه تعالی ما أبقی أحداً فیها من الکفار.

الوجه الرابع: إنّه تعـالی أراد الإظهار بالحجه والبیان، وهـذا ضـعیف؛ لأنّ الله تعالی وعـد عباده بأنه سـیفعله والغلبه بالحجّه والبیان کانت حاصله من أوّل الأمر.

الوجه الخـامس: إنّ المسـتفاد من الکثیر من الآیـات القرآنیّه والروایـات الشـریفه الـداله علی عـالمیه الإسـلام، هو أنَّ جمیع هـذه الأقسـام وقعت فی الزمن الماضـی، إمّا فی زمن البعثه أو بعـدها؛ لأنّ علم الرسول الأکرم(صـلی الله علیه و آله) بالـدیانات السابقه وشرائعها السابقه علی الإسلام متحقق فعلاً.

لقـد ذكرت الكثير من الروايـات أنه كـان يجيب أهل التوراه بما فى توراتهم، وأهل الإنجيل بما فى إنجيلهم، وعنـده علم بما فى الكتب السماويّه جميعاً، وليس هو فقط، بل هو وأهل بيته أيضاً، إذ كانت لهم إخبارات عديده عمّا كان، وعمّا سيكون:

فقـد ورد عـن على بـن محمّـد، عن عبـد الله بن على، عن إبراهيم بن إسـحاق، عن عبـدا لله بن حمّـاد، عن بريـد بن معـاويه، عن أحدهما فى قول الله عزّ وجلّ: وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ

«فرسول الله(صـلى الله عليه و آله) أفضـل الراسـخين فى العلم، قـد علَّمه الله عزّ وجـلّ جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلِّمه تأويله، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كلّه» (۱).

لكن لو طالعنا الآيه بضـميمه بعض الآيات القرآنيه الأخرى، والأحاديث الشريفه لعرفنا أن الغلبه التامه على الأديان لم تتحقّق بعد، على الكثير من المستويات، وهذا ما تحدَّثت عنه بعض الروايات الشريفه من أنّ تأويل هذه الآيه لم يحن بعد.

فعن القمّى: نزلت فى القائم من آل محمّد(صلى الله عليه و آله)، قال: وهو الذى ذكرناه ممّا تأويله بعد تنزيله.

وفى تفسير الصافى عن، إكمال الدين، عن الصادق(عليه السلام) فى هذه الآيه. قال:

والله ما نزل تأويلها بعد ولا ينزل تأويلها حتى يخرج القائم، فإذا خرج القائم(عج) لم يبقَ كافر بالله العظيم إلا كره خروجه حتى لو كـان الكـافر أو المشـرك بالأمـام إلاـ كره خروجه حتى لو كان كافر أو مشـرك فى بطن صـخره لقالت: يا مؤمن فى بطنى كافر فاكسرنى واقتله.

وخلاصه هذا القول هو: أنّ التأويل الصحيح لهذه الآيه لم يتحقّق بعد (۲).

۱- (۱) . أصول الكافى، باب: أنّ الأئمّه(عليهم السلام) أوتوا العلم وثبت فى صدورهم: ۲۳۹، ح: ۵۵۱.

۲- (۲) . تفسير الصافى: ۲ / ۳۸۳.

الوجه الصحيح:

وبناءً على ما تقدَّم يتّضح أنَّ من غير الصحيح القول بتحقق هذه البشرى فی عهد الرسول الأكرم(صلی الله علیه و آله) ؛ لأنّ الإسلام لم يسيطر على جميع أرجاء الأرض سيطره تامّه كامله، ولم يتحقّق ذلك فی عهد الخلفاء بعده أيضاً. والمستفاد من السور القرآنيّه والروايات الشريفه، هو عدم تحقّق هذا الوعد الجميل إلى الآن، والآيه الكريمه من آيات الملاحم التی تتحدّث عمّا سيقع فی المستقبل.

إضافه إلى الاعتقاد بحتميه وقوع هذا الوعد الإلهی؛ لأنّ الله تعالی وهو الصادق تعلّقت إرادته بإظهار هذا الدين على جميع الأديان، كما تعلّقت أرادته تعالی أيضاً بذلك فی قوله تعالی: وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِی الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّهً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ ١.

قال الفخر الرازی فی تفسيره:

واعلم أنّ ظهور الشیء على غيره قد يكون بالحجّه، وقد يكون بالكثره والوفور، وقد يكون بالغلبه والاستيلاء، ومعلوم أنّه سبحانه بشَّر بذلك، ولا يجوز أنّ يبشر إلّا بأمر مستقبل غير حاصل، وظهور هذا الدين بالحجّه مقرّر معلوم، فالواجب حمله على الظهور بالغلبه (١).

وبعد الإجابه عن هذا الأشكال، وبعد إثبات أن الظهور الذی وعدت به الآيه المباركه إنّما يكون بالغلبه دون غيرها من الوجوه، وقع ا لخلاف فی زمان تحقق هذه البشری التی لابدَّ من وقوعها، وتحقيق الوعد الإلهی، بإظهار الإسلام على جميع الأديان الأخری، بحيث يحكم الدستور الإسلامی جميع مَن على الأرض وهل هذه الغلبه الموعوده تكون مع وجود الأديان الأخری، أم تنتفی بانتفاء شرائعها التی تعمل بها آنذاك؟

ص:١١۴

١- (٢) . التفسير الكبير: ١۶/ ۴٠.

جميع هذه الأسئله سوف يُجاب عليها من خلال المقارنه فى آيه الإظهار، بين المفسّرين من علماء الفريقين.

د). آيه الإظهار عند مفسرى الشيعه:

إذا ما أردنا الاطلاع على آراء المفسرّين من الشيعه، وجدنا هناك نوعاً من الإجماع على قضايا عدّه، والتى منها عالميّه الإسلام على جميع بقاع الأرض، وأنّه سوف يكون هناك يوم يعمُّ فيه الإسلام، فيكون المسيطر على جميع الأديان؛ وذلك عند ظهور الأمام المهدى(عج) الذى يملأها قسطاً وعدلاً، ولا يتمّ تفسير هذه الآيه بالكامل إلاّ عند خروج القائم من آل محمّد(عج). ومن هذه التفاسير:

١. تفسير التبيان للطوسى (٤۶٠ ه):

يعتبر تفسير التبيان، لشيخ الطائفه الطوسى(رحمه الله)، من التفاسير المهمّه عند المسلمين عموماً والمذهب الشيعى على وجه الخصوص، فكان من الضرورى أن نتطرّق الى ما جاء فيه حول تفسير هذه الآيه المباركه.

قال:

هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ محمّد(صلى الله عليه و آله) وحمله الرساله التى يؤدّيها إلى الأمّه بِالْهُدى، يعنى: بالحجج والبينات والبيان، وَ دِينِ الْحَقِّ هو: الإسلام وما تضّمنه من الشرائح؛ لأنّه يستحقّ عليه الجزاء بالثواب، وكلّ دين سواه باطل؛ لأنّه يستحقّ به العقاب، وقوله: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ معناه: ليُعلى دين الإسلام على جميع الأديان بالحكم والغلبه والقهر له، وفى الآيه دلاله على صدق نبوته؛ لأنّها ضمّنت الوعد بإظهار الإسلام على جميع الأديان (١).

١- (١) . تفسير التبيان: ۵/ ٢٠٩.

۲. تفسیر مجمع البیان للطبرسی (۵۴۸ ه):

نقل العلامه الطّبرسی(رحمه الله) فی تفسیره، هذه الروایه عن المقداد ابن الأسود:

قال سمعت رسُول الله(صلی الله علیه و آله) یقول: لا یبقی علی ظهر الأرض، بیت مدر، ولا وبر إلّا أدخله الله الإسلام، إمّا بعزّ عزیز، أو بذلّ ذلیل، إمّا یجعلهم الله من أهله فیعزوا به، وما یذلهم فیدنوا له.

والهاء فی: لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ عائده إلی الرسول أی: لیعلمه الله الأدیان کلّها حتّی لایخفی علیه شی منها.

وعن ابن عبّاس: وَ لَوْ کَرِهَ الْمُشْرِکُونَ، وان کرهوا هذا الدین، فأنّه یظهره رغماً عنهم (۱).

۳. تفسیر زبده التفاسیر للکاشانی (۹۸۸ ه)

قال:

هو الذی أرسل رسوله بالحجج والدلائل المبیّنه: وَ دِینِ الْحَقِّ هو الإسلام، وما تضّمنه من أحکام، وَ لَوْ کَرِهَ الْمُشْرِکُونَ فهو وضع المشرکین موضع الکافرین، للدلاله علی أنّهم ضمّوا الکفر بالرسول إلی الشرک بالله تعالی: لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ علی سائر الأدیان بالحجّه والغلبه.

وقیل: أراد عند نزول عیسی، لا یبقی أهل دین إلّا اسلموا أو أدّوا الجزیّه، وقال أبو جعفر(علیه السلام):

إنَّ ذلک یکون عند خروج القائم المهدی(عج) من آل محمد، فلا یبقی أحد إلّا أقرَّ بمحمد(صلی الله علیه و آله) (۲).

۴. تفسیر البرهان للبحرانی(۱۱۰۷ ه):

قال حدّثنا محمد بن موسی ابن المتوکّل، حدثنا الحسین السعد آبادی، عن أحمد بن عبد الله البرقی، عن أبیه عن ابن أبی عمیر، عن أبی حمزه، عن أبی بصیر قال أبو عبد الله(علیه السلام) فی قوله تعالی:

۱- (۱) . مجمع البیان: ۵ / ۴۴.

۲- (۲) . زبده التفاسیر: ۳ / ۱۴.

هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِینِ الْحَقِّ، قال:

«والله ما نزل تأویلها حتی یخرج القائم، فإذا خرج القائم لم یبقَ کافر بالله العظیم، ولا مشرک بالإمام إلاّ کره خروجه، حتّی لو کان الکافر فی بطن صخره: قالت یا مؤمن فی بطنی کافر فاکسرنی واقتله (۱).» وعن سماعه عن أبی عبد الله، قال:

«إذا خرج القائم(عج) لم یبقَ مشرک بالله العظیم ولا کافر کره خروجه» (۲).

۵. تفسیر المیزان للطباطبائی(۱۴۰۲ه):

من ضمن الآراء التفسیریّه التی قد تعرضت لتفسیر هذه الآیه المبارکه، رأی صاحب تفسیر المیزان، قال:

الهدایه هی الهدایه الإلهیه التی قارنها برسوله لیهدی بأمره، ودین الحقّ هو الإسلام، بما یشتمل علیه من العقائد والأحکام المنطبقه علی الواقع الحق.

والمعنی: إنّ الله هو الذی أرسل رسوله محمّد(صلی الله علیه و آله) مع الهدایه والآیات البینات، ودین فطری لیظهر وینصر دینه الذی هو دین الحقّ علی کلّ الأدیان، ولوکره المشرکون ذلک.

وبذلک ظهر أنّ الضمیر فی لِیُظْهِرَهُ راجع إلی دین الحقّ، کما هو المتبادر من السیاق. وربّما قیل: إنّ الضمیر راجع إلی الرسول، والمعنی: لیظهر رسوله ویعلمه معالم الدین کلّها، وهو بعید (۳).

۶. تقریب القرآن إلی الأذهان للشیرازی(۱۴۲۲ه):

قال:

هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ فیکون هو الدین الوحید الذی له الغلبه والحجّه علی سائر الأدیان (۴).

۱- (۱) . تفسیر البرهان:۳ / ۴۰۷.

۲- (۲) . تفسیر العیاشی: ۳ / ۹۳، ح :۵۲.

۳- (۳) . تفسیر المیزان: ۹/ ۲۴۷ .

۴- (۴) . تقریب القرآن إلی الأذهان: ۳/ ۳۹۲.

وفی تأویل ذلک عند خروج المهدی(عج)، الذی یملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما مُلئت ظلماً وجوراً.

۷. تفسیر الأمثل: للمکارم الشیرازی:

قال: المقصود من: بِالْهُدی هو الدلائل الواضحه، والبراهین اللائحه الجلیّه التی وجدت فی الدین الإسلامی، و وَ دِینِ الْحَقِّ فهو الدین الذی أصوله حقّه وفروعه حقّه أیضاً، وکلُّ ما به من تاریخ وإسناد ونتاج حقّ. ولاشکَّ أنَّ الدِّین الذی محتواه حقّ، وماهیّته حقّ، وتأریخه حقّ جلیّ، لابد أنّ یظهر علی جمیع الأدیان.

وهذا التعبیر الوارد فی الآیه محلُّ بحث: هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِینِ الْحَقِّ، کأنّه دلیل إشاره إلی انتصار الإسلام وظهوره علی جمیع الأدیان، لأنّه لمّا کان محتوی دعوه النبی هو الهدایه، والعقل یدلُّ علی ذلک فی کلّ المواطن، ولمّا کانت أصوله وفروعه موافقه للحقّ، ومع الحقّ، وتسیر فی مسیر الحقّ؛ لأجل الحقّ فهذا الدین سینتصر علی جمیع الأدیان.

وبعد أن تطرّق صاحب هذا التفسیر إلی أنّ الإسلام لابدَّ أن یحکم العالم یوماً ما، قال: ولاشکَّ أنَّ هذا الأمر لم یتحقّق فی الوقت الحاضر، لکنّنا نعلم أنَّ هذا الأمر من قبل الله حتمی، وأنَّه سیتحقق تدریجاً، إلّا أنّه وفقاً للروایات المختلفه الوارده فی المصادر الإسلامیّه، فأنّ هذا الموضوع أنمّا یتحقّق عند ظهور المهدی(علیه السلام) فیجعل الإسلام عالمیّاً (۱).

ه). تفسیر آیه الإظهار عند مفسّری أهل السنه

اشاره

اختلف فی تفسیر هذه الآیه بین علماء الفریقین من السنَّه والشیعه، وفی زمان تطبیقها بالخصوص، بینما لا نجد اختلافاً بین علماء الشیعه فی زمان تطبیق هذه الآیه المبارکه، أی: زمان ظهور الإسلام علی جمیع الأدیان الأخری، وفی قبال ذلک نجد اختلافاً کبیراً بین علماء المذاهب الأخری من غیر المذهب الحق.

۱- (۱) . تفسیر الأمثل: ۶ / ۳۱۲.

۱. أحكام القرآن للشافعی(۲۰۴ ه):

یعتبر تفسیر أحکام القرآن لأبی بکر أحمد ابن الحسین النیسابوری الشافعی، من التفاسیر القدیمه عند المذهب السنّی، حیث یرجع تاریخه إلی سنه ۲۰۴ه ، لقد جاء فیه تفسیر قال لهذه الآیه بما یلی:

لقد أظهر الله تعالی رسوله(صلی الله علیه و آله) علی الأدیان کلّها بأنّ أبان لکلّ من سمعه أنّه الحقُّ، وما خالفه من الأدیان باطل. وقال: وأظهره بأنَّ أجمع الشرک دینان دین أهل الکتاب، ودین أمیّین، فقهر رسول الله الأمیّین حتّی دانوا بالإسلام طوعاً وکرهاً، وقتل من أهل الکتاب وسبی حتّی دان بعضهم بالإسلام، وأعطی بعضهم الجزّیه، صاغرین، وجری علیهم حکمه، فهذا ظهوره علی الدین، والله اعلم (۱).

۲. تفسیر جامع البیان للطبری(۳۱۰ ه):

قال:

هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ محمّداً(صلی الله علیه و آله) وحمله بالرسالات التی یؤدّیها إلی أمّته: بِالْهُدی وجه الأرض، التی یستحّق علیها الجزاء بالثواب، وکلّ دین سواه باطل یستحّق به العقاب لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ، معناه: لیعلی دین الإسلام علی جمیع الأدیان بالحجّه، والغلبه، والقهر لها، حتّی لا یبقی علی وجه الأرض دین إلّا مغلوباً، ولا یغلب أحد أهل الإسلام، وهم یغلبون أهل سائر الأدیان.

و قال: أمّا الظهور بالغلبه، فهو أًن کلَّ طائفه من المسلمین قد غلبوا علی ناحیه من نواحی أهل الشرک، ولحقهم القهر من جهتهم.

وقیل: أراد عند نزول عیسی ابن مریم، لا یبقی أهل دین إلّا أسلموا، أو أدّوا الجزیه.

وعن الضحاک قال أبو جعفر(علیه السلام):

إنَّ ذلک یکون عند خروج المهدی من آل محمّد، فلا یبقی أحد إلّا أقرَّ بمحمد(صلی الله علیه و آله) (۲).

۱- (۱) . أحکام القرآن: ۲ / ۴۹ -۵۰.

۲- (۲) . تفسیر جامع البیان: ۳ / ۴۵۳.

وقال إنّ الله زوى لى الأرض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها (۱).

۳. تفسير معالم التنزيل للبغوى(۵۰۶ ه):

قال تعالى: اَلَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی يعنى: الذى يأبى إلاّ إتمام دينه هو الذى أرسل رسوله محمّداً(صلى الله عليه و آله) بِالْهُدی، قيل: بالقرآن. وقيل: ببيان الفرائض. وَ دِينِ الْحَقِّ هو الإسلام لِيُظْهِرَهُ ليعليه وينصر عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ على سائر الأديان وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ. قال: اختلفوا فى معنى هذه الآيه، فقال ابن عبّاس: إنّها عائده إلى الرسول(صلى الله عليه و آله)، أی: ليعلمه شرائع الدين كلّها، فيظهره عليها حتّى لا يخفى عليه شیء منها.

وهذا واضح البطلان كما تطرّقنا بالنظر إلى وقت نزول السوره، ومعرفه النبیّ(صلى الله عليه و آله) بما فى هذه الأديان من جزئيات الشرائع.

وقال آخرون: إنّها راجعه إلى دين الحّق وظهوره على الأديان.

وقال أبو هريره عن النبى فى نزول عيسى(عليه السلام)، ويهلك فى زمانه الملل كلّها إلاّ الإسلام.

أقول وهذا لا يتنافى مع ما نذهب إليه بعد قليل (۲).

۴. تفسير مفاتيح الغيب للفخر الرازى (۶۰۶ ه):

قال فى قوله تعالى: هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی : اعلم أنّه تعالى لمّا حكى عن الأعداء أنّهم يحاولون إبطال أمر محمّد(صلى الله عليه و آله)، وبيّن تعالى أنّه يأبى إلاّ أن يتمَّ أمره، بيّن كيفيّه ذلك الإتمام، فقال: هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی.

وهذا إنّما يتم لوجود مجموعه من الأسباب التى تستدعى ذلك، والتى منها:

۱. إنَّ كمال حال الأنبياء(عليهم السلام) لا تحصل إلاّ بمجموعه أمور أوّلها كثره الدلائل والمعجزات، وهو المراد من قوله تعالى: اَلَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِينِ الْحَقِّ.

۱- (۱) . تفسير ابن كثير:۲ / ۴۳۲.

۲- (۲) . تفسيرمعالم التنزيل، المعروف بتفسير البغوى: ۲ / ۲۷۴.

۲. کون دینه مشتملاً علی أمور یظهر لکلّ واحد أنّها موصوفه بالصواب والصلاح، ومطابقه الحکمه وموافقه المنفعه فی الدنیا والآخره، وهو المراد من قوله ودین الحّق.

۳. صیروره دینه مشتملاً علی سائر الأدیان، غالباً لأضدادها قاهراً لمنکریها، وهو المراد من قوله: لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ.

ثمّ قال، واعلم: أنّ ظهور الشیء علی غیره قد یکون بالحجّه، وقد یکون بالکثره والوفور، وقد یکون بالغلبه والاستیلاء. ومعلوم أنّه تعالی بشَّر بذلک ولا یجوز أنّ یبشّر إلاّ بأمر مستقبل غیر حاصل.

وظهور هذا الدین بالحجّه مقرَّر معلوم، فالواجب حمله علی الظهور بالغلبه.

فإن قیل: إنَّ ظاهر قوله تعالی: لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ یقضی کونه غالباً لکلّ الأدیان، ولیس الأمر کذلک؟

فإنّ الإسلام لم یصرّ غالباً لکلّ الأدیان فی الهند والصین والروم، وسائر أراضی الکفره.

وقد أجابوا عن ذلک بوجوه منها ما روی عن أبی هریره، أنّه قال: هذا یحصل عند خروج عیسی(علیه السلام).

وقال السدی: ذلک عند خروج المهدی لا یبقی أحد إلاّ دخل فی الإسلام، أو أدّی الخراج (۱).

۵. تفسیر الجامع لأحکام القرآن للقرطبی (۶۷۱ه):

قوله تعالی: اَلَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی، یرید محمّداً(صلی الله علیه و آله)، بِالْهُدی، أی: بالفرقان. وَ دِینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ وَ لَوْ کَرِهَ الْمُشْرِکُونَ، أی: لیظهر الدین دین الإسلام علی کلّ دین.

قال أبو هریره والضحاک: ذلک عند نزول عیسی.

وقال ألسدی: ذاک عند خروج المهدی، لا یبقی أحد إلاّ دخل فی الإسلام، أو أدّی الجزیه.

وقیل: المهدی هو عیسی، وهو غیر صحیح؛ لأنّ الأخبار والصحاح قد تواترت علی أنّ المهدی من عتره الرسول(صلی الله علیه و آله)، فلا یجوز حمله علی عیسی بن مریم(علیه السلام).

۱- (۱) . التفسیر الکبیر: ۱۶ / ۴۰.

والحديث الذی ورد: «لا مهدی إلّا عیسی» غیر صحیح.

فقد قال أبان بن أبی عیاش- هو منقول عن النبی(صلی الله علیه و آله) وهو منقطع، والأحادیث التی قبله فی التنصیص علی خروج المهدی، وفیها بیان کون المهدی من عتره الرسول(صلی الله علیه و آله) أصحّ إسنادا (۱).

فی تفسیر نفس الآیه من سوره الصف، قال: هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی، أی: محمّداً بالحق والرشاد، اَلْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ، أی: بالحجج.

ومن الظهور الغلبه بالید فی القتال.

ولیس المراد من الظهور أن لا یبقی دین آخر من الأدیان، بل المراد أن یکون أهل الإسلام غالبین، ومن الإظهار أن لا یبقی دین سوی الإسلام فی آخر الزمان؛ وذلک إذا نزل عیسی لم یبقَ دین فی الأرض سوی الإسلام (۲).

۶. تفسیر أنوار التنزیل للبیضاوی(۶۸۵ ه):

قال:

لِیُظْهِرَهُ الدین الحق أو الرسول(صلی الله علیه و آله) واللام للجنس، أی: علی سائر الأدیان فینسخها أو علی أهلها فیخذلهم (۳).

وهذا ما ذهب إلیه ناصر الدین البیضاوی ۶۸۵ ه فی تفسیره: تفسیر البیضاوی.

قال:

لِیُظْهِرَهُ الدین الحق أو الرسول(صلی الله علیه و آله) واللام للجنس، أی: علی سائر الأدیان فینسخها أو علی أهلها فیخذلهم (۴).

فی تفسیر الآیه نفسها من سوره الصف، قال: هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی، أی: محمّداً بالحق والرشاد، اَلْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ، أی: بالحجج.

۱- (۱) . الجامع لأحکام القرآن: ۸ / ۸؛ ۱۸ / ۵۶.

۲- (۲) . الجامع لأحکام القرآن: ۸ / ۸؛ ۱۸ / ۵۶.

۳- (۳) . تفسیر البیضاوی : ۳ / ۱۴۲.

۴- (۴) . المصدر: ۳ / ۱۴۲.

ومن الظهور الغلبه باليـد فی القتـال، وليس المراد من الظهور أن لاـ يبقی دين آخر من الأديان، بل المراد أن يكون أهل الإسـلام غالبين، ومن الإظهار أن لا يبقی دين سوی الإسلام فی آخر الزمان؛ وذلک إذا نزل عيسی لم يبقَ دين فی الأرض سوی الإسلام.

٧. تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٧٧۴ ه):

هُوَ الَّذِی أَرْسَـلَ رَسُولَهُ بِالْهُـدی فالهـدی ما جاء به من الأخبار الصادقه، والأيمان الصـحيح، والعلم النافع، ودين الحقّ هو الأعمال الصحيحه، النافعه فی الدنيا والآخره: لِيُظْهِرَهُ عَلَی الدِّينِ كُلِّهِ أی: علی سائر الأديان، كما ثبت فی الصحيح عن رسول الله(صلی الله عليه و آله) (١).

٨. تفسير الجواهر الحسان للثعالبی(٨٧۵ ه):

قال:

لِيُظْهِرَهُ ليعليه وينصـره ويظفره، لِيُظْهِرَهُ عَلَی الدِّينِ كُلِّهِ علی سائر الملل كلّها وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ اختلف العلماء بمعنی هذه الآيه، فقـال ابن عباس: إنها عائـده علی الرسول(صـلی الله عليه و آله)يعنی: ليعلمه شـرائع الـدين كلّها، فيظهره عليها حتّی لا يخفی عليه شیء منها. وقال الآخرون: إنّها راجعه إلی الدين الحقّ.

وقال أبو هريره: ذلک عند خروج عيسـی بن مريم، إذا خرج اتّبعه كلّ دين وتكون الملل واحده، فلا يبقی أهل دين إلّا دخل فی الإسلام، أو أدّی الجزيه للمسلمين.

وقال السدی: وذلک عند خروج المهدی لا يبقی أحد إلا دخل فی الإسلام، أو أدّی الخراج (٢).

٩. تفسير روح البيان للبروسی(١١٢٧ ه):

قال:

هُوَ الَّذِی يريد الذی يشاء إتمام نوره ودينه هو الذی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی متلبساً بِالْهُدی القرآن الذی هو هدی للمتّقين:

١- (١) . تفسير ابن كثير: ٢ / ۴٣٢.

٢- (٢) . تفسير الجواهر الحسان: ۵ / ٣۵.

وَ دِينِ الْحَقِّ أى: الدين الحقّ هو الإسلام لِيُظْهِرَهُ، أى: ليغلب الرسول عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، أى: على أهل الأديان كلّهم وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، ذلك الإظهار.

وغلبته على سائر الأديان تكون على تزايد أبداً، وتتمّ عند نزول عيسى(عليه السلام) لِمَا روى أنَّ رسول الله(صلى الله عليه و آله)، قال فى نزول عيسى

يهلك فى زمانه الملل كلّها إلّا الإسلام.

وقيل: عند خروج المهدى، فإنّه حينئذٍ لا يبقى أحد إلّا دخل الإسلام، والتزم أو أدّى الخراج (١).

قال: بِالْهُدى، أى: كونه متلبساً بالتوحيد وهو: شهاده أن لا إله إلا الله فيكون الجار متعلقاً بمحذوف أو بسببه ولأجله، فيكون متعلقاً بإرساله وَ دِينِ الْحَقِّ، أى: بدين الإسلام، وهو من قبيل إضافه الموصوف إلى الصفه.

ومعنى الحقّ الثابت الذى هو ناسخ للأديان كلّها لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ.

اللاّم فى الدين للجنس، أى: ليعلى الدين الحقّ ويغلبه على جنس جميع الأديان المختلفه بنسخ ما كان حقّاً من بعض الأحكام المتبدله، بتبدل الأعصار، وإظهار بطلان ما كان باطلاً، أو بتسليط المسلمين على سائر الأديان (٢).

ثمّ يقول: ولقد أنجز الله وعده، حيث جعله بحيث لم يبقَ دين من الأديان إلّا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام ولا يبقى إلّا مسلم أو ذمه للمسلمين: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، أى: يجعله ظاهراً غالباً على جميع الأديان المخالفه له.

قال: هُوَ الَّذِى يريد الذى يشاء إتمام نوره ودينه هو الذى: أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى، متلبساً: بِالْهُدى.

هذه مجموعه من آراء المفسرّين من علماء السنّه، حول تفسير أيه الإظهار، ونستطيع القول بكلّ بساطه أن هناك نوعاً من الاتّفاق، حول قضيّه عالميّه

١- (١) . تفسير روح البيان : ۵ / ٣٢.

٢- (٢) . المصدر : ١۴ /٣٩٠.

الإسـلام فی آخر الزمان، أو لنعّبر عنه بغلبه الإسـلام علی الأدیان الأخری، لکنَّ الخلاف وقع فی کیفیه هـذه الغلبه، وبأیَ ّ واسـطه یکون ذلک؟

وقد ذهب بعض إلی القول بأنّ تفسیر هذه الآیه لم یتمّ بعد، وأتی بعض بذکر واسع عن قضیّه الأمام المهدی(عج).

لکن ممّا یُؤسف له هو وجود بعض التفاسـیر التی أنکرت وجود قضـیّه الإمام المهـدی(عج)، والذی بواسـطته یکون الفتح الکبیر للإسـلام، بحیث یعمّ جمیع المعموره، فیملأها قسـطاً وعـدلاً بعـد ما ملئت ظلماً وجوراً، ومن أولئک صاحب تفسـیر المنار، حیث حاول إنکار قضـیّه الإمام المهدی(عج) متجاوزاً جمیع الأدله العقلیّه والنقلیّه علی وجود المصلح العالمی الذی بواسطته یعمّ الخیر فی جمیع أقطار الأرض.

۱۰. تفسیر روح المعانی للآلوسی(۱۲۷۰ه):

قال:

هو الذی أرسل رسوله محمّداً متلبساً بِالْهُدی، أی: القرآن الذی هو الهدی للمتّقین وَ دِینِ الْحَقِّ الثابت.

وقیل: دینه هو الإسلام لِیُظْهِرَهُ، أی: الرسول، عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ، أی: علی أهل الأدیان کلّها، فیخذلهم أو لیظهر دین الحق علی سائر الأدیان بنسخه إیّاها حینما تقتضیه الحکمه (۱).

۱۱. تفسیر القرآن العظیم لرشید رضا (۱۳۵۴ ه):

قال:

هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُـدی، هذا بیان مسـتأنف للمراد من إتمام نور الله عزّ و جلّ. وهو أنّ الله الذی تکفَّل إتمام هذا النور هو الـذی أرسل رسوله الأکمل الـذی أخـذ العهـد من النبیّین من قبل لیؤمنوا به ولینصـروه، و دِینَ الْحَقِّ، أی: الثابت التحقّق الذی لا ینسخه دین آخر ولا یبطله شیء آخر.

۱- (۱) . تفسیرروح المعانی: ۲ / ۱۴۹.

ثمّ بيّن غـايه إرسال خاتم النبيّين والمرسـلين بين يـدى الحقَ ّ أو علّته بقوله: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الـدِّينِ كُلِّهِ، يقال أظهر الشـىء أوضـحه وأبانه فجعله ظاهراً لا خفاء فيه.

قال:

وأظهره على الشـىء على الشـخص جعله فوقه مستعلياً عليه، والاستعلاء هنا بالعلم والحجّه، أو السياده والغلبه، أو الشرف والمنزله، أو بها كلّها، وهو المختار.

وإن كان الوعد يصدِّق بعضها، والدين جنس يشمل كل دين (١).

قال وفى الضمير المنصوب هنا قولان:

الأوّل: إنّه الرسول، وهو المروى عن ابن عبّاس، والمعنى: حينئذ أنّه تعالى يظهر هذا الرسول على كلّ ما يحتاج إليه المرسل إليهم من أمور الـدين من: عقائده وآدابه، وسياسـته وأحكامه؛ لأنّ ما أرسل به هو الدين الأخير الذى لا يحتاج البشـر فيه إلى زياده فى الهدايه الدينيه.

الثانى: إنّ الضـمير للـدين الحقّ الـذى أرسل به (صـلى الله عليه و آله)، ومعناه: أنه تعالى يعلى هـذا الـدين ويرفع شأنه على جميع الأديان بالحجّه والبرهان، والهدايه والعرفان، والعلم والعمران، وكذا السـياده والسلطان، ولم يكن لدين من الأديان مثل هذا التأثير الروحى والعقلى والمادى والاجتماعى والسياسى إلاّ الإسلام نفسه.

إلى أن يقول:

وقد قصَّر جمع من المفسـرّين الذين اطلعنا على كتبهم فى تفسير هذه الآيات؛ لأنهَّم إنّما أخذوا تفاسيرهم من معانى الألفاظ دون تحقيق لمدلولاتها فى الخارج، ومن الروايات المأثوره على قلَّتها وقلُّه ما يصحّ منها.

فذكر منها ما ذكر إلى أن وصل فى حديثه إلى هذه الكلمات، حيث قال:

ومن العلماء من يقول: إنَّ بعض هذه البشارات لا يتُّم إلاّ فى آخر الزمان عند ظهور المهدى، وما يتلوه من ظهور عيسـى ابن مريم من

١- (١) . تفسير القرآن الحكيم، المعروف بتفسير المنار: ١٠/ ٣۵.

السماء وإقامته لدين الإسلام الذی جاء به محمد(صلی الله علیه و آله) وإظهاره بالحکم والعمل به، خلافاً لما یتوّقعه الیهود والنصاری علی اختلافهما فی صفته.

وقد کان شیوع هذا بین المسلمین من أسباب تقاعدهم عما أوجبه الله تعالی فی کلّ وقت من إعلاء دینه وإقامه حجّته، وتعزیز سلطته، اتکالاً علی أمور غیبیه مستقبله، لا تسقط عنهم فریضه حاضره.

وهنا یکمن موطن الخطر من هذا المفسرّ الذی یُعَدُّ من المفسرّین الذین یتبعهم الکثیر من أتباع المذاهب الإسلامیه:

قال وتقدَّم الکلام علی أشراط الساعه من أنّ أحادیث المهدی لا یصحُّ منها شیء یُحتَجُّ به، وأنّها مع ذلک متعارضه متدافعه، وأنَّ مصدرها نزعه سیاسیّه شیعیّه معروفه، وللشیعه فیها خرافات مخالفه لأصول الدین، لا نستحسن نشرها فی هذا التفسیر (۱).

هذه مجموعه من آراء المفسرّین من کلا الفریقین حول تفسیر آیه الإظهار.

المقارنه بین التفاسیر

اشاره

اتّفقت آراء المفسرین علی أنَّ الآیه المبارکه هی إحدی الآیات الدالّه علی عالمیّه الإسلام، فالذی جاء به النبی الأکرم(صلی الله علیه و آله)، فبعد أنّ تمَّ نقل آراء کلٍّ من الفریقین حول تفسیر آیه الإظهار کان علینا أن نقارن بین مجموع هذه التفاسیر فی سبیل الوصول إلی النتائج التی تقربنا من المراد فی آیه الإظهار، المدعومه بالأدله سواء الروائیه أو العقلیّه، حول صحه هذه النتائج.

فإذا مال أردنا ذلک کان لا بدّ أن نقوم بعده نقاط، منها:

أوّلاً: بیان نقاط الاشتراک بین آراء هؤلاء المفسرّین.

ثانیاً: بیان نقاط الاختلاف بین آراء هؤلاء المفسرّین.

ثالثاً: بیان النتیجه النهائیه لهذه المقارنه.

۱- (۱) . المصدر:۱۰/ ۳۵۰.

نقاط الاشتراک بین المفسرین:

قال تعالی: هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِینِ الْحَقِّ.

ربّما نستطیع القول أنّ هناک نوعاً من الاتّفاق علی أنَّ الله: هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ، محمداً(صلی الله علیه و آله) بدین الإسلام باعتباره الطریق الوحید الذی یوصل الإنسان إلی مرضاه الله تعالی؛ لأنَّ أیَّ عمل إن لم یکن داخل نطاق الدِّین الحنیف الذی أراده الله تعالی، فانه لا یقبل. والدین الواقعی هو الإسلام: وَ مَنْ یَبْتَغِ غَیْرَ الْإِسْلامِ دِیناً فَلَنْ یُقْبَلَ مِنْهُ، ۱ فهو الدین الحقّ.

وأیضاً ممّا اشترک فیه هؤلاء المفسرون هو أن الغایه من إرسال الرسل هی الهدایه، فما أرسل الرسول الأکرم(صلی الله علیه و آله)إلاّ لأجل الهدایه وما أنزل القرآن إلاّ لذلک أیضاً. فالهدایه هی الغایه فی ذلک.

أمّا الاختلاف، فقد وقع فی تحدید هذه الهدایه.

قال البغوی فی تفسیره: بِالْهُدی، القرآن، وقیل: بیان الفرائض. (۱)

وقال القرطبی: بِالْهُدی ، أی: بالفرقان، و هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی، أی: بالحق والرشاد (۲).

وهذا ما ذهب إلیه الفخر الرازی فی تفسیره، فقال: هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی، اعلم: أنّه تعالی لما حکی عن الأعداء أنّهم یحاولون إبطال أمر محمّد(صلی الله علیه و آله)بیّن کیفیّه ذلک الإتمام، فقال هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی.

واعلم: أنَّ کمال حال الأنبیاء لا تحصل إلاّ بمجموعه أمور أوّلها کثره الدلائل والمعجزات، وهو المراد من قوله تعالی: هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِینِ الْحَقِّ ۴.

ص:۱۲۸

۱- (۲) . تفسیر معالم التنزیل: ۴/ ۵۸.

۲- (۳) . الجامع لأحکام القرآن: ۷ / ۷۸.

وقيل: بِالْهُدى أى: كونه متلبساً بالتوحيد وهو شهاده أن لا إله إلا الله. (١)

وذكر الآلوسى فى تفسيره أنَّ المراد: بِالْهُدى، هو القرآن الذى هو هدى للمتّقين. (٢) وكذلك هناك مجموعه من الأقوال التى ذهبت إلى أنّ المراد من المراد: بِالْهُدى فى الآيه هو الدين الإسلامى بصوره عامّه.

لكن هذا الرأى لانستطيع الاعتماد عليه لبيان المراد من هذه الآيه بصوره كامله مع النظر لما تطرّقت اليه الرويات الشريفه، والناظره إلى زمان تحقيق الهدف من هذه الآيه المباركه. أى أنّ زمان تطبيق هذه الآيه هو عصر ظهور الأمام المهدى(عج) ومن أنّه لم يأتِ زمان تطبيق هذه الآيه بعد بل سيكون ذلك فى زمان ظهور الإمام الثانى عشر(عج).

فمن الدليل على ذلك ما رواه سعيد بن منصور وبن المنذر البيهقى فى سننه عن جابر فى قوله: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ : قال:

لايكون ذلك حتّى لايبقى يهودى ولانصرانى صاحب مله إلا الإسلام حتى تأمن الشاه الذئب، والبقره الأسد، والإنسان الحيه،... (٣).

ونحن نعلم أنّ جميع ذلك لم يقع الى زماننا هذا على الأقل، مع انتشار الدين الإسلامى إلى مساحات واسعه من المعموره.

إذاً: ربّما يكون المراد من: بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ هو الفهم الخاصّ والجديد للإسلام، والذى يأتى به الإمام (عليه السلام) والهدايه بعد الظلال التى تمنى به الأمّه من جور وانحراف عن الدين الحقّ، وبعد انتشار الأفكار الضاله، ورواج الشبهات المنحرفه، والمشوهه للتعاليم الإسلاميّه الحقّه، والعقائد الصحيحه التى ابتعد عنها الناس إثر ذلك.

١- (١) . تفسير روح البيان، ذيل الآيه (٢٨) من سوره الفتح.

٢- (٢) . روح المعانى: ٣ / ٦٢.

٣- (٣) . الدر المنثور : ٣ / ٥٧.

فيكون الـدين الجديـد هو الدين الحق من بين ما تدين به الأمم غير الإسـلاميّه، وما تعتقده المذاهب المنحرفه عن جاده الصواب. وهو المنير للبشريه طرق السعاده والكمال، ولمخرجها من ظلمات التيه والظلال.

من هنا وتباعاً لما قاله أهل البيت. العصـمه والطهاره(عليهم السـلام)، لم يختلف المفسـرّون من المـذهب الشـيعى فى ذلك حول تفسـير هـذا المقـدار من الآـيه بهـذه المعـانى أيضـاً، قـال المولى الكاشـانى فى تفسـيره: هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُـدى بالحجج والدلائل المبينه (۱).

وأيضاً جاء فى تفسـير الأمثل ما يقارب هـذه المعانى. فقال: بِالْهُـدى هو الدلائل الواضـحه، والبراهين اللائحه الجليّه، التى وجدت فى الدين الإسـلامى، فيكون: هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى هو القرآن؛ وذلك لأنَّ القرآن كتاب هدايه فهو واسطه من الوسائط التى توصل الإنسان إلى الإسلام، لأنَّ الهدايه القرآنيّه توصل إلى الهدايه الإسلاميّه، فليس من الصحيح القول أنا أهتدى بالقرآن، ولا أهتـدى إلى الإسـلام، ولا أريـد الإسـلام فيكون بِالْهُـدى هو القرآن وهو الهادى إلى الإسـلام، فيكون هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ، أى: هو الذى أرسل رسوله (محمّداً)(صلى الله عليه و آله) بالقرآن. وَ دِينِ الْحَقِّ، هو الإسلام. (۲)

وما ذكره العلامه الطباطبائى(قدس سره)، حيث قال بِالْهُدى الهدايه الإلهيّه التى قارنها برسوله ليهدى بأمره (۳).

وأيضاً اتفّق جمعٌ من مفسرّى الشيعه والسنّه، على أنَّ الإظهار المراد من قوله تعالى: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ هو إظهار الإسلام على جميع الأديان، سواء أكانت الأديان إلهيّه أو أرضيّه.

۱- (۱) . زبده التفاسير: ۳ /۴۱.
۲- (۲) . تفسير الأمثل،الآيه: ۲۸ من سوره: الفتح.
۳- (۳) . المصدر، الآيه: ۲۸.

وإن كان هناک نوع من الاختلاف فی عود الضمیر فی: لِیُظْهِرَهُ علی الرسول أو علی الدین، لکن المتّفق علیه هو أن الضمیر یعود علی الـدین لا غیر، وهـذا ما بینه العلامه الطباطبائی فی تفسـیره حین قال: هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِینِ الْحَقِّ تعطینا هذه الآیه بوضوح الغایه والغرض الرئیس من إرسال رسول الإسـلام، ودین الحقّ، یدلنا علی ذلک قوله تعالی: لِیُظْهِرَهُ، حیث دلَّت لام التعلیـل علی الغایه والسـبب فی إنزال شـریعه الإسـلام وهو أن یظهره، أی یجعله منتصـراً ومسـیطراً علی غیره من الأدیان والعقائد کلّها، وذلک لا یکون إلّا بسـیطره دین الحقّ علی العالم کلّه. وإذا کانت هذه الغایه من إرسال الإسـلام، إذاً: فهو یقینی الحدوث فی مستقبل الدهر؛ لأنّ الغایات الإلهیّه غیر قابله للتخلّف.

وقد أجاب ابن کثیر عن السؤال الأوّل بقوله: لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ، أی: علی سائر الأدیان، کما ثبت فی الصـحیح عن رسول الله أنّه قال:

زوی لی الأرض مشارقها ومغاربها وسیبلغ ملک أمتی ما زوی لی منها (۱).

وقال الثعالبی فی تفسیره:

لِیُظْهِرَهُ لیعلیه وینصره ویظفره، عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ، أی: علی سائر الملل کلّها.

وقال:

اختلف العلماء فی معنی هـذه الآیه، فقال ابن عبّاس: إنّها عائده علی الرسول(صـلی الله علیه و آله)، أی: لیعلمه شـرائع الدین کلها فیظهره علیها حتّی لا یخفی علیه شیئاً منها. وقال آخرون: إنّها راجعه إلی الدین الحقّ. (۲)

وهذا ما ذکره البغوی فی تفسیره أیضاً (۳)، وهذا متفّق علیه کما قلنا.

ص:۱۳۱

۱- (۱) . تفسیر ابن کثیر: ۲ / ۴۳۲.

۲- (۲) . المصدر: ۲/ ۴۳۲.

۳- (۳) . بتفسیر البغوی، الآیه: ۲۸ من سوره: الفتح.

وأيضاً من النقاط التی اتفّق علیها هو أنَّ هذا الظهور یکون فی عدّه معانی کما صرّح الفخر الرازی بذلک، حیث قال:

إنَّ صیروره دینه مشتمل علی سائر الأدیان غالباً لأضدادها قاهراً لمنکریها، هوا لمراد من قوله تعالی: عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ.

قال:

وعلم: أنّ ظهور الشیء علی غیره قد یکون بالحجه وقد یکون بالکثره والو فور، وقد یکون بالغلبه والاستیلاء، ومعلوم أنه تعالی بشَّر بذلک ولا یجوز أن یبشر إلّا بأمر مستقبل غیر حاصل، وظهور هذا الدین بالحجه مقرّر معلوم، فالواجب لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ ، حمله علی الظهور بالغلبه (۱). وأیضاً هَذا ما ذهب إلیه صاحب تفسیر المنار فی قوله: لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ :

یُقال: أظهر الشیء أوضحه وأبانه فجعله ظاهراً لا خفاء فیه، قال: وأظهره علی الشیء، أی: علی الشخص جعله فوقه مستعلیاً علیه، والاستعلاء هنا بالعلم والحجّه، أو السیاده والغلبه، أو الشرف والمنزله، أو بها کلّها وهو المختار، وإن کان الوعد یصدق ببعضها، والدین جنس یشمل کلَّ دین (۲).

وهذا ما ذکره مفسّر والشیعه أیضاً.

قال صاحب تفسیر جامع البیان:

لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ معناه: لیعلی دین الإسلام علی جمیع الأدیان بالحجه والغلبه، والقهر لها، حتی لا یبقی علی وجه الأرض دین إلا مغلوباً (۳).

وهذا ما ذکر فی تفسیر زبده التفاسیر، قال:

لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ ، علی سائر الأدیان بالحجه والغلبه (۴) وقال

۱- (۱) . التفسیر الکبیر مفاتیح الغیب،الآیه: ۲۸ من سوره: الفتح.

۲- (۲) . تفسیر المنار:۳۵۰/۱۰.

۳- (۳) . تفسیر جامع البیان: ۳/ ۴۵۳.

۴- (۴) . زبده التفاسیر: ۳ / ۴۱.

السیّد العلامه الطباطبائی: ودین الحق الإسلام بما یشتمل علیه من العقائد والأحکام المنطبقه مع الواقع الحق، ومعنی الآیه أنَّ الله هو الذی أرسل رسوله محمداً(صلی الله علیه و آله) مع الهدایه والآیات البینات (۱).

إذاً: لا یوجد اختلاف مهمّ فی تفسیر هذا الجزء من الآیه المبارکه.

نقطه الخلاف

ذکرنا فی البحث السابق مجموعه من المشترکات بین مفسرّی کلّ من الفریقین السنّی والشیعی فی تفسیر هذه الآیه.

لکن لا یعنی ذلک أنّه لا یوجد نقاط اختلاف فی تفسیر هذه الآیه التی نحن بصددها، فقد اختلف المفسرّون فیما بینهم حول الشیء الرئیس فی تفسیر هذه الآیه، وهو زمان تطبیق هذه الآیه، لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ وَ لَوْ کَرِهَ الْمُشْرِکُونَ، هل تمَّ تطبیقها بالکامل أو سوف یکون فی الزمان المستقبل؟

فاتفّق بعض المفسرّین ومن کلا الفریقین علی أنّ زمان ظهور الإسلام علی جمیع الأدیان ظهوراً کاملاً لم یتمّ، بل هو أمرٌ مستقبلی، وهذا ما ذهب إلیه من السنَّه الفخر الرازی فی تفسیره بقوله:

واعلم: أنّه تعالی بشَّر بذلک ولا یجوز أن یبشِّر إلاّ بأمر مستقبل غیر حاصل وظهور هذا الدین بالحجّه مقرّر معلوم، فالواجب حمله علی الظهور بالغلبه، فإنْ قیل إنَّ ظاهر قوله تعالی: لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ هو أن یکون غالباً لکلّ الأدیان ولیس کذلک، فإنَّ الإسلام لم یصر غالباً لکلَ الأدیان فی الهند والصین والروم، وسائر أراضی الکفره.

وأجابوا عن ذلک بوجوه منها ما روی عن أبی هریره، أنّه قال: هذا یحصل عند خروج عیسی.

وقال السدی: ذلک عند خروج المهدی لا یبقی أحد إلاّ دخل فی الإسلام أو أدّی الخراج (۲).

۱- (۱) . تفسیر المیزان: ۱۰ / ۲۴۷.

۲- (۲) . ابن کثیر: ۱۶/ ۴۰.

وقال الثعالبی فی تفسیره:

وقال أبو هریره: یکون ذلک عند خروج عیسی بن مریم، فإذا خرج اتبعه کلُّ دِین وتکون الملل واحده، فلا یبقی أهل دین إلاّ دخل فی الإسلام أو أدّی الجزیه للمسلمین.وقال السدی: ذلک عند خروج المهدی، لا یبقی أحد إلاّ دخل فی الإسلام أو أدّی الجزیه (۱).

وأیضاً ذهب إلی ذلک صاحب تفسیر حقّی، بقوله:

لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ اللاّم فی الدین لجنس. أی: لیعلی الدِّین الحقّ ویغلبه علی جنس جمیع الأدیان المختلفه بنسخ ما کان حقّاً من بعض الأحکام المتبدله، بتبدل الأعصار، وبطلان ما کان باطلًا، أو بتسلیط المسلمین علی سائر الأدیان (۲).

وما ذهب إلیه القرطبی فی تفسیر یکاد أن یکون مقاربا لهذه آراء، قال:

لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ، أی: بالحجج ومن الظهور الغلبه بالید فی القتال، من الإظهار أن لا یبقی دین سوی الإسلام (۳).

کذلک لم یذهب أیُّ مفسّر من مفسری المذهب الشیعی إلی أنَّ زمان تطبیق الآیه قد تحقق بالکامل، نعم، ذهبوا إلی أنّ الغلبه بالعلم والحجّه والبیان قد تحققت فعلاً، أمّا أنَّ الغلبه والظهور علی جمیع الأدیان لم یتحقق فعلاً.

وقال الشیخ مکارم الشیرازی فی تفسیره للآیه: لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ ، کأنّه دلیل أو إشاره إلی انتصار الإسلام علی جمیع الأدیان؛ لأنّه لمّا کان محتوی دعوه النبیّ(صلی الله علیه و آله) هو الهدایه، والعقل یدلّ علی ذلک فی کلَ ّالمواطن، ولمّا کانت أصوله وفروعه موافقه للحقّ، ومع الحقّ، وتسیر فی مسیر الحقّ ولأجل الحقّ فهذا الدین سینتصر علی جمیع الأدیان، وبعد أن تطرَّق إلی الإسلام لابدَّ أن یحکم العالم یوماً ما، قال: ولا شکَّ أنَّ هذا الأمر لم یتحقّق فی الوقت الحاضر، لکننا نعلم أنَّ هذا الأمر من قبل الله حتمی، وأنّه سیتحقق تدریجا.

۱- (۱) . تفسیر الثعالبی: ۳/ ۲۲.

۲- (۲) . روح البیان،الآیه: ۲۸ من سوره: الفتح؛ تفسیر الآیه ۲۸ من سوره: الفتح.

۳- (۳) . الجامع لأحکام القرآن: ۷/ ۷۸.

ومن ثَمّ يقول: إلاّـ أنّه طبقاً للروايات المختلفه الوارده فی المصادر الإسلاميه، فإنَّ هذا الموضوع إنّما يتحقّق عند ظهور المهدی(عج) فيجعل الإسلام عالمياً (۱).

فتبيّن لنا أنَّ المهدی(عج) الذی جاءت به الروايات الشريفه والتی ربما وصلت إلی حدِّ التواتر، عن طريق النبی وأهل بيته هو سبب رئيسی من أسباب تطبيق العالميّه التی جاءت بها هذه الآيه المباركه وباتّفاق مجموعه من مفسری الفريقين. فقد عبروا عنه مرّه بخروج عيسی، ومرّه بخروج المهدی(عج).

أمّا ما كان فی التفاسير الشيعيه حول زمان تطبيق هذه الآيه، فقد اجمع المفسرّون علی أنَّ زمان تفسير هذه الآيه لم يتحقّق بعد، بل يكون ذلك من خلال الدوله العالميّه التی يقيمها الأمام المهدی(عج)؛ وذلك لتواتر الروايات فی هذه القضيّه بالذات.

وما أورده العلامه البحرانی فی تفسيره هو أحد الأدلَه علی ذلك قال:

حدّثنا محمّد بن موسی بن المتوكّل، حدّثنا الحسين السعد آبادی عن أحمد بن عبد الله البرقی، عن أبيه، عن ابن أبی عمير، عن أبی حمزه عن أبی بصير قال أبو عبد الله(عليه السلام) فی قوله تعالی: هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِينِ الْحَقِّ.

قال:

والله، ما نزل تأويلها حتّی يخرج القائم، فإذا خرج القائم لم يبقَ كافر بالله العظيم، ولا مشرك بالأمام إلاّ إكراه خروجه، حتّی لو كان الكافر فی بطن صخره: قالت يا مؤمن، فی بطنی كافر فاكسرنی واقتله> (۲).

وعن سماعه، عن أبی عبد الله، قال:

إذا خرج القائم(عج) لم يبقَ مشرك بالله العظيم، ولا كافر كره خروجه (۳).

ص:۱۳۵

۱- (۱) . الأمثل، الآيه ۲۸ من سوره: الفتح.

۲- (۲) . تفسير البرهان: ۳/ ۴۰۷.

۳- (۳) . العياشی: ۳/ ۹۳ / ح۵۲.

لكن ممّا يؤسف له هو وجود بعض المفسرّين ممن أنكر هـذه القضـيّه بالكامل، ونسـبها إلى مـذهب أهل البيت(عليهم السـلام). ومن المفسرّين الذين أنكروا العالميّه الإسلاميّه التى ترتكز على قيام الدوله المهدويه هو: محمّد رشيد رضا صاحب تفسير المنار (۱).

حيث قال:

وقد قصّر جمع من المفسرّين الذين اطلعنا على كتبهم فى تفسير هذه الآيات لأنّهم إنّما أخذوا تفاسيرهم من معانى الألفاظ دون تحقيق لمدلولاتها فى الخارج، ومن الروايات المأثوره على قلّتها وقلّه ما يصحّ منها.

ثمّ قال:

ومن العلماء من يقول إنَّ بعض هذه البشارات لا يتمُّ إلاّ فى آخر الزمان عند ظهور المهدى، وما يتلوه من ظهور عيسى من السماء وإقـامته للـدين الإسـلامى الـذى جـاء به النبىّ محمّـد(صـلى الله عليه و آله) وإظهـاره بـالحكم والعمل به خلافاً لما يتوقعه اليهود والنصارى على اختلافهما فى صفته.

وقد كان شيوع هذا بين المسـلمين من أسـباب تقاعدهم عمّا أوجبه الله تعالى فى كلّ وقت من إعلاء دينه وإقامه حجته، وتعزيز سلطته، اتّكالاً على أمور غيبيه مستقبليّه، لا تسقط عنهم فريضه حاضره (۲).

وهنا يكمن موقع الخطر من هذا المفسرّ الذى أنكر قضيّه فى غايه من الأهميّه فى عالميّه الإسلام، وكذب اعتقاد جميع المسلمين، ومكذباً فى ذلك النبىّ الأكرم(صلى الله عليه و آله)، لاستلزام ذلك الإنكار إنكارا لقول الرسول الأكرم(صلى الله عليه و آله):

إنّى تارک فيکم الثقلين كتاب الله وعترتى من أهل بيتى فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض

۱- (۱) . وقد أشرنا إلى ذلک فى الصفحه: ۳۳، وما بعدها.

۲- (۲) . تفسير المنار:۱۰ / ۳۵۰.

و هو الذی أجمع علیه المسلمون قاطبهً.

معبّراً عن هذا الاعتقاد بنزعه سیاسیُه منسوبه إلی المذهب الشیعیّه.

قال:

وتقـدّم الکلام علی أشـراط الساعه من أحادیث المهـدی لا یصـحُّ منها شـیء یحتـج به، وإنّها مع ذلک متعارضه و متدافعه، وإنَّ مصدرها نزعه سیاسیه شیعیه معروفه وللشیعه فیها خرافات مخالفه لأصول الدین، لا نستحسن نشرها فی هذا التفسیر (۱).

لکن العجب کلّ العجب أن یصدر هذا کلام من إنسان یعدّ من العلماءفی بعض المذاهب الإسلامیّه ویعتبر من المفسرّین للقرآن الکریم.

لـذلک رأینـا من المنـاسب فی هـذا المقام ان نقوم برد مختصـر علی ماذکره صاحب تفسـیر المنار، من التنکر لقضـیّه مسـلّم بها، وتعتبر من البدیهیّات فی الدین الإسلامی الحنیف.

فالقضیّه المهدویّه من الأمور المسلمه بین المذاهب الإسلامیّه جمیعاً.

وهذا ما رأینا عند الإطلاع علی آراء مجموعه من المفسرّین الذین مر ذکرهم فی بدایات هذا الفصل.

لقد اعتبر صاحب تفسیر المنار، جمیع الروایات المتعرّضه لذکر الإمام المهدی(عج)، روایات غیر قابله للاحتجاج بها، قال:

وتقدم الکلام علی أشراط الساعه من أحادیث المهدی لا یصحُّ منها شیء یحتجّ به، وإنّها مع ذلک متعارضه و متدافعه.

لکن مـا نلمسه من کلام هـذا المفسـر مع جلاله قـدره، انه لم یکن مطلعاً علی آراء الکثیر من علماء المـذاهب الإسـلامیّه من غیر المـذهب الحقّ، أیّ المـذهب الشـیعی، حیث أقرّ الکثیر منهم بتواتر حـادیث المهـدی المنتظر(عـج) وکیفیه تواترها بین الفریقین، وإن کان غیر مطلعٍ علی کتب المذاهب

۱- (۱) . المصدر: ۱۰ / ۳۵۱.

السـتيّه. فليس مـن المعقـول أن يكـون غير مطلع على آيـات الكتـاب الكريم، مع وجـود الكـثير من الآيـات الـداله على القضـيّه المهـدويّه بصوره واضـحه وجليّه، والتى ذكرناها فى الصـفحات السابقه، مع مجموعه من الروايات المتواتره عنـد جميع المذاهب الإسـلاميه، والتى نقلهـا الكثير من العلمـاء والحفاظ من هـذه المـذاهب؛ لأن قضـيه الإمام المهـدى(عـج) كقائـد ربانى يحقّق الله تبـارك وتعـالى على يـديه أهـداف الأنبيـاء فى إقامه القسط والعـدل الإلهى وإنهاء الظلم والجور فى جميع أرجاء المعموره. وقد كشـفت عنهـا الكـثير مـن النصـوص الشـرعيه على المسـتوى القرآنى والروائى، كمـا كشـفت عنهـا الكـثير من الكتب والبحـوث والرسائل التى صنفها علماء الإسلام بمختلف الملل والنحل (۱).

فقد جاء عن النبى(صلى الله عليه و آله) أنّه قال:

لاـ تنقضـى الليـالى والأيّـام حتّى يبعث الله رجلاًـ من أهـل بيتى، يواطى اسـمه اسـمى، يملأ الأرض قسـطاً وعـدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويصلى عيسى خلفه ويساعده على قتل الدجال بأرض (الدّ) من فلسطين.

وأخرجه الحفاظ من أهل السنّه عن رسول الله(صلى الله عليه و آله).

و منهـم ابن الصـباغ المكى المـالكى فى كتـابه (۲) وابــن حجر الهيثمى (۳) فى الأحـاديث الوارده فى فضـل أهـل البيت(عليهم السلام)، ومنهم زينى الدين دحلان (۴) ، ومنهم الحافظ الترمذى فى: باب ماجاء فى الخلافه من أبواب الفتن (۵).

۱- (۱) . دراسه تاريخ ومناهج التأليف عن القضيّه المهدويّه، العدد السادس عشر من: مجله الفكر الإسلامى.

۲- (۲) . الفصول المهمّه: ۳۱۰، ۳۱۹.

۳- (۳) . الصواعق المحرقه، الآيه الثانيه عشر، الباب الحادى عشر، الفصل الثالث: ۱۶۱، ۲۰۶.

۴- (۴) . الفتوحات الإسلاميه: ۲ / ۲۲۳.

۵- (۵) . صحيح الترمذى: ۲ / ۸۶.

ومنهم الإمام احمد بن حنبل (۱)، ومنهم أيضا الحاكم وصحّحه على شرط البخارى ومسلم (۲)، ويقول ابن حجر الهيثمی:

تواترت الأخبار بكثره رواتها عن المصطفى(صلى الله عليه و آله) بخروجه، وأنّه من أهل بيته، وأنّه يملك سبع سنين، وأنّه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وأنّه يخرج معه عيسى على نبينا وآله وعليه أفضل الصلاه والسلام، فيساعده على قتل الدجال بباب (اللد) بأرض فلسطين، وأنّه يؤم هذه الأمّه وأنّه يصلّى عيسى خلفه (۳).

ويقول نور الدين على ابن محمد المكى المالكى الشهير بابن الصباغ:

إن الروايات عن الأئمّه الثقات، والنصوص الداله على إمامته كثيره بالغه حدّ التواتر، حتّى أضربنا عن ذكرها اعتماداً على اشتهارها، وقد دونها أصحاب الحديث فى كتبهم، واعتنوا بجمعها، ولم يتركوا شيئاً منها.

وممّن اعتنى بذلك وجمعه على الشرح والتفصيل الإمام جمال الدين أبو عبد الله محمّد ابن إبراهيم الشهير بالنعمان فى كتابه الذى صنفّه: ملء العيبه فى طول الغيبه.

وجمع الحافظ أبو نعيم أربعون حديثاً فى أمر المهدى(عج)، وصنّف الشيخ أبو عبد الله محمّد ابن يوسف ابن محمّد الكنجى الشافعى كتاب فى ذلك سماه: البيان فى أخبار صاحب الزمان (۴).

ويقول صاحب القوت المقتدى:

قد تظافرت الأخبار البالغه حدّ التواتر عن النبىّ(صلى الله عليه و آله) فى كون المهدى من أهل البيت من ولد فاطمه(عليهاالسلام) (۵).

وقال زين الدين دحلان:

أحاديث المهدى كثيره متواتره، والضعيف منها وان كان أكثر

۱- (۱) . صحيح أبى داود: ۴ / ۸۷.
۲- (۲) . مسند أحمد: ۳ / ۱۷،۲۷،۲۸،۳۹،۳۷،۵۲.
۳- (۳) . الصواعق المحرقه، الفصل الأوّل، الباب الحادى عشر، آخر آيه: ۱۲.
۴- (۴) . الفصول المهمّه: ۳۱۰ .
۵- (۵) . القوت المقتدى على جامع الترمذى: ۲۱۷.

لكنها لكثره رواتها ومخرجيها يقوى بعضها بعضاً حتى صارت تفيد القطع.

وأنّ العلاّمه السيّد محمّد رسول البر زنجى نبّه آخر كتاب: الإشاعه على تواترا لأخبار التى جاء فيها ذكر المهدى: وأنّه من المقطوع فيه وانه من ولد فاطمه، وانه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً (١).

وقال العارف محمّدين عبد الوهاب الشعرانى:

إنّ المهدى حىّ موجود قد اجتمع به غير واحد من علماء أهل السنّه وحفاظها- إلى إن قال - فهناك من يترّقب خروج المهدى من أولاد الحسن العسكرى(عليه السلام)، ومولده ليله النصف من شعبان، سنه خمس وخمسين ومئتين، وهو باقٍ إلى أن يجتمع بعيسى بن مريم(عليهم السلام) (٢)

وقال الشوكانى فى رسالته بعد سرد مجموعه من أحاديث المهدى(عج): وجميع ما سقناه بالغ حد التواتر، كما لايخفى على من له فضل اطلاع (٣).

وقال الشيخ عبد الحقّ فى اللمعات:

قد تضافرت الأحاديث البالغه حدّ التواتر فى كون المهدى من أهل البيت من أولاد فاطمه(عليهاالسلام) (۴).

وهناك مجموعه كبيره ممّن قال بتواتر احاديث المهدى المنتظر(عج) والداعى لنقلها جميعاً.

وهناك من أهل السنّه ممّن اكتفى بنقل مجموعه من الروايات الخاصّه فى هذا المجال لعدم إمكان غضّ النظر عنها.

۱- (۱) . الفتوحات الإسلاميه: ۲ / ۳۲۲.

۲- (۲) . اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الأكابر: ۲ / ۱۲۷.

۳- (۳) . نقل عن النواب صديق حسن خان القنونجى، فى كتابه: لإذاعه لما كان يكون بين يدى الساعه: ۱۱۴،۱۶۰؛ الكتانى فى نظم المتناثه فى الحديث المتواتر: ۱۴۶، نقلاً عن: لأكون مع الصادقين: ۴۲۱.

۴- (۴) . أشعّه اللّمعات: ۴ / ۳۲۱.

و ممّن نقل احاديث المهدى المنتظر(عج) من أهل السنّه ايضاً أبى داود، (۱) قال رسول الله(صلى الله عليه و آله):

لو لم يبقى من الـدنيا إلاّ يوم واحد لطول الله ذلک اليوم حتّى يبعث رجلًا من أهل بيتى يواطى اسـمه اسـمى واسم أبيه اسم أبى، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً.

ومنهم ابن ماجه فى سننه أيضاً:

عن ابى أمامه الباهلى، قال: خطبنا رسول الله(صـلى الله عليه و آله) فكان أكثر خطبته حـديثاً حـدثناه عن الدجال، وحذرناه، فكان من قوله أنّه:

«... لم تكن فتنه فى الأرض منذ ذرأ الله ذريه آدم، أعظم من فتنه الدجال...».

إلى أن قال:

وإمامهم رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدّم ليصلّى بهم الصبح، إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم، فرجع ذلک الإمام ينکص يمشى القهقرى، ليقدم عيسـى يصلى بالناس، فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له:تقدم فصلى، فأنها لک أقيمت، فيصلى بهم إمامهم .(۲)

وقال(صلى الله عليه و آله):

يكون فى أمّتى المهدى، أن قصـر فسبع، وألا فتسّع، تنعم فيها أمتى نعمه لن تنعم مثلها قط، تأتى أكلها ولا تدخر منه شيئاً، والمال يومئذ كدوس، فيقوم الرجل فيقول: يامهدى أعطنى، فيقول خذ (۳).

وأخرج البخارى (۴): حدّثنا ابن بكير، حدثنا الليث، عن يونس، عن ابن شـهاب، عن نافع مولى ابى قتاده الأنصارى، أنّ اباهريره، قال:

قال رسول الله(صلى الله عليه و آله)

«كيف انتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم.»

۱- (۱) . سنن أبى داود: ۴ / ۸۷، ح: ۴۲۸۲؛ كتاب المهدى(عج)؛ المعجم الأوسط: ۲/ ۵۵؛ الدرالمنثور: ۶ / ۵۸.

۲- (۲) . سنن ابن ماجه: ۲ / ۵۱۲ - ۵۱۵ ، باب: فتنه الدّجال وخروج عيسى.

۳- (۳) . المصدر: ۲ /۵۳۰ ، ح: ۴۰۸۳؛ المستدرک للحاكم : ۴ / ۵۵۸؛ مجمع الزوائد: ۷ / ۳۱۷. وقال: رجاله ثقات.

۴- (۴) . صحيح البخارى: ۴ / ۱۴۳، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيس بن مريم.

وقال صاحب غايه المأمول: اشتهر بين العلماء سلفاً وخلفاً أنه لابد من ظهور رجل من أهل البيت فى آخر الزمان يسمى المهدى.

وقد روى أحاديث المهدى جماعه من خيار ألصحابه، وخرجها أكابر المحدّثين: كأبى داود، والترمذى، وابن ماجه، والطبرانى، وأبى يعلى، والبزاز، والإمام أحمد ابن حنبل، والحاكم رضى الله عنهم أجمعين، ولقد اخطأ من ضعف أحاديث المهدى.

قال الحافظ: تواترت الأخبار بأنّ المهدى من هذه الأمّه، وأنّ عيسى بن مريم(عليهاالسلام) سينزل ويصلّى خلفه (١).

كان ذلک مورد اتفاق بين الشيعه والسنه على أصل قضيه المهدى(عج)وأنّه هو الذى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً.

وقد وردت فى شأنه(عليه السلام) مئات الروايات بل ناهزت السته آلاف روايه وحديث، عن النبىّ والعتره الطاهره(عليهم السلام) بطرق متعدّده من الفريقين، وهذا عدد هائل يتجاوز حدّ التواتر عشرات المرّات، حيث وردت فيها مئات الأحاديث الصحيحه والعاليه السند، وغير ذلک (٢).

قال القاضى الشوكانى:

إنّ أحاديث المهدى متواتره بلاشکّ ولا- شبهه، بل يصدق وصف التواتر على مادونها على جميع الاصطلاحات المحرره فى الإصول (٣).

بل الأكثر من ذلک ذهب البعض الى وجوب الإعتقاد بالمهدى(عج) وحرمه نكرانه، وذلک؛ لأنّ الإعتقاد بخروجه من الأمر العقائديه التى اخبر بها الوحى والنصوص الشريفه بجميع أنواعها ومراتبها، فهى من النصوص الدينيه الداله على الإيمام بالغيب، الذى أنكره هذا المفسر الجليل، قال تعالى: الم* ذِلِکَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ. ۴

ص:۱۴۲

۱- (۱) . فتح البارى فى شرح صحيح البخارى: ۶ / ۳۵۸ .

۲- (۲) . شرح عقائد الإماميّه: ۲ / ۲۲۸ .

۳- (۳) . إبراز الوهم المكنون: ۴.

وقضـيتّه(عليه السـلام) من الأمور الغيبه التی یحرم نکرانها، ولیس معنی ذلک أنّه محتجب عن کلّ الناس غائب لایراه کلّ الناس، بل یراه بعض الخواص، وقد راءه فی حیاه أبیه العسکری(علیه السلام) فالمقصود من الغیب فی قضیته هو وقت ظهوره (۱).

إذاً: علی هـذا الأسـاس فـأنّ عقیـده المهـدی المنتظر(عـج) عقیـده ثـابته یجب الأیمان بها، وأنّ کانت من الأمور الغیبیّه، والتی لم یعتقـد بها صاحب تفسیر المنار، ولا أعرف هل عرف مفسـرّنا العزیز أنّ الأیمان بالغیب من صـفات المتّقین الـذین عنتهم الآیات الأوائل من سوره البقره، أولاً؟

وما یؤّید ذلک هو ما جاء به الألبانی عن النبیّ(صلی الله علیه و آله) أنّه قال:

من أنکر خروج المهدی، فقد کفر بما أنزل علی محمّد، ومن أنکر خروج عیسی فقد کفر... (۲).

ویؤّکد ذلک أیضاً ما ورد عن الأمام الصادق(علیه السلام) فی قوله تعالی: الم* ذلِکَ الْکِتابُ لا رَیْبَ فِیهِ هُدیً لِلْمُتَّقِینَ قال:

«المتقون شیعه علی(علیه السلام) والغیب هو الحجّه الغائب». یعنی: المهدی(عج) (۳).

فهل یا تری هل طالع مفسرّنا الجلیل هذه الروایات الشریفه والتی نقلتها مجموعه من کتب أعاظم أهل السنّه؟

فـإن لم یطالعهـا فهـذه مصـیبه! أو طالعهـا وانکرهـا فالمصـیبه أعظم! هـذا مضافاً إلی الآیات القرآنیّه، الـداله علی وجود المهـدی المنتظر(عج). مع ما ورد فی التوراه والإنجیل، من شواهد عده علی ذلک المخلص المنتظر(عج).

فهل مثل هـذه الأحادیث الصـحیحه السـند، والتی وصـلت الی حـد التواتر عنـد غیر من یـدّعی صاحب تفسـیر المنار، أنّ العقیده المهدویّه هی عقیده خاصّه بهم، وهم الشیعه؟

۱- (۱) . شرح عقائد الإمامیّه: ۲ / ۲۲۹ .

۲- (۲) . فرائد السمطین: ۲ / ۲۳۴.

۳- (۳) . إکمال الدین : ۲ / ۳۴.

بقوله: لا تصلح للأحتجاج بها! أم هو تنكر لحقيقه الساطعه كسطوع ضوء الشمس فى رابعه النهار؟

عالميّه النظريّه المهدويّه

يعتبر الاعتقاد بحتميه ظهور المصلح العالمى أو المنقذ المهدى الذى بشرّت به الديانات السابقه على الإسلام، من الأمور الواجب الاعتقاد بها، كما ذكرنا فى الصفحات السابقه من هذا الفصل.

لقد أخذ الاعتقاد ب- : المهدى المنتظر(عج)، بالانتشار فى كافه بقاع المعموره، مع الأخذ بأشكال مختلفه، وأن كان هذا الإعتقاد يتعلّق بذات الفكره بنحو الإجمال، مع نوع من الاختلاف فى المجال التفصيلى لها.

لقد سلمت بظهوره(عج) كافه التيارات الكبرى فى كافه المجتمعات القديمه والمعاصره.

فأجمعت على هذا الظهور المبارك الديانات السماويّه الثلاث، اليهوديّه، والمسيحيّه، والديانه الإسلاميّه على وجه الخصوص، فإنّهم جميعاً اتفّقوا على حتميه ظهور المنقذ.

فكانت تلك هى الفكره الرئيسيّه التى لاخلاف عليها، والتى شاعت على مستوى العالم، وطول التاريخ البشرى، وتوارثتها الأجيال جيلاً بعد جيل (۱).

فهاهم النصارى قد مُلئت كتبهم بذكر خروج عيسى(عليه السلام) فى آخر الزمان لينقذ البشريه من آلامها وشقائها، لقد جاء فى كتاب المسيح الدجال ما نصّه:

وأشهد أنّى وجدت فى كتب أهل الكتاب، لقد تتبع أهل الكتاب أخبار المهدى كما تتبعوا أخبار جده محمّد(صلى الله عليه و آله).

۱- (۱) . حقيقه الاعتقاد بالإمام المهدى المنتظر(عج):۷۰.

فأشارت أخبار سفر الرؤيا إلى امرأه يخرج منها إثنا عشر رجلًا، وأشاره إلى امرأه أخرى، وهى تلد الأخير.

وجاء: والتنين وقف أمام المرأه الأخيره حتى تلد ليبتلع ولدها متى ولدت. (۱)

وجاء أيضاً: «اختطف الله ولدها».

ويقول باركلى فى تفسيره: وعندما هجمت عليها – أى المراءه– المخاطر اختطف الله ولدها وحفظه أى ان الله قد غيب هذا الطفل. (۲)

وجاء: إنّ غيبه هذا الغلام ستكون ألفاً ومائتى سنه، وهى مده لها رموزها عند أهل الكتاب.

وقال باركلى عن نسل المرأه عموماً: إنّ التنين سيعمل حرباً شرسه مع نسل المرأه.

وجاء: فغضب التنين على المرأه وذهب ليصنع حرباً مع باقى نسلها الذين يحفظون وصايا الله.

ثمّ قال ولا ـ تنطبق هذه أوصاف المرأه الأولى ونسلها الا ـ على السيّد الزهراء(عليهاالسلام) ونسلها عمداء أهل بيت النبوه الأعلام(عليهم السلام)، فقد طاردتهم سلطه التنين طوال التاريخ.

أمّا المرأه الثانيه وطفلها لاتنطبق أوصافها إلاّ على المهدى وأمه فالمهدى هو حفيد الزهراء ولقد ترقب العباسيون ولادته يوماً بيوم حتى يقتلوه (۳).

ولكن الله نجاه مما يكيدون وغيبه بالفعل كما غيب نبيّه إسماعيل(عليه السلام) من قبله حين من الزمن، وحفظ الله هذا لطفل ليقود الدوله العالميه التى وعد الله تعالى عباده المتّقين بوراثه الأرض بقوله تعالى: وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ. ۴

۱- (۱) . سفرالرؤيا: ۱۲ / ۳.

۲- (۲) . المصدر: ۱۲ / ۵.

۳- (۳) . نقل هذا النصّ من كتاب: حقيقه الأعتقاد بالمهدى المنتظر(عج): ۷۲.

والذين يشهدون بصدق ما وعدهم ربهم به فقالوا: وَ قالُوا الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِی صَدَقَنا وَعْدَهُ وَ أَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأَ مِنَ الْجَنَّهِ حَيْثُ نَشاءُ ١.

ثمّ قال: ويوئيد ما ذهبنا اليه ما جاء بسفر التكوين.

وأما إسماعيل فقد سمعت قولك فيه، وها أنا أباركه وأنميه، وأكثره جداً جداً، ويلد اثنى عشر رأيساً، واجعله امه عظيمه (١) ومن المسلم به أنّ رسول الله(صلى الله عليه و آله) من نسل إسماعيل(عليه السلام) وأن عمداً أهل البيت لأثنى عشر هم ذريّه النبیّ وعصبته (٢).

وكذا اليهود. يقولون: بأنّه فنخاس ابن عازار، حيث يعتقدون بأنّه مازال حيّاً وسيعود لإنقاذ بنی إسرائيل (٣).

والزرداشتيون يعتقدون بخرج شوسياني، منقذ العالم بعد أن يتصارع يزدان اله الخير وأهريمان إله الشر، وينعزل ويفوض الأمور كلّها إلی يزدان الذی يضبط أمور العالم وتستقر الأمور (۴).

أمّا الديانه الإسلاميّه، فقد غطت ظهور المهدی(عج) تغطيه كامله، فعلى الرغم ممّا تعرّض له الحديث النبویّ الشريف، من منع لكتابته وروايته مده طويله من الزمن، إلاّـ أنّ ما وصلنا من الأحاديث النبويّه قد وصف المهدی وصفاً دقيقاً، وحدد علامات ظهوره تحديداً واضحاً، ووصف مهمّته وصفاً موضوعيّاً (۵).

فهی من الأمور المسلّمه عند جميع الأديان والمذاهب.

لكن وبكل أسف نلاحظ صاحب تفسير المنار والذی لايعتبر مسلماً جاهلاً بمبادئ الإسلام، أوغير مطلع على المصادر الإسلاميّه الأصليّه الشيعيّه منها و السنّيه، بل إنّه مسلم يحمل لقب المفسرّ للقرآن الكريم! نجده يصرح

ص:۱۴۶

١- (٢) . سفر الرؤيا: ١٢ / ١٣.

٢- (٣) . المسيح الدجال: ٣٧٠ - ٣٨٠.

٣- (۴) . الفوائد البهيه فی شرح عقائد الإماميّه: ٢ / ٢٢۶.

۴- (۵) . المصدر: ٢ / ٢٢۶.

۵- (۶) . حقيقه الاعتقاد بالمهدی المنتظر(عج): ٧١ .

بأنّ أحاديث المهدی المنتظر، بقوله أحاديث المهدی لا يصحُّ منها شیء يحتجّ به، مع مالها من العمق وما تمتاز به أعلی درجات الإعتباروالصحّه.

وكذلک عدم صحّه ما ذهب اليه بقوله:

وإنَّ مصدرها- الأحاديث - نزعه سياسيّه شيعيّه معروفه وللشيعه فيها خرافات مخالفه لأصول الدين (١).

نعم، هناک الكثير من القضايا العقائديّه صبغت بطابع مذهبی؛ بسب مجموعه من العوامل التی طرأت عليها فجعلتها فی إطار مذهب معين، أو طائفه خاصّه، ممّا فقدها طابعها العام بصفتها عقيده إلهيه عالميّه، أو إسلاميّه عامّه. فكانت قضيّه المهدی المنتظر أحدی هذه القضايا التی حوّلتها مجموعه من العقائد الطارئه، إلی قضيّه خاصّه، فصيرتها عقيده شيعيّه لاغير.

لكن كما رأينا ومن خلال مانقلنا من نصوص كيف أنّ القضيّه المهدويّه هی من العقائد الإسلاميّه قبل ان تكون عقيده شيعيّه خاصّه.

ولقد رأيت كيف اتفّق المسلمون علی خروج مخلص ينقذ البشريّه جمعاً من براثن الظلم والجور، والأخذ بيدها إلی برّ الأمان، وكيف اجمع أصحاب المذاهب الإسلاميّه علی ذلک.

ووافقهم علی ذلک بقيه الملل والأديان بمختلف مشاربها، وما ذلک إلّا دليل علی الإحساس الفطری والذی تُدرک الناس من خلاله أنّ للإنسانيّه يوماً موعوداً يتحقّق فيه العدل الكامل فی الأرض بعد أن تملأ ظلماً وجوراً.

مفهوم الانتظار:

لقد أثار المستشرقون إشكالات عدّه، حول الإيمان بالمهدی المنتظر(عج)، مثل: استحاله أن يعيش الإنسان هذا العمر الطويل، كالذی يذكر للأمام صاحب العصر والزمان(عج)، روحی وأرواح العالمين له الفدی.

١- (١) . المصدر: ١٠ / ٣۵١.

أو ما هی فائده أن یکون الإمام غائباً غیر حاضر؟

حتّی أخـذت البعض منها بالانتشار فی أوساط غیر المتعلّمین من الناس، و ربّما انطلقت هذه الإشـکالات علی بعظهم، وهذا لیس بالشی الغریب من قبل أعداء الإسلام، والذین لطالما أرادوا الکید بهذا الدین الخاتم.

لکن الغریب هو ان تنطلی هذه الإشـکالات التی لاواقع لها علی شخص یفسرّ القرآن الکریم، ویعتبر من العلماء الذین لهم المنزله الرفیعه فی بعض المذاهب الإسلامیّه، فقال:

وقد کان شـیوع هذا بین المسـلمین من أسـباب تقاعدهم عما أوجبه الله تعالی فی کلَ ّوقت من إعلاء دینه وإقامه حجته، وتعزیز سلطته، اتّکالاً علی أمور غیبیه مستقبلیّه، لا تسقط عنهم فریضه حاضره (۱).

لکن مالم یعرفه هذا المفسرّ العزیز هو أنّه الإنتظار معنیین أحدهما سلبی وآخر إیجابی، والمراد من الإنتظار فی المفهوم الإسلامی هو المفهوم الإیجابی، کما سـیتّضـح، إن شاء الله؛ لأنّ معنی الانتظار لغهً هو: توقّع مجی شخصٍ او أمرٍ ما للمنتظر، وهذا المعنی هو المعنی الشامل للمعنی، السلبی والمعنی الإیجابی لمفهوم الإنتظار.

لکن الانتظار المراد فی القضیّه المهدویّه هو الانتظار الإیجابی منه.

فالتفکیر فی اللقاء بالإمام المهـدی(عج) یُولد إشـراقه وبریق أمل فی القلوب ویحرض الأفراد علی التزکیّه والإصـلاح والاسـتعداد لذلک التغییر الذی یراد له أن یعمّ المعموره بالکامل. والثوره التی سیخوضـها المهدی المنتظر(عج) وهذا بدوره یعدّ عملاً عبادّیاً یُؤجر الفرد علیه؛ لذا کان انتظار الفرج من العبادات المهمّه فی حیاه الشعوب والأمم، إذا کان بمفهومه الإیجابی طبعاً.

۱- (۱) . تفسیر القرآن الحکیم، المعروف ب- : تفسیر المنار: ۱۰ / ۳۵۰.

لذا ورد فی الکثیر من الروایات، أنّ:

«من مات ولم یعرف إمام زمانه مات میته جاهلیّه»؛ لأنّ هذا الانتظار مرتبط بمسأله الغیب المطلق، والعمل الصالح بأجمل مایحمل من مفهوم.

قال الإمام الصادق(علیه السلام):

من سره أن یکون من أصحاب القائم، فلینتظر والیعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر فأن مات وقام القائم بعده کان له من الأجر مثل أجر من أدرکه، فجدوا وانتظروا، هنیئاً لکم أیّتها العصابه المرحومه (۱).

فالانتظار بمفهومه الصحیح هو نتیجه نهائیه لعدّه مقدّمات: والتی منها:

۱. یجب علی الفرد أنّ یعتقد بأنّ المهدی المنتظر(عج) هو الفرد الذی ادّخره سبحانه لتنفیذ غرضه الإلهی من بسط العدل وإماته الجور، وأنّه ابن العسکری(علیه السلام)، وحفید الأئمّه المعصومین(علیهم السلام).

۲. یجب علی الشخص المنتظِر أن یتحلّی باستعداد دائم وکامل لتطبیق أحکام الشریعه وأن یکون کواحد من الدعاه إلیها والمضحین فی سبیلها، والمدفعین عن حرم الدین الإسلامی الحنیف.

۳. ویراد من الالتزام بتطبیق أحکام الشریعه التی لا تنحصر بفتره زمنیه معیّنه، بل تکون ساریه فی کلّ عصر وحاکمه علی جمیع تصرفات الفرد وأفعاله، لیکتسب الإراده القویّه وعمق الإخلاص فی الفعل والقول.

۴. أن لایکون الإنسان المنتظر راضیاً بالظلم ولاضطهاد، معتمداً فی التغییر علی الیوم الموعود، فهذا من الانتظار السلبی الناتج عن التصور الخاطئ لمفهوم الانتظار؛ لأنّ الانتظار الصحیح لایکون إلاّ بالعمل الجاد المنتج لرفع درجه الإخلاص والشعور بالمسئولیّه.

۱- (۱) . البحارالأنوار: ۵۲ / ۱۴۰ .

وبنـاءً على ذلـك فـإنّ مسأله انتصار حكومه الحقّ والعـدل - أى: حكومه المهـدى المنتظر- وظهور المصـلح العالمى مركب فى الواقع من عنصرين .

نفى وإثبات، فعنصر النفى هو الإحساس بغرابه الوضع الذى يعانيه المنتظر، وعنصر الإثبات هو طلب الحال الأحسن.

وذا قدر لهذين العنصرين ان يحلا فى روح الإنسان فانهما يكونا لنوعين من الأعمال وهذان النوعان هما:

١. ترك كلّ سبب من أسباب التعاون مع الظلم والفساد، وعليه أن يقاومها هذا من جهه.

٢. وبناء الشخصـيه الذاتى وتهيئه الاسـتعدادات الجسميّه والروحيّه والماديّه والمعنويّه لظهور تلك الحكومه العالميّه الإنسانيّه، من جهه أخرى، ولو أمعنا النظر لوجدنا أنّ هذين النوعين من الأعمال هما السبب فى اليقظه والوعى والبناء الذاتى (١).

وهذا مالم يتنبه له صاحب تفسير المنار، عند ما قال:

وقد كان شـيوع هذا بين المسـلمين من أسـباب تقاعدهم عما أوجبه الله تعالى فى كلَ -وقت من إعلاء دينه وإقامه حجته، وتعزيز سلطته، اتكالاً على أمور غيبيه مستقبليّه، لا تسقط عنهم فريضه حاضره. (٢)

ومـا هـذا القول إلّا دليل على عـدم الاهتمام بالأمور الـدينيّه والحقائق الإسـلاميّه، او هومن نتائـج التأثر بسـيره المستشـرقين اليهود والمسيحيّين المعادين للإسلام أشدّ العداء.

و). معنى إظهار الإسلام على الدِّين كله

اشاره

استطيع القول: إنَّ الإظهار المراد فى الآيه المباركه واضح، إنّه يشـمل مختلف أشـكال الغلبه والسيطره والحاكميه بكلَ -ما تحمله الآيات من سوره التوبه،

١- (١) . التفسير الأمثل: ٩ / ٢٥.

٢- (٢) . تفسير القرآن الحكيم، المعروف ب- : تفسير المنار: ١٠ /٣٥٠.

والصف، والفتح. وهذا مستفاد من الإطلاق الوارد فى عبارات الآيات الكريمه، وعدم وجود أى مقيدات بنمط معين من الإظهار كظهور الأفضليّه أو قوه الحجّه، وأمثال ذلک.

بل إنّ سياقها دال على أنَّ عدم تحقق هذا الوعد الإلهى الصادق إلاّ بكامل غلبه الإسلام على الأديان كلّها وإظهاره عليها عملياً (1).

وهذا ما فهمه معظم المفسرّين من الآيه، ما نقلناه من قول للفخر الرازى هو أحد الأدله على ذلک، قال فى تفسيره:

واعلم: أنَّ ظهور الشىء على غيره قد يكون بالحجّه، وقد يكون بالكثره والوفور، وقد يكون بالغلبه والاستيلاء ومعلومٌ أنّه تعالى بشَّر بذلک، ولا يجوز أن يبشِّر إلاّ بأمر مستقبل حاصل، وظهور هذا الأمر بالحجه مقرّر معلوم، فالواجب حمله على الظهور بالغلبه (2).

إنّ زمان تطبيق هذه الآيه المباركه لم يتمَّ فى السابق، بل هو فى المستقبل إن شاء الله تعالى.

إنّ ما نذهب إليه من هذه الآراء هو أنَّ تفسير هذه الآيه أو المرحله التطبيقيّه لهذه الآيه لم تتمَّ بالكامل، وهذا لا يكون إلاّ عند قيام القائم من آل محمد(عج).

وهذا ما أشارت إليه الآيه الكريمه، وأفادته الكثير من الروايات الشريفه، التى سننقل بعضاً منها، وبناءً على ما تقدم يتّضح:

١. أنَّ من غير الصحيح القول بتحقّق هذه البشرى فى عهد الرسول الأكرم(صلى الله عليه و آله) بسيطره الإسلام على الجزيره العربيّه، ولا فى عهد الخلفاء اللاحقين بفتح المسلمين لبعض أقطار المعموره مع بقاء القسم الأكبر منها تحت سيطره الكافرين، فمثل هذا القول لاينسجم مع إطلاق الآيات الكريمه.

١- (١) . الرؤيه القرآنيه للقضيّه المهدويّه: ٩٥.

٢- (٢) . أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشى الدمشقى: ١٦ / ٤٠.

۲. أنَّ المستفاد مما تقدم عدم تحقُّق هذا الوعد الإلهى إلى الآن، والآيات الكريمه إذا :هى من آيات الملاحم التى تتحدّث عما سيقع فى المستقبل.

۳. أنَّ تحقّق هذا الوعد حتمى، لأنّ الله تعالى صادق الوعد ولتعلق إرادته به.

فإذا ما قلنا إنَّه تعالى مريد- أى مريد لأفعاله – تصدر منه أفعاله بالإراده والاختيار، أو مريد لطاعات عباده لا على سبيل الحتم، بل باختيارهم، وإرادته لأفعال ذاته عباره عن علمه تعالى الموجب لوجود الفعل، فى وقت دون آخر بسبب اشتماله على مصلحه داعيه إلى إيجاده فى هذا الوقت دون غيره.

ومعنى إرادته لأفعال عبيده أنّه يريد إيقاع الطاعات منهم على وجه الاختيار.

ومعنى كراهته تعالى: علمه الموجب لانتفاء الفعل فى وقت دون وقت، بسبب اشتماله على مفسده، فى الإيجاد قبل وقته (۱).

إنّ الآيه القرآنيّه المباركه:

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ يَأْبَى اللّهُ إِلاّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ تبيّن أنّ هناك إراده عند الكفار وأتباعهم من المشركين والمنافقين، وهى إطفاء نور الله تعالى بأفواههم (۲).

ومن هنا سوف نعمل على الدخول فى بحث الإراده، بصوره عامه، والفرق فى الإراده بين الله تعالى والإراده عند الإنسان، تحت نطاق هذه الآيه المباركه.

هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

إنّ لفظه الإراده فى الاستعمالات العرفيّه تستعمل فى معنيين على الأقلّ:

أحدهما: المحبّه.

الثانى: التصميم على القيام بعمل.

والإراده بالمعنى الأوّل، تعطى معنى واسعاً جدّاً من حيث

۱- (۱) . حقّ اليقين فى معرفه أصول الدين: ۱ / ۵۵.

۲- (۲) . دروس فى العقيده الإسلاميّه: ۱۰۶.

مجالاـته؛ إذ يشـمل محبّه الأشـياء الخارجيّه، كما فى الآيه من سوره الأنفال تُرِيـدُونَ عَرَضَ الـدُّنْيا وَ اللّهُ يُرِيـدُ الْآخِرَهَ وَ اللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١.

والإـراده التى بمعنى: المحبّه، وإن كـانت فى الإنسان من قبيل الأعراض النفسانيّه التى يمكن أن تختلف وتتخلَّف – ولكن يمكن أن نتصوّر لها مفهوماً آخر خالياً من النقائص، بحيث نسـتطيع إطلاقه على الله تعالى، فتعـد الإراده التى بمعنى الحّب من الصـفات الذاتيّه لله تعالى.

فإذا كان المراد من الإراده الإلهيّه، حبَّ الكمال، الـذى يتعلَّق أوّلاً بالكمال الإلهى اللامتناهى، ويتعلَّق فى مراتب لاحقه بكمالات سائر الموجودات من حيث هى آثار لكماله تعالى، أمكن لنا أن نعدَّها من الكمالات الذاتيّه.

وكذلك الإراده بمعنى التصـميم على القيام بعمل، فهى بلا شكّّ من الصـفات الفعليّه، حيث تتحدد وتتقيد بقيود، وذلك بلحاظ تعلقها بالأمور الحادثه، والشواهد القرآنيّه على ذلك كثيره جدّاً، منها: إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٢.

و إراده المشـركين: وإذا ما لاحظنا الإراده من طرف الإنسان لوجدناها إراده عرضـيه لا اسـتقلاليّه فيها، فهى إراده محدَّده ومقيَّده بحدود وقيود تعلقاتها، فتتّصف هذه الإراده بالكثره والحدوث؛ لأن هناك إراده للإنسان وهى إراده أضافيه، أمّا الإراده المسـتقلّه والحقيقيّه، فهى لله تعالى، لا غير.

ومن هنـا كـانت هنـاك إراده عنـد الكفـار لكنها مقيّـده بإراده الله تعالى، فإذا ما راجعنا الآيه السابقه لهـذه الآيه (١)، لوجدنا أنّ هناك إراده عند هؤلاء، وهذه الإراده إراده ضعيفه أمام أراده الله تعالى.

ص:١٥٣

١- (٣) . التوبه: ٣٢.

لقـد جـاء: إنّه تعـالى أخبر عن هؤلاـء الكفار من اليهود والنصارى أنهم يُرِيـدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللّهِ ١، وهو: القرآن والإسـلام عند أكثر المفسرّين.

وهناك إراده إلهيّه ظاهره فى قوله تعالى:

وَ يَأْبَى اللّهُ إِلاّـ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ معناه: ويمنع الله إلاّ أن يظهر أمر القرآن والإسـلام، فهو الـذى يريـد إظهار وَ دِينِ الْحَقِّ الذى هو الإسلام وما تضمنه من الشرائع (١).

فان الله هو الذى يريد إظهار الإسلام، على جميع الأديان كلها وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ظهور الإسلام.

إن زمان تطبيق هـذه الآيه هو حين قيام دوله الحقّ بقياده الإمام المهـدى(عـج)، والـذى سـيملأ الأرض قسـطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

يظهر من الروايـات أنّ فهم دلاّـله هـذه الآيات الكريمه على دوله المهـدى العالميّه كان شائعاً فى صـدر الإسـلام، وهو مروى فى كتب أهـل السنّه من طرقهم، فقـد نقله القرطبى فى تفسيره، والفخر الرازى فى تفسيره كـذلك، وغيرهما ممّن نقلنا آراءهم فى الآيه المباركه. وإنَّ السدى سئل عن تفسير الآيات من سوره التوبه: فقال: ذلك عند خروج المهدى (٢).

هناك بشرى تحملها الآيات المباركه وهى إقامه الدوله الإسلاميّه العالميّه.

نتيجه المقارنه وما نذهب إليه

بعـد أن انتهينـا من المقارنه بين مجموعه من المفسـرّين من الشـيعه والسنّه، نأتى إلى بيان النتائـج التى تمّ التوصل إليها من هـذه المقارنه، وهى كالتالى.

١. إنّ الآيه القرآنيّه التى جاءت فى سوره التوبه وسوره الصف، وسوره الفتح، ولو مع الاختلاف اليسير فى ذيل الآيه ذكرت أحد أسباب إرسال

١- (٢) . مجمع البيان: ۵ / ۴۵.

٢- (٣) . تفسير القرطبى: ٨؛ التفسير الكبير: ۴٠ / ١۶.

الرسول الأكرم(صلى الله عليه و آله) وهو إظهار هذا الدين على جميع الأديان الأخرى.

۲. إنَّ النبى الأكرم أرسل بِالْهُدى الذى هو القرآن، أو ما بلحاظه من الحجّه والبيان.

۳. إنَّ الدِّين الذى عبرت عنه الآيه: وَ دِينِ الْحَقِّ هو: الإسلام.

۴. إنَّ المراد من: لِيُظْهِرَهُ فى الآيه الكريمه هو عالميّه الدين الإسلامى وغلبته لجميع الأديان السماويّه والأرضيّه. وإظهار الشىء على غيره نصرته وتغليبه عليه، والمراد بالدين كلّه كلّ سبيل مسلوك غير سبيل الإسلام (۱).

سواء أكان من الأديان السماويّه أو من الأديان الأرضيّه، أى المذاهب والنظريّات التى يتبناها الإنسان فى مسيرته الحياتيّه، كالنظريّه الماركسيّه، والعلمانيّه، والعولميّه الغربيّه.

والآيه فى مقام تعليل قوله فى الآيه السابقه: وَ اللّهُ مُتِمُّ نُورِهِ، ۲ والمعنى: والله متمّ نوره؛ لأنّه هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بنوره الذى هو بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ ليجعله غالباً على جميع الأديان ولو كره المشركون من أهل الأوثان.

ويستفاد من الآيتين أن دين الحقّ نور الله فى الأرض، كما يستفاد ذلك من قوله تعالى: اَللّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاهٍ فِيها مِصْباحٌ الْمِصْباحُ فِى زُجاجَهٍ. ۳

وهذا المضمون نفسه تقّدمه الآيه من سوره: الفتح.

ز). البشرى بإقامه الدوله العالميّه الإسلاميّه

اشاره

نستطيع القول أنَّ البشرى التى تحملها الآيات القرآنيّه من سوره التوبه، والصف، والفتح، تتضمَّن البشرى بإقامه دوله الحقّ، الدوله الإسلاميّه العالميّه

۱- (۱) . الرؤيه القرآنيّه للقضيّه المهدويّه: ۹۴.

التی تظهر علی جمیع الأدیان الأخری، السماویّه المنسوخه والأرضیّه المادیّه، وتکون الحاکمیّه المطلقه للشریعه الإسلامیّه.

فإذا کان الحکم للشریعه الإسلامیّه، فهذا یعنی تطهیر الأرض من جمیع أشکال الظلم والجور والشرک والکفر والإلحاد، ونشر القسط والعدل فیها، ویکون قد تمَّ تطبیق الآیات الآنفه الذکر.

وتمّت أیضاً وراثه الأرض من قبل عباد الله الصالحین التی وعد الله عباده فی الآیات من سوره الأنبیاء و النور والحج، والتی تُبیِّن أنّ الدوله العالمیّه التی یظهر فیها الله تعالی الإسلام علی الدِّین کلِّه إنَّما یقیمها الله علی أیدی الصالحین المؤمنین به.

وقال ابن جزی فی تفسیره للآیه:

وإظهاره: جعله أعلی الأدیان وأقواها حتّی یعمّ المشارق والمغارب (۱).

وروی عن أبی هریره فی تفسیر الآیه المتقدمه أنّه قال:

هذا وعد من الله بأنّه تعالی یجعل الإسلام عالیاً علی جمیع الأدیان (۲).

أماما روی عن الرسول الأکرم والأئمّه من أهل بیته(علیهم السلام) فی التصریح بأنّ المقصود فی الآیه هی دوله الأمام المهدی المنتظر(عج) أحادیث کثیره، لا أرید الدخول فیها؛ لأنَّ البحث هنا بحث قرآنی بحت، وما نقلناه من أقوال المفسرّین هو للاستشهاد علی وضوح دلاله الآیات الکریمه علی المقصود دونما تأویل أو تطبیق.

آیه الإظهار والعالمیه

قال تعالی: هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ وَ لَوْ کَرِهَ الْمُشْرِکُونَ ٣.

۱- (۱) . التسهیل لعلوم التنزیل: ۱ /۴۶۰.

۲- (۲) . تفسیر الطبری: ۱۴؛ التفسیر الکبیر: ۴۰ / ۱۶؛ تفسیر القرطبی: ۸ / ۱۲۱؛ تفسیر الدر المنثور للسیوطی: ۴ / ۱۷۶.

لقد أكّدت الأدلّه القرآنيّه الأدلّه النقليّه، إضافه إلى أخذ تلك الأدّله القرآنيّه الطابع العقلی، حول قضيّه العالميّه الإسلاميّه، والتی تحدث القرآن الكريم فيها بمواطن عدّه. ولاشَكَّ أنَّ أدلّه القرآن الكريم أفضل الأدّله، وهو أكثر المصادر اعتباراً علی عالميّه الإسلام، وأنّه للناس كافه، ولم يختصَّ بأمّه دون أمّه، وبقوم دون قوم، كما توهم جماعه من المعادين للإسلام.

فهناك من يعتقد أنّ عالميّه الرساله الإسلاميّه ظهرت فيما بعد، وأنَّ النبیّ محمّداً(صلی الله عليه و آله) اقتصر فی رسالته منذ بدء الرساله إلی لحظه وفاته (صلی الله عليه و آله) علی العرب فقط؛ وذلک لأنّ محمّداً(صلی الله عليه و آله) لم يعرف مكاناً غير الجزيره العربيّه (١).

ولوا ألقی المرء نظره علی هذا الكتاب الإلهی يدرک وبكلّ وضوح عموم دعوته، وعدم اختصاصها بقوم أو عنصر أو لسان: وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ، ٢ فهو لم يُرسل إلاّ رحمه للعالمين جميعاً، ويستفاد ذلک من إطلاق كلمه: لِلْعالَمِينَ وحيث لم يرد مخصِّص لهذا الإطلاق من الروايات الشريفه، أو غيرها من الأدلّه المعتبره شرعاً، فيبقی الإطلاق علی حاله.

وهذا ما دلَّت عليه بعض الآيات المباركه التی تكلَّمت حول عالميّه الإسلام، والتی سوف نتطرّق إليها فی البحوث الآتيه إن شاء الله.

ذلک بالإضافه إلی الآيات التی تخاطب أهل الكتاب وأصحاب الديانات الأخری، علی لزوم ترک الطريق الباطل واتّخاذ الطريق الحقّ، وترک عباده الأشخاص، كما هو الملاحظ من قوله تعالی: يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْباطِلِ وَ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٣.

١- (١) . سيّد المرسلين: ٢ /٣٥.

وقوله تعالی: قُلْ یا أَهْلَ الْکِتابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَها عِوَجاً وَ أَنْتُمْ شُهَداءُ وَ مَا اللّهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ ١.

وقوله تعالی: یَهْدِی بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَ یُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَی النُّورِ بِإِذْنِهِ وَ یَهْدِیهِمْ إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ ٢.
وبالتأمّل فی هذه الآیات المبارکه ونظائرها لا یبقی أیّ مجال للشّکّ فی عالمیّه الإسلام.

إشکال: لکن هناک أشکال أثاره البعض حول الاستدلال بهذه الآیات المبارکه، وتصوّر وجود تعارض بینها وبین الآیات الداله علی أنّ النبیَّ(صلی الله علیه و آله) مأمورٌ بهدایه عشیرته وأقربائه وأهل مکه، وما یقاربها من الآیات القرآنیّه الأخری، مثل قوله تعالی:

١. وَ أَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ الْأَقْرَبِینَ ٣.

٢. وَ هذا کِتابٌ أَنْزَلْناهُ مُبارَکٌ مُصَدِّقُ الَّذِی بَیْنَ یَدَیْهِ وَ لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُری وَ مَنْ حَوْلَها وَ الَّذِینَ یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ یُؤْمِنُونَ بِهِ وَ هُمْ عَلی صَلاتِهِمْ یُحافِظُونَ ۴.

٣.وَ کَذلِکَ أَوْحَیْنا إِلَیْکَ قُرْآناً عَرَبِیًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُری وَ مَنْ حَوْلَها وَ تُنْذِرَ یَوْمَ الْجَمْعِ لا رَیْبَ فِیهِ فَرِیقٌ فِی الْجَنَّهِ وَ فَرِیقٌ فِی السَّعِیرِ ۵.

۴. أَمْ یَقُولُونَ افْتَراهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِیرٍ مِنْ قَبْلِکَ لَعَلَّهُمْ یَهْتَدُونَ ۶.

۵. وَ ما کُنْتَ بِجانِبِ الطُّورِ إِذْ نادَیْنا وَ لکِنْ رَحْمَهً مِنْ رَبِّکَ لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِیرٍ مِنْ قَبْلِکَ لَعَلَّهُمْ یَتَذَکَّرُونَ ٧.

إنّ جميع هذه الآيات الكريمه، تدلّ على أنَّ النبيَّ ألأكرم(صلى الله عليه و آله) إنّما بعث لقومه وعشيرته الأقربين، والآيات الأخر دلَّت على أنَّ البعثه كانت لأجل أن يهدى النبيّ(صلى الله عليه و آله) - إضافه إلى قومه - أُمَّ القرى ومَن حولها من القرى الأخرى.

وفى مقام الجواب على هذا الأشكال الذى أثاره بعض المستشرقين الغير عارفين بمسيره الدعوه الإسلاميه، فإنَّ جميع هذه الآيات القرآنيّه كانت قد تحدّثت عن مراحل الدعوه إلى الإسلام، حيث تبدأ من عشيرته والأقربين، ومن ثم إلى أهل مكّه وما يحاذيها، وبعد ذلك تمتد إلى سائر البلدان غير مكّه، فليست هذه الآيات مخصّصه للإطلاق الدال عليه فى منطوق الآيات الداله على عالميّه الإسلام.

وأيضاً من ضمن الآيات الداله على عالميّه الإسلام آيه الإظهار: هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ١، والتى لا يشك فيها من له أدنى مستوى من التدبر والملاحظه، لأنها تدلّ على عالميّه الإسلام بظاهرها ومنطوقها لا بالمفهوم فقط، مع ما يساندها من الآيات القرآنيّه، والأحاديث الشريفه.

خلاصه الفصل الثانى:

لقد عرفنا فى هذا الفصل مجموعه من النقاط:

١. هناك توافق بين المفسرّين من كِلا الفريقين على عالميّه الإسلام، وأنّه سوف يأتى يوم يعمّ فيه الإسلام جميع أرجاء المعموره.

٢. هناك نوع من الاختلاف فى زمان تطبيق آيه الإظهار، بين وقوعه فى بدايه الدعوه إلى الإسلام وبين أنَّه سيقع فى زمان الإمام المهدى(عج).

۳. هناك من أنكر وجود الإمام المهدى(عج) وجعلها فكره شيعيّه لاواقع لها، إلّا أنَّ الآيات القرآنيّه والروايات الشريفه تدلَّ على خلاف ذلك، و أنّ ذلك سوف يتحقّق فى زمان الدوله العالميّه للأمام المهدى(عج).

۴. إنَّ فى آيه الإظهار بشاره بتحقّق الدوله العالميّه للإسلام، والتى تملأ الأرض فيها قسطاً وعدلاً.

ص:۱۶۰

٣- عالميّه الإسلام

تمهيد:

بعد أن تطّرقنا فى الفصل الأوّل لظاهره العولمه بقسميها، العولمه الحقيقيّه والعولمه الغربيّه، كان ممّا لابدَّ منه ولو بشىء من الأجمال عرض العالميّه الإسلاميّه، وما هو المراد من العالميّه فى الإسلام؟

هل هو ما أرادته العولمه الغربيّه؟ أو غير ذلك؟

وما هى الدلائل على العالميّه الإسلاميّه؟

وكذلك عرض النظريّات الإسلاميّه فى نفس المجالات التى دخلت منها العولمه نطاق العالميه، وهما الاتّجاه السياسى والاتّجاه الثقافى على وجه الخصوص.

إذاً: سوف نتناول فيه:

عالميّه الإسلام مع الاستدلال عليها بالقرآن والسنّه، وكذلك عالميّه الإسلام فى مجالى السياسه والثقافه مع التطرف لنظريّه الدوله، مع التطرق لأقسام الدوله، والدوله العالميّه فى الإسلام.

ونتناول ذلك بغيه المعرفه والاطلاع على النظريّات الإسلاميّه فى هذه المجالات بعد اطلاعنا على النظريّات العولميّه.

عالميّه الإسلام

اشاره

نعتقـد أنّ الـدين عند الله الإسـلام، وهو الشـريعه الإلهيّه الحقّه، وهى خاتمه الشـرائع وأكملها، وأوفقها فى سـعاده البشـر وأجمعها لمصالحهم فى دنياهم وآخرتهم، وصالحه للبقاء مـدى الـدهور، والعصور، لا تتبـدل ولا تتغّير، جامعه لجميع ما يحتاجه البشـر من النظم الفردّيه والاجتماعيّه، والسياسيّه.

ولمّا كانت خاتمه الشـرائع، لا نترّقب شـريعه أخرى تصلح هؤلاء البشر المنغمسين فى مظالم الفساد، فلا بدَّ أن يأتى يوم يقوى فيه الـدين الإسـلامى فيشـمل المعمور عـدله وقوانينه ولو طبقت الشـريعه الاسـلاميه بقوانينهـا فى الأرض تطبيقاً كاملًا وصـحيحاً لعمَّ السـلام بين البشـر وتمّت السعاده لهم، وبلغوا أقصى ما ينعم به الإنسان من الرفاه والعزَّه والسعه، والدّعَه والخلق الفاضل، و لانقشع الظلم من الدنيا وسادت المحبّه والإخاء بين الناس أجمعين، ولانمحى الفقر والفاقه من صفحه الوجود (١).

إذاً: لاـ بـدّ للإسـلام أن يسود العـالم يومـاً مـا، وهـذا ما تشـهد له الآيات القرآنيّه، وأوّل هـذه الآيات هى آيه الإظهار التى سوف نتناولها فى الفصل الثالث، إن شاءالله.

وما يذهب إليه العقل البشرى الفطرى، و أقوال الكثير من المؤرخين والكتاب الغربيين.

ونظراً لوجود علاـقه وثيقه بين التفسير الواقعى لآـيه الإظهار والعالميّه الإسـلاميّه أردنا التطرق للعالميّه الإسـلاميّه فى قبال العولمه الغربيّه.

ونحن فى بحثنـا هـذا حول عـالميّه الإسـلام، سـنتطرّق إلى بعض الأدلّه التى نثبت من خلالها عالميّه الإسـلام، وإنَّه لم يكن رساله لأُمَّه دون أمّه، أو لبقعه جغرافيّه محدّده دون أخرى، بل هو دين عالمى يشمل جميع المعموره، من ناحيه الأحكام والقوانين.

١- (١) . الفوائد البهيه فى شرح عقائد الأماميّه: ١ / ۴٩٣.

ومن هنا سوف نستدّل على عالميّه الإسلام بالدليل العقلى والدليل النقلى، وبنقل آراء غير المسلمين أيضاً، و إليکَ أهمّ تلک الأدّله:

الدليل الأوّل: الدليل العقلى:

إنّ العقل يحكم بأنَّ الحكيم لا ـ يكون فعله عبثياً، فهو يضع الشىء فى محلّه وفى موقعه المناسب له، وإنَّ الله تعالى أحكم الحكماء، فهو لم يخلق الإنسان عبثاً، وإنما خلقه لغايه هى أسمى وأرفع، وهى عباده الله الواحد الأحد: وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ ١.

إنَّ الطريق إلى الله بالعبوديّه لا ـ يعرف إلاّ بالأنبياء والرسل، الذين جاؤوا بأحكام ودساتير توصل الفرد والمجتمعات إلى السعاده فى الدارين، وكلَّما كانت الشرائع أشمل وأكمل كلّما كان الوصول إلى الهدف أسهل وأسرع لذا لم نرَ ديناً أو رساله هى أتمُّ وأكمل من رساله الإسلام، الحاويه لكلّ ما يحتاجه المرء على كلَ ّالأصعده والنواحى؛ ويشهد بذلک قوانينه الحقّه التى تميزت عن بقيه الأديان بدّقه أحكامها وشموليتها، بل لا ـ يمكن قياسها على بقيّه الأديان لعدم توفر أحكام وتشريعات فى الديانتين اليهوديّه والمسيحيّه، واقتصارهما على مجرّد النصائح والإرشادات.

فكانت الشريعتان اليهوديّه والمسيحيّه، لمرحلتين زمانيتين محدودتين، بعكس الإسلام الذى لا يحدّه زمان أو مكان، بل هو لكل الأجيال، ففيه الكثير من الكلّيات المستنبطه من الكتاب والسنّه، وما يقدر بواسطته على بيان حاجات الناس فى جميع أمورهم من الاعتقادات والآداب والسنن والتشريع والأنظمه والقوانين، وكلّ ما يتطلّبه الفرد أو الجماعات لتنظيم شؤونهم وأحوالهم.

الدليل الثانی: الدليل النقلی:

ومن الأدّله الأخری علی عالميه القرآن بالإضافه إلی الدليل العقلی الدليل النقلی، من خلال الكتاب والسنّه الشريفه:

أوّلاً: القرآن الكريم

القرآن هو الكتاب الإلهی والناموس الربانی الذی أنزله الله تعالی علی صدر النبیّ الأكرم(صلی الله عليه و آله) يضمّ بين دفتيه القوانين الإلهيّه التی يجب أن تحكم العالم بأسره.

ولّما كان القرآن أحد الأدله التی بينت عالميه الإسلام بأوضح فكره وانصع صوره، إذاً: فسوف نتناول العالميّه فی القرآن الكريم من خلال النصوص، وبعض الظواهر القرآنيّه، وذلك من خلال عرض وجوه عده لذلك:

الوجه الأوّل: النصوص القرآنيّه الداله علی عالميّه الإسلام

النص الأوّل: قال تعالی: تَبارَكَ الَّذِی نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلی عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً ١.

النصّ الثانی: قال تعالی: وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلاّ كَافَّةً لِلنّاسِ بَشِيراً وَ نَذِيراً وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ ٢.

النصّ الثالث: قال سبحانه: قُلْ يا أَيُّهَا النّاسُ إِنِّی رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ٣.

النصّ الرابع: قال سبحانه: وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِی الْآخِرَهِ مِنَ الْخاسِرِينَ ۴.

النصّ الخامس: قال تعالی عن القرآن الكريم الذی أوحاه إلی نبيّه الكريم: إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ ۵.

النصّ السادس: قال تعالى: وَ أَوحِيَ إِلَيَّ هذَا الْقُرْآنُ لِأَنْذِرَكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ ١.

أى: كلّ من يصل إليه البلاغ وكلّ من سمعه فى جميع أقطار الأرض, فى أىّ زمن من الأزمان وصل إليه البلاغ.

النصّ السابع: قال تعالى: هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ٢، وقال تعالى: وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ ٣، وقال تبارك وتعالى: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ يَأْبَى اللّهُ إِلاّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ۴.

إن فى هذه الآيات من الوضوح والدلاله ما يغنى عن شرحها والتعليق عليها.

فهى صريحه لا تقبل التأويل أبداً، بل تدل على عالميّه الرساله المحمديّه، دلاله واضحه.

الوجه الثانى: دعوه العالميّه:

ومن الأدّله القرآنيّه أيضاً على عالميّه الإسلام، ما جاء فى القرآن الكريم من دعوه لأهل الكتاب من اليهود والنصارى والمشركين إلى الإسلام الذى جاء به محمد(صلى الله عليه و آله) سواء أكانوا من العرب أم من غير العرب، و بيّن لهم بأنّ الإسلام هو الدين الحقّ الذى لا يقبل الله سواه.

قال تعالى: وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِى الْآخِرَهِ مِنَ الْخاسِرِينَ ۵.

وقد تجاوزت رساله نبيّنا محمّد(صلى الله عليه و آله) اليهود والنصارى والبشرّيه بأكملها، فلم

تقتصر على عالم الإنس فقط، بل تعدّت إلى عالم الجن أيضا, قال تعالى: قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقالُوا إِنّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنّا بِهِ وَ لَنْ نُشْرِکَ بِرَبِّنا أَحَداً، ١ وقال تعالى: وَ إِذْ صَرَفْنا إِلَيْکَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمّا حَضَرُوهُ قالُوا أَنْصِتُوا فَلَمّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ٢.

الوجه الثالث: خطابات القرآن ونداءاته العامّه

إنَّ القرآن الكريم كثيراً ما يوجه خطاباته إلى الناس غير مقيّده بقيد, وهذا دليل واضح على أنَّ خطاباته وتوجيهاته تعمُّ الناس كافه, وهذا دليل واضح على أنَّ الإسلام لجميع البشر، بل للأنس والجنّ، وأمثله ذلک كثيره فی القرآن الكريم منها:

أوّلاً: قوله تعالى: يا أَيُّهَا النّاسُ کُلُوا مِمّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَ لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ لَکُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ٣.

ثانياً: قوله تعالى: يا أَيُّهَا النّاسُ اعْبُدُوا رَبَّکُمُ الَّذِي خَلَقَکُمْ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِکُمْ لَعَلَّکُمْ تَتَّقُونَ ۴ وآيات كثيره أمثال ذلک، فهو يخاطب الناس جميعاً بقوله أيها الناس، ولم يقل يا أيها العرب.

الوجه الرابع: عالميّه القوانين والتشريعات القرآنيه

إنَّ التشريعات القرآنيّه هی من محتويات الإسلام، والإسلام رساله عالميّه - كما قلنا- ويعتمد فی جميع أحكامه وتشريعاته، وما يخصُّ الإنسان فی معاشه ومعاده على طبيعه الإنسان التی يتساوى فيها جميع البشر.

ولا يجد الباحث مهما أوتی من مقدره علميه كبيره فيما جاء به نبیّ الإسلام(صلى الله عليه و آله)أیّ طابع إقليمی، أو صبغه طائفيه، وتلک آيه واضحه

على أن دعوته دعوه عالميّه لا تتحيّز إلى فئه معيّنه، ولا تنجرف إلى طائفه خاصّه (۱).

فالعبادات والمعاملات والأخلاق... كلّها ليست فيها صبغه طائفيّه ولا إقليميّه، بل تكتسى الصبغه العالميّه، لأنّها تناسب الإنسان وطبيعته، فهى صالحه له دون سواه.

وكذلك النظام الاجتماعى والسياسى والاقتصادى والقضائى ... لا تجد فى ثنايا أىّ منها أىّ تفكير طائفى أو نزعه إقليميّه. فمثلاً فى المعاملات وما يترتب عليها من مقاضاه بين الناس يأمر الله سبحانه المسلم أينما وجد زماناً ومكاناً، قائلاً: إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها وَ إِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللّهَ كانَ سَمِيعاً بَصِيراً ٢.

بينما تتجسد الطائفيّه والنزاعات العرقيّه بوضوح عند غير المسلمين، مثل: اليهود حين يتعاملون مع غير من ينتمى إلى دينهم كما يخبر الله تعالى بقوله: وَ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَ مِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاّ ما دُمْتَ عَلَيْهِ قائِماً ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لَيْسَ عَلَيْنا فِى الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَ يَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ ٣.

الوجه الخامس: الإسلام ينبذ أى مقومات التفرقه بين الناس:

إنَّ أقوى دليل على أنّ الإسلام رساله عالميّه، مكافحته للنزاعات الإقليميّه والطائفيّه، فالإسلام لا يفرق بين أبيض وأسود ولا بين جنس و آخر، بل يرفض العنصريّه والطائفيّه، ويرفض جعلها مقياساً للتفاضل فى ميزان السلام، والمقياس الوحيد للتفاضل هو التقوى، قال تعالى: يا أَيُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۴

ص:۱۶۷

۱- (۱) . معالم النبوّه فى القرآن الكريم: ۵۲.

فالإسلام هو أوّل من حارب العصبيّه، ودعا إلى الأخوه تحت لواء التوحيد الخالص ومقتضاه الإسلام.

ثانياً: أدلّه عالميه الإسلام من سنّ ه النبيّ(صلى الله عليه و آله) وآل بيته(عليهم السلام)

أمر الله سبحانه وتعالى نبيّه الكريم(صلى الله عليه و آله) أول ما بعثه أن يصدع بالحقّ بين عشيرته أوّلاً، ثمّ تتسّع دائره التبليغ والإنذار إلى أن تصل إلى أسماع كلّ من يستطيع أن يُسمعه رسول الله(صلى الله عليه و آله) سواء مباشره، أو أنْ يرسل مَن ينوب عنه في تبليغ ما جاءه(صلى الله عليه و آله) من ربّه سبحانه وتعالى، وسوف نُورد بعض هذه الأحاديث:

الحديث الأول:

إخباره(صلى الله عليه و آله) قومه قائلاً:

والله الذى لاإله إلّاهو إنّى رسول الله إليكم خاصّه، والى الناس عامّه (١).

الحديث الثاني:

ولتحقيق ما كُلِّف به من تبليغ رسالته إلى جميع الناس أرسل السفراء إلى جميع الأقطار، فبعث سفراءه وفى أيدى كلّ واحدٍ منهم كتاب خاصّ إلى قيصر والروم، وكسرى وفارس، وعظيم القبط، وملك الحبشه، والحارث بن أبى شمر الغسّانى ملك تخوم. (٢) وما كتاباته هذه إلى ملوك العالم فى عهده إلّا دليلاً قاطعاً على عالميّه رسالته(صلى الله عليه و آله).

الحديث الثالث:

ما روى عن جابر (رضى الله عنه) عن رسول الله(صلى الله عليه و آله) أنه قال:

أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من قبلى، كان كلّ نبيّ يبعث إلى قومه خاصّه، وبعثت إلى كلّ أبيض وأسود، وأُحلّت لى الغنائم ولم تحلَّ لأحد قبلى، وجعلت لى الأرض طيبهً وطهوراً ومسجدا، فأيّما رجل أدركته الصلاه صلّى حيث كان ونُصرت بالرعب مسيره شهر، وأعطيت الشفاعه (٣).

١- (١) . مجمع الزوائد: ٨ /۴٨۴.

٢- (٢) . معالم النبوّه: ۴۴.

٣- (٣) . صحيح مسلم، كتاب المساجد، رقم: ٣.

عالميّه الإسلام فى النظره الغربيّه:

بعـد أن أثبتنا عالميّه الإسـلام من المنظار العقلى والنقلى، نتعرّض الآن إلى النظره الغربيّه للعالميّه الإسـلاميّه، والتى أخـذ التخوّف من العالميّه المترقبه ينمو عند الكثير من أتباع الديانات الأخرى، وفى الفكر الغربى على وجه الخصوص.

ومـا أودُّ التعرض إليه الآـن هو نقـل أقوال جمله من المؤلّفين، والشخصـيات الغربيّه، التى تطرّقت إلى عالميّه الإسـلام، وكيف أن الإسلام يصحُّ أن يكون ديناً عالمياً يعمُّ جميع الكره الأرضيّه، ومن ذلك:

قال الكاتب، درى ترسى الألمانى، فى كتابه:

إنَّ العلوم الطبيعيّه والفلـك والفلسـفه والرياضـيّات، التى أنعشت أوربـا فى القرن العاشـر للميلاـد مقتبسه من قرآن محمـد، بل إنَّ أوربا مدينه للإسلام الذى جاء به محمّد. (۱)

وهذا دليل واضح ومن اعترافات الغرب الذين لم يكونوا يوماً من الجزيره العربيّه أو المناطق المجاوره لها.

وقال الكاتب كوستالوبون:

إنّ القرآن الكريم لم يُنشر إلاّ بالإقناع لا بالقوّه، فاستطاع، بذلك أن يجذب إليه الشعوب، وتدين به تلك الشعوب (۲).

إذاً: الإسلام لم يرغم أحداً على الدخول فيه وقبوله بالقوّه، وهذا ما أشارت إليه الآيه المباركه من سوره البقره: لا إِكْراهَ فِی الدِّینِ ۳.

وهذا خلاف ما تمارسه العولمه الغربيّه فى الوقت الحاضر من الممارسات والضغوط على الدول الضعيفه بغيه قبول ما يريده أتباع هذه النظريّات.

يقول الكاتب الفرنسى موريس بوكاى:

إنَّ النظريّه القائله أنّ محمّداً كاتب القرآن نظريّه مرفوضه؛ إذ

ص:۱۶۹

۱- (۱) . مقولات أرسطاطاليس، نقلاً عن: القرآن يتجلّى فى عصر العولمه: ۳۹۵.

۲- (۲) . المصدر: ۳۹۸.

كيف يتيسر لرجل حُرم العلم فى نشأته، أن يصبح – على الأقلّ من وجهه نظر القيمه الأدبيّه- الكاتب الأوّل فى الأدب العربى؟ و أن يخبر عن حقائق فى النظام العالمى تتجاوز وسع أىّ كاتب إنسانى فى هذا الزمن، ودون أن يكون منه أىُّ خطا؟

مع ذلك، أنّ الاعتبارات التى سنتوسّع فيها فى هذه الدراسه بقصد مقارنه الإسلام مع اليهوديّه والمسيحيّه ستوصلنا من وجهه النظر العلميّه فقط إلى الحكم بأنَّ من المستحيل تصوّر رجل عاش فى القرن السابع عشر الميلادى، واستطاع أن يُورد فى القرآن أفكاراً وموضوعات متنوعه جدّاً، ليست أفكار عصره تلتقى مع ما سيكشفه الناس منها بعد قرون متأخره عنه، أمّا بالنسبه لى، فليس للقرآن أىّ تفسير بشرى (۱).

المستر بيكتول:

القرآن هو الذى دفع العرب إلى فتح العالم، وإلى تأسيس إمبراطوريّه فاقت إمبراطوريّه إسكندر الكبير. والإمبراطوريّه الرومانيّه، سعه وقوّه وعمراناً وحضارهً ودواماً (۲).

وهذا دليل واضح على أنّ القرآن كان يحمل مجموعه من النظريات التى تفيد الإنسان عله وجه العموم غير متعلّقه بالبقعه الجغرافيّه التى نزل فيها.

برنارد شو:

لقد رفض الكاتب الإنكليزى الساخر أن يكتب حياه محمّد(صلى الله عليه و آله) فى مسرحيه هزيله، وفى هذا الجانب يقول:

ولو أن محمّداً وجد فى هذا العالم اليوم لأستطاع بقوه إقناعه أن يحلَّ كل مشكلات العالم، وأن يجعل الحبّ والسلام همّا الحياه، ولاشكَّ أنّ الإسلام ونبىّ السلام، استطاعا أن يجعلانى أقف باحترام شديد للرساله، ورسولها، وتمنيت دائماً أن يكون الإسلام هو سبيل العالم، فلا منقذ له سوى رساله محمّد، ولو وضعت دائماً دين محمّد موضع الاعتبار السامى، حيث يستطيع أن يكون جذاباً لكلّ جيل (۳).

۱- (۱) . التوراه والإنجيل والقرآن والعلم: ۱۱۸ .

۲- (۲) . القرآن يتجلّى فى عصر العلم: ۳۴.

۳- (۳) . الإسلام ورسوله فى فكر هؤلاء الكتاب: ۱۴۳.

انطونی کونی

أحسست أنَّ الإسلام قوه غیر عادیه بعد أن درستُ حیاه الزعیم عمر المختار، فقد کانت قر ائتی عن الإسلام من خلال هذه الشخصیه الخالده، تأکد لی أن الإسلام هذه القوه الخفیه التی یحملها لیس المختار فقط، بل کلّ المخلوقات البشرّیه فی هذا العالم، وإنّما ینقصهم أن یتعرّفوا علیه وعلی قیمه ومبادئه وتعالیمه التی درستها، وأنا أعدّ نفسی لأداء دور عمر المختار، وأنا نادم لأنّ عمری فات ولم أکن مسلماً (۱).

هذه نبذه من کلمات المفکّرین الغربیین الذین انحنوا أمام عظمه الإسلام، وعظمه الرسول الأکرم(صلی الله علیه و آله) فیجب علی جمیع البشرّیه أن تلتزم الإسلام عقیدهً ومنهج حیاهٍ، ولزوم عمل الناس جمیعاً بالشریعه الإسلامیّه الحقّه.

وبعد أن أثبتنا عالمیّه الإسلام عن طریق العقل والنقل، نرید أن نعرف عالمیّه الإسلام علی المستوی السیاسی والمستوی الثقافی فی سبیل أن نعرف العلاقه بین عالمیّه الإسلام والعالمیّه العولمیّه.

وهل العالمیّه الإسلامیّه عالمیّه دینیّه، فقط أو هی عالمیّه سیاسیّه وثقافیّه کذلک؟

وحتّی یکون هناک نوع من التمییز بین العالمیّه العولمیّه المعاصره والعالمیّه الإسلامیّه ومن هو الذی یصلح أن یکون حاکماً لهذا الکون بجمیع أنحائه؛ وذلک لأنّنا بحثنا العولمه من الاتّجاه السیاسی والثقافی أیضاً.

عالمیّه الإسلام السیاسیّه

اشاره

یعتبر المبحث السیاسی من المباحث المهمّه والأساسیّه فی الشریعه الإسلامیّه والإسلام عموماً.

۱- (۱) . المصدر: ۱۴۴.

ونحن نريد الدخول فى البحث السياسى الإسلامى، لابدَّ لنا من أن نعرف أنَّ السياسه الإسلاميّه جزء من كلَ ّ (١)، وهذه العباره حقيقه عامّه لا تختصُّ فى المجال السياسى الإسلامى. وإنَّما جميع المجالات الحياتيّه، فهى عباره عن جزء من كلّ؛ لأنَّ الإسلام لم يكن ديناً للرهبنه والتصوّف، بل هو دين يعالج جميع المجالات الحياتيّه التى يعيشها الإنسان فالإسلام كلّه وحده مترابطه، وفصل أىّ جزء من أجزاءه عن سائر الأجزاء الأخرى يمنع من رؤيه ذلك الجزء رؤيه حقيقيّه صحيحه (٢).

فهو عباره عن سلسله حلقات مترابطه تشكل بمجموعها منهجاً ثابتاً للحياه البشريّه بالكامل.

من هنا سوف يكون الكلام فى هذا المبحث ضمن اتّجاهات عدّه فى المجال السياسى. والتى منها:

أوّلاً: المعنى اللّغوى والاصطلاحى للسياسه.

ثانياً: تعريف السياسه عند المسلمين وغيرهم.

ثالثاً: السياسه فى العولمه الغربيّه والعولمه الإسلاميّه.

رابعاً: حقوق الإنسان فى الإسلام.

خامساً: نظريّه الدوله فى الإسلام.

أوّلاً: المعنى اللغوى والاصطلاحى للسياسه

إنَّ كلمه سياسه كغيرها من الكلمات ذات الدلاله العلميّه والفنيّه المستعمله عند العلماء والكتاب والمفكّرين وغيرهم، فهى تحمل معنيين اثنين: معنىً لغويّاً، ومعنىً اصطلاحيّاً.

ص:١٧٢

١- (١) . المذهب السياسى فى الإسلام: ١٧١.

٢- (٢) . المصدر: ١٧١ .

المعنی اللغوی:

إنَّ کلمه سیاسه تعنی فی المدلول اللغوی، ما یأتی: السیاسه: القیام علی الشیء بما یصلحه (۱).

وتعنی أیضاً: الترویض والتدریب علی وضع معین، والتربیّه والتوجیه،وإصدار الأمر والعنایه والرعایه، والإشراف علی شیء، والاهتمام به والقیام علیه.

المعنی الاصطلاحی:

إنَّ مفهوم السیاسه کغیره من المفاهیم الفکریّه یختلف حسب العقیده والمبدأ والنظریّه التی یستفاد منها، أو یعتمد علیها؛ لذا فقد عُرِّفت السیاسه بتعاریف عدیده، وفهمت بصور وأشکال مختلفه.

ویهمنا فی هذا البحث أن نعرِّف السیاسه تعریفاً إسلامیّاً مستفاداً من النظریّه الإسلامیّه وفهمها للسیاسه إلّا أنّه من المفید أن نتناول بعض التعاریف, وصور الفهم غیر الإسلامیّه للسیاسه.

فقد عُرِّفت بتعاریف عدیده من قبل بعض الکتّاب السیاسیّین، المختلفین فی مذاهبهم ونظریّاتهم السیاسیه، لنعرف الفارق بین مفهوم السیاسه فی الإسلام، ومفهومها فی المذاهب غیر الإسلامیّه.

ثانیاً: السیاسه فی النظریّه الغربیّه والإسلامیّه:

اشاره

إنّ هناک اختلافاً واضحاً فی التعریف السیاسی علی المستوی التعریفی للنظریّه السیاسیّه الغربیّه والنظریّه الإسلامیّه، ونحن بدورنا نقوم بنقل مجموعه من التعاریف غیر الإسلامیّه، ومن ثمّ التطرّق للتعاریف الإسلامیّه.

۱- (۱) . لسان العرب: ۹ / ۱۳۸.

السياسه عند غير المسلمين:

لقد عُرِّفت السياسه عند العلماء غير المسلمين بتعاريف عده، واضحه الاختلاف.

الأوّل: تعريف سقراط:

لقد عرّف الفيلسوف اليونانى سقراط السياسه بأنّها: فنُّ الحكم، والسياسى هو الذى يصل إلى فنَ ّالحكم (١).

الثانى: تعريف أفلاطون:

إنَّها، فَنُّ تربيه الأفراد فى حياه جماعيّه مشتركه، وهى عنايه بشؤون الجماعه، أو فنُّ حكم الأفراد برضاهم، والسياسى هو الذى يعرف هذا الفنَّ (٢).

الثالث: تعريف ميكيافلي:

فنُّ الإبقاء على السلطه، وتوحيدها فى قبضه الحكام، بصرف النظر عن الوسيله التى تحقق ذلك (٣).

الرابع: تعريف دزرائيلى:

«السياسه هى فَنُّ حكم البشر عن طريق خداعهم.» (۴) وهكذا نلاحظ الفوارق فى الفهم والتعريف، وتحديد مفهوم السياسه وهويّتها بين الكتّاب والمفكّرين والفلاسفه غير الإسلاميين متأثرين فى فلسفتهم العامّه، وفهمهم للحياه والمجتمع والأخلاق، وحركه التاريخ باستقرائهم مجالات النشاط السياسى، وتحديدهم لها فى ظروف الممارسات المنحرفه والقاصره للسياسه فانتزعوا من هذين المصدرين فهمهم للسياسه.

فقد رأينا أنّ بعض الكتاب السياسيين يرى أنّ السياسه هى: فنّ الحكم، بينما يرى فريق آخر: أنّها فنّ الصراع من أجل السلطه والإبقاء عليها. وينظر

١- (١) . النظُمُ السياسيّه: ۴۵.

٢- (٢) . المصدر: ۶۹.

٣- (٣) . الثوره والحياه اليوميّه: ١٣.

۴- (۴) . الحركه الإسلاميّه: ۶.

إليهـا آخرون نظره أعمّ: تتعلق بالنشـاط السياسـی الحاكم والمحكوم، وكلَّ ما ينطلق من فلسـفته العامّه لحركه التاريـخ والمجتمع وفهمه لفلسفه الحياه، والنوازع النفسيّه والماديّه والأخلاقيّه للإنسان.

تعريف السياسه فی الإسلام

وإذا تخطّينـا تلـك المـدارس الفكريّه، وفهمهـا للسـياسه، أنّهـا فنّ الحكم، وأنّهـا الكفـاح من أجـل السـلطه، وأنّهـا أداه للتسـلط، والسـيطره والتحكم، وأنّها فنّ الوصوليّه وعدنا إلی الإسلام، لنعرف رأيه فی السياسه وتحديده لمفهومها من خلال الممارسه التی تمت علی يـد الرسول الكريم(صـلی الله عليه و آله) والمقتدين بنهجه، ومن خلال النصوص والمفاهيم الوارده فی القرآن الكريم والسـنّه الشريفه ... ومن خلال الدراسات السياسيّه والعقائديّه، خصوصاً بحث الإمامه لدی العلماء والمفكّرين الإسلاميّين، نستطيع أن نحـدِّد هـذا المفهوم بشـكل واضـح بعيـداً عن الاضـطراب والضـبابيّه، التی اكتنفت المـدارس الفكريّه المختلفه خـارج الإطار الإسلامی.

فباسـتقراء ومتابعه كلمه السـياسه، والراعی والرعيه، والأمام، والسـلطان وولی الأمر، والبيعه، والأمر بالمعروف، والنهی عن المنكر، والشوری فی الدراسات الإسـلاميّه ... وفی النصوص والمجالات ذات العلاقه، سنعرف أنَّ مفهوم السياسه فی المدرسه الإسلاميّه، قريب من معناه اللغوی.

فكلمه السياسه:

تطلق علی كلّ عمل يتعلّق برعايه الأمّه، وتدبير شؤونها سواء الاقتصاديّه أو الاجتماعيّه والتعليميّه، أو إداره الدوله، أو نشاط الأفراد والأحزاب الإسلاميّه، وإداره العلاقات الخارجيّه، والدفاع عن الأمّه والعقيده والأوطان (۱).

ص:۱۷۵

۱- (۱) . الثقافه السياسيّه الإسلاميّه: ۱۱.

إذاً: فـالحكومه – بحسب هـذا التعريف – مسـئوله عن رعـايه شؤون الأـمّه، والأـمّه مسؤوله عن رعايه شؤونها، ومن رعايه شؤونها مراقبتها للسلطه، ومحاسبتها، وإسداء النصح إليها والمشوره، وتحديد الموقف منها عند الانحراف، والخروج من الخطّ الإسلامی.

وهكذا نفهم أنَّ معنى السـياسه ليس هو الكفاح من أجل السلطه، والصراع عليها وليس هو محصوراً فی فن الحكم المجرّد وليس هی أداه تسلط طبقی، ولا هی فنّ الوصوليّه بل هی رعايّه شؤون الأمّه، وتُسأل عن هذا الواجب الأمه الإسلاميه بأجمعها، ثمّ تتركّز المهمّه، بالسلطه الإسلاميّه مع بقاء المسؤوليّه السياسيّه قائمه من خلال الأمر بالمعروف والنهی عن المنكر، على نحو الكفايه.

ومن الواضـح أنَّ الرعـايه والاهتمـام بشؤون الأُمَّه ومصالحها يـدخل فيها فنُّ الحكم، ونشاطات السـلطه السياسـيه، ونشاطات الأمه السياسيه، بما فيها الكفاح والثوره ضدَّ الحاكم الظالم.

وهكذا يتسّع مفهوم السياسه فی الإسلام، ليشمل كلَّ ما هو رعايه لشؤون الأمّه، ومصلحتها.

وبعباره أخرى أنَّ السياسه:

عمـل تقوم به، الأمّه، وجهاز السـلطه من أجل تحقيق الأهـداف الأساسـيّه للرساله الإسـلاميّه التی لخصـها الفقهاء بجلب المصالح ودرء المفاسد (۱).

وهكذا يتسع المفهوم ليشمل كلّ عمل تقوم به الحكومه والأفراد والجماعه والمنظمات والأحزاب القائمه على أساس الإسلام من أجـل: جلب المصالـح، ودرء المفاسـد، لتحقيق الأمن والـدفاع الخارجی والقضاء، وتقـديم الخـدمات التعليميّه، والطبيه، وتقـديم السلطه، وتحقيق العدل، وإزاحه الظلم، وحمايه الأخلاق، وتوجيه الاقتصاد، وفنّ إداره الأمّه والدوله، وأمثال ذلک، ممّا يدور فی

۱- (۱) . المصدر: ۲۳.

دائره الرعايه والعنايه بشؤون الأمّه، والحفاظ على مصالحها ودرء المفاسد عنها.

وقد اتّسع أخيرا مفهوم السياسه، بعد التطوّر الذى حصل فى الدساتير وموضوعاتها التى تعتنى بعلاجاتها، بحيث أصبح الدستور وثيقه تحوى الأسس العامّه لتنظيم الحياه وتوجيهها، وتطويرها بشتى مجالاتها.

ويتّضح لنا ذلک من خلال دراسه النصوص الوارده فى القران الكريم و سنَّه النبىّ(صلى الله عليه و آله) وآله.

السياسه فى القرآن الكريم:

لقد تحدّث القران عن السياسه والحكومه فى موارد كثيره من آياته، تحت عنوان الإمامه والخلافه والولايه والحكم فجعلها أمانه بيد الحاكم، وضروره عقائديّه لهدايه الإنسان، وإصلاح الحياه البشريّه لتحقيق العدل، وتطبيق القانون والنظام الذين يحفظان أراده الحقّ والعدل والخير فى هذا الوجود، إراده الله سبحانه... .

وفيما يلى نقرأ من الآيات الكريمه التى تعطينا صوره واضحه لمفهوم السياسه فى الإسلام.

قال تعالى مخاطباً داود(عليه السلام): يا داوُدُ إِنّا جَعَلْناکَ خَلِيفَهً فِى الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النّاسِ بِالْحَقِّ وَ لا تَتَّبِعِ الْهَوى فَيُضِلَّکَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا يَوْمَ الْحِسابِ* وَ ما خَلَقْنَا السَّماءَ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما باطِلاً ذلِکَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النّارِ ١، وقال تعالى: ثُمَّ جَعَلْناكُمْ خَلائِفَ فِى الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ٢، وقال تعالى: وَ إِذْ قالَ رَبُّکَ لِلْمَلائِكَهِ إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَهً قالُوا أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِکُ الدِّماءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ

بِحَمْدِکَ وَ نُقَدِّسُ لَکَ قالَ إِنِّی أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ ١، وقال تعالی: إِنَّ اللّهَ یَأْمُرُکُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلی أَهْلِها وَ إِذا حَکَمْتُمْ بَیْنَ النّاسِ أَنْ تَحْکُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمّا یَعِظُکُمْ بِهِ إِنَّ اللّهَ کانَ سَمِیعاً بَصِیراً* یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَطِیعُوا اللّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِی شَیْ ءٍ فَرُدُّوهُ إِلَی اللّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ کُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ ذلِکَ خَیْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِیلاً ٢، قال تبارک وتعالی: تِلْکَ الدّارُ الْآخِرَهُ نَجْعَلُها لِلَّذِینَ لا یُرِیدُونَ عُلُوًّا فِی الْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ الْعاقِبَهُ لِلْمُتَّقِینَ ٣، وقال سبحانه وتعالی: اَلَّذِینَ إِنْ مَکَّنّاهُمْ فِی الْأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاهَ وَ آتَوُا الزَّکاهَ وَ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنِ الْمُنْکَرِ وَ لِلّهِ عاقِبَهُ الْأُمُورِ ۴، وقال تعالی: وَ قالَ الَّذِی آمَنَ یا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِکُمْ سَبِیلَ الرَّشادِ ۵، وقال عزّ وجلّ: وَ إِنْ نَکَثُوا أَیْمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَ طَعَنُوا فِی دِینِکُمْ فَقاتِلُوا أَئِمَّهَ الْکُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَیْمانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ یَنْتَهُونَ ۶، وقال تعالی: وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها وَ تَوَکَّلْ عَلَی اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ ٧.

وکما أثبت القرآن تلک الأسس الفکرّیه للحکم والسیاسه، أثبت کذلک مبدأ الشوری والتشاور کأساس من أسس النظام السیاسی فی الإسلام، فقال تعالی: فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شاوِرْهُمْ فِی الْأَمْرِ ٨

ص:١٧٨

وقال تعالى واصفاً المؤمنين فى حياتهم السياسيه والاجتماعيه: وَ أَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ وَ مِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ ١.

وفى موضع آخر تحدَّث عن البيعه والطاعه لولاه الأمور الذين يقيمون الإسلام وينفذِّون سياسه الحقّ والعدل، واعتبرها واجبه على الأمّه فقال تعالى: لَقَدْ رَضِيَ اللّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَهِ ٢.

وقال تعالى: أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ٣.

وهكذا يثبّت القرآن المبادئ الأساسيّه للسياسه، ويوضِّح مرتكزاتها فى العديد من آياته.

السياسه فى سنّه النبىّ وآله(عليهم السلام):

وتتحدّث النصوص الوارده عن الرسول(صلى الله عليه و آله) والأئمّه الهداه(عليهم السلام) والصحابه عن مفهوم السياسه والحكم والمسئوليّه السياسيّه والعمل السياسى فى الإسلام.

كما توضِّح السيره العمليّه للرسول الكريم(صلى الله عليه و آله) مفهوم السياسه والحكم أفضل إيضاح، فقد قام الرسول(صلى الله عليه و آله)فى المدينه المنوّره، وطبق المفاهيم الإسلاميّه؛ لتكون نهجاً ودستوراً للحياه. وهنا نختار بعض الأحاديث الشريفه الصادره عن الرسول(صلى الله عليه و آله) وأهل بيته(عليهم السلام) لنعرف المراد من السياسه فى الإسلام.

أوّلاً: روى عن رسول الله(صلى الله عليه و آله) قوله:

«فالأمير الذى هو على الناس راع ومسؤول عن رعيته» (١).

ثانياً:

«من لم يهتمّ بأمور المسلمين، فليس منهم> (٢).

ص:١٧٩

١- (۴) . احقاق الحقّ :٣١٠ .

٢- (۵) . بحار الأنوار: ٧١ / ٣٣٨ .

ثالثاً:

(۱).

رابعاً:

(۲).

خامساً:

(۳).

سادساً: روی عن الأمام علی(علیه السلام) قوله:

من رأی سلطاناً جائراً مستحلّا لحرم الله، ناکثاً عهده، مخالفاً لسنّه رسول الله(صلی الله علیه و آله)یعمل فی عباد الله بالإثم والعدوان، فلم یغیّر علیه بفعلٍ ولا قولٍ، کان حقّاً علی الله أن یدخله مدخله (۴).

سابعاً: روی عن الأمام الحسین(علیه السلام) عندما أعلن الثوره علی حکومه یزید قوله:

إنّی لم أخرج أشراً، ولا ـ بطراً، ولا ـ مفسداً، ولا ـ ظالماً، وإنّما خرجتُ لطلب الإصلاح فی أمّه جدّی رسول الله، أرید أن آمر بالمعروف وأنهی عن المنکر (۵).

ثامنا: وکتب الإمام علی(علیه السلام)، إلی مالک الأشتر، والیه علی مصر کتابا بین فیه منهج العمل السیاسی، وإداره شؤون الدوله، وأثبت أسس الحقوق، وسلوک الحاکم، وعلاقته بالأمه، ومسؤولیاته، نقتطف منه:

وأشعر قلبک الرحمه للرعیه، والمحبّه لهم، واللّطف بهم، ولا تکونن علیهم سبعاً ضاریاً، فإنهم صنفان: إما أخ لک فی الدین، أو نظیر لک فی الخلق (۶).

۱- (۱) . رواه الحاکم فی صحیحه.

۲- (۲) . الثقافّه السیاسیّه الإسلامیّه: ۱۶.

۳- (۳) . المصدر: ۱۶.

۴- (۴) . مقتل الحسین(علیه السلام): ۱ / ۸۸.

۵- (۵) . الکامل فی التاریخ: ۴ / ۴۸.

۶- (۶) . نهج البلاغه، عهد الأمام علی إلی مالک الأشتر.

ثمّ قال:

فانك فوقهم، ووالى لأمر عليك، فوقك، والله من فوق من ولاك وقد استكفاك أمرهم، ابتلاك بهم (١).

تاسعاً:

ثمّ الله، الله، فى الطبقه السفلى من الذين لا حيله لهم، من المساكين والمحتاجين، وأهل البؤس والزمانه، فإنَّ فى هذه الطبقه قانعاً ومعتراً، وأحفظ الله ما استحفظك فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلّاه صوافى الإسلام فى كلّ بلد، فإن للأقصى منهم، مثل الذى للأدنى ..فإن هؤلاء بين الرعيه أحوج إلى الإنصاف من غيرهم (٢).

إنَّ استقراء النصوص الإسلاميه التى أوردناها آنفا تبيّن لنا معنى السياسه فى الإسلام؛ ذلك لأنّها تشمل إداره جهاز الدوله، وقيام الحاكم بواجبه المحدد له اتّجاه المحكوم، وفسح المجال أمام المحكوم؛ لأنّ يمارس حقه، وموقف المحكوم من الحاكم الملتزم والمتجاوز، وعلاقه الدوله بغيرها من الدول.

فالسياسه فى الإسلام تعنى:

إداره شؤون الحكم، وتربيه الإنسان على القيم والمبادئ الإسلاميّه، وتعنى المعارضه ومقاومه الحاكم الظالم، وتقديم الخدمات، وإعمار البلاد وتطويرها. كما تعنى: توجيه شؤون الاقتصاد وترشيده، وحفظ أموال الأمّه وإنمائها.

كما تعنى: الانتصار للمظلوم، والوقوف بوجه الظالم وكلّ علاقه يدخل فيها الحاكم والمحكوم مما يرتبط برعايه شؤون الأمه وتدبيرها.

وتعنى: القيام بمهمّه القضاء، والدفاع، وتمثيل الحاكم للأمّه، والنيابه عنها، وحفظ حقوقها الأدبيّه والإنسانيّه ... . الخ.

١- (١) . المصدر.

٢- (٢) . المصدر.

وهكذا نعلم: أنَّ كلمه السياسه فى الفهم الإسلامى تشكل وعاء لقضايا، يحوى كلّ هذه المعانى، وأمثالها ... .

وبهذا يتّضح أنّ الفهم الإسلامى للسياسه يختلف عن الفهم الميكافيلى والماركسى، والرأسمالى وعن الفهم العولمى المعاصر، الذى أصبحت السياسه فيه نوعاً من سيطره البلدان القويّه والغنيّه على مقدرات وخيرات البلدان الضعيفه؛ لأنّ السياسه فى الفكر الإسلامى عباره عن: رعايه شؤون الأمّه؛ ولذلك يمكننا أن نعرّف السياسه من وجهه نظر الإسلام أيضاً بأنّها: كلّ عمل اجتماعى يستهدف توجيه الحياه الإنسانيّه، توجيهاً تكاملياً، ضمن علاقات الحاكم والمحكوم التى حدَّدها المنهج الإسلامى لذلك نستعمل مصطلحات: السياسه الماليّه، السياسه الخارجيّه، السياسه التربويّه، السياسه الإعلاميه... .

ثالثاً: السياسه فى العولمه الغربيّه والعولمه الإسلاميّه:

توجد نقاط اشتراك بين السياسه فى النظام العولمى، والسياسه فى العالميّه الإسلاميّه أو العولمه الإسلاميّه لكن نقاط الافتراق كانت أكثر؛ وذلك بسبب ضيق الأهداف العولميّه وسعه الأهداف العالميّه أو العولميّه فى الإسلام، وسوف نتطرّق فى هذا البحث إلى بعض الفوارق والتى منها:

١. سعه الأهداف السياسيّه فى الإسلام، بحيث شملت الأهداف السياسيّه الإسلاميّه جميع مصالح الفرد والمجتمع الإنسانى بالكامل، كما دخلت فى جميع نواحى الحياه؛ وذلك لصالح الفرد والمجتمع، فهى لم تعمل على هيمنه دوله على دوله أخرى، أو أمّه من الأمم على أمّه أخرى، أو إتباع دين ما على دين آخر.

وهذا لم يكن موجوداً فى العولمه الغربيّه المعاصره، بل ما كان هو العكس من ذلك، حيث نرى الضيق الكبير فى الأهداف العولميّه، لأنّها تصبُّ فى مصلحه أمه واحده لا غير، أو أشخاص معينين فقط، بحيث دخلت الفائده

العامّه فی بعض النواحی العامّه والبقیّه کانت فی اتّجاهات ونواحی خاصّه.

۲. إقرار الإسلام لمبدأ الشوری، لکی لا یکون هناک نوع من الاستبداد فی الحکم، ولا البقاء فیه طویلاً من دون إراده الشعب، ولاـ توارث الحکم خلفاً عن سلف، نعم، أقرَّ الغرب الیوم نظام الانتخابات، لکن الآلیّه التی یجری اختیار المرشحین من خلالها للانتخابات آلیّه غیر صحیحه؛ وذلک أنَّ من یدخل الانتخابات لابدَّ أنْ یکون من الطبقه البرجوازیّه أو من الطبقات الأولی فی المجتمع، فهی لاـ یرعی فیها الأشخاص الأکفاء لهکذا منصب قیادی، أمّا الحکم فی الإسلام بالنسبه لغیر المعصومین(علیهم السلام) ، فهو التناوب بالکفاءات، وبالتصویت الحرّ الذی تتنافس فیه الأحزاب الحرّه، وبالتعددیّه الحقیقیّه لا الحزب الواحد، وبأکثریّه الآراء وبالشوری.

وهذا ما نصَّ علیه القرآن الکریم بقوله تعالی: وَ أَمْرُهُمْ شُوری بَیْنَهُمْ، کما یجب توفیر بقیّه الشروط الشرعیّه أیضاً.

عن الأمام الصادق قال:

«لایطمعن القلیل التجربه المعجب برأیه فی رئاسه> (۱).

وعنه(علیه السلام) قال:

ثلاث هن قاصمات الظهر، رجل استکثر عمله، ونسی ذنوبه، وعمل برأیه. (۲)

وکذلک ورد فیما أوصی به الأمام الصادق(علیه السلام) سفیان الثوری:

«وشاور فی أمرک الذین یخشون الله عزّ و جلّ> (۳).

۳. إنَّ العولمه الإسلامیّه تؤمن بالتعدّدیّه السیاسیّه، حیث ینبغی للمسلمین وربما وجب علیهم فی حیاتهم وخاصه السیاسیه اتّخاذ أسلوب التعدّدیّه والحزبیّه المتنافسه علی البناء والتقدّم.

ص:۱۸۳

۱- (۱) . بحار الأنوار: ۷۲ / ۹۸، ب ۴۸، ح ۲.

۲- (۲) . معانی الأخبار: ۳۴۳، باب معنی قاصمات الظهر، ح: ۱.

۳- (۳) . الخصال: ۱ / ۱۶۹، باب الثلاثه ح: ۲۲۲.

نعم، يجب ألّا تخرج جميع هذه الأحزاب أو الاتّجاهات السياسيّه على الرغم من تعدّدها عن الإطار الإسلامى العامّ، والانتماء إلى حزب واحد وهو ما يطلق عليه القرآن ب- (حزب الله) ففى الواقع هو حزب واحد والتعدّد فى النظرات المتراحمه فى سبيل تقديم الأفضل للمجتمع والأمّه، لا في الاتّجاهات. وهذا على العكس ممّا نجده فى العولمه الحاليّه؛ لأنَّ الثقافه الحزبيّه فى الوقت الحاضر هو التنافس على المصالح الحزبيّه خاصّه فى الدرجه الأولى. وفى الحديث:

رسول الله(صلى الله عليه و آله) مرَّ بقوم من الأنصار يترامون، فقال رسول الله(صلى الله عليه و آله): «أنا فى الحزب الذى فيه ابن الأدرع»، فامسك الحزب الآخر، وقالوا: لن يغلب حزب فيه رسول الله(صلى الله عليه و آله). وقال: «ارموا فإنّى أرمى معكم». فرمى مع كلّ واحد رشقاً، فلم يسبق بعضهم بعضاً. (۱)

وهذا خلاف ما جاء فى العولمه الغربيّه التى تؤمن بالتعدّديه الغربيّه، لكن مع التنافس على المراكز السلطويه والمصالح الحزبيّه مع الغياب الكامل لمصالح المجتمع والفرد.

۴. حريّه الرأى، فإن لكلّ إنسان الحريّه فى طرح ما يريده من أفكار، إن لم يكن مخالفاً للتعاليم الإلهيّه، أو يكون فيه نوع من الأضرار بالمجتمع، فإنّ كان مخالفاً فلا يكبح بالعنف والإرهاب، وكلّ ما تحويه هذه الكلمه من معنى؛ لأنّ الإسلام يحرّم الغدر والاغتيال، وسواء أكان ذلك بالتصفيّه الجسديّه أو باغتيال العقول عن طريق أفكار تؤدّى إلى الدمار بجميع أنواعه الماديّه والمعنويّه.

وهذا مما لا نراه بالنظريّه العولميّه المعاصره، فإنَّ اللغه الطاغيّه على جميع اللغات اليوم هى لغه السلاح، فلم يترك للحوار اليوم أىّ موقع.

فقد ورد عن أبى عبد الله(عليه السلام) أنّه قال:

ينبغى للمؤمن أن يكون فيه ثمان خصال، وقوراً عند الهزاهز، صبوراً عند البلاء، شكوراً عند الرخاء، قانعاً بما رزقه الله، لا يظلم

۱- (۱) . غوالى الآلى: ۳/ ۲۶۶، ق۲، باب السبق والرمايه، ح: ۵ ؛ نقلاً عن: فقه العولمه.

الأعداء، ولا يتحامل للأصدقاء، بدنه منه فی تعب والناس منه فی راحه، إنَّ العلم خلیل المؤمن، والحلم وزیره، والعقل أمیر لجنوده، والرفق أخوه، والبر والده. (۱)

وقال أمیر المؤمنین(علیه السلام):

والله، ما معاویه بأدهی منّی، ولکنّه یغدر ویفجر، ولولا کراهیّه الغدر، لکنت من أدهی الناس، ولکن کلّ غدره فجرهً، وکلّ فجره کفرهً، ولکل غادر لواء یعرف به یوم القیامه (۲).

۵. إن أهمَّ هذه الخصوصیّات، هو أنَّ العولمه الإسلامیّه جاءت نتاجاً لرساله سماویّه، وبأوامر إلهیّه مطابقه للفطره الإنسانیّه، وغیر مخالفه لها. فکانت مطابقه لما یأمره العقل البشری؛ لذلک کان الخطاب القرآنی عاماً غیر مقیّد بفئه من المسلمین أو المؤمنین به فقط؛ أما العولمه المعاصره، فهی نتاج لأفکار بشرّیه قابله للخطأ.

کما أنّها لا مکانه لها فی الفطره الإنسانیّه.

وهناک الکثیر من الفوارق والممیّزات، لا داعی للتفصیل فیها، بل سنذکرها إجمالاً للفائده، وهی:

۱. حرمه الأشخاص والأموال: حرّم الإسلام قتل الأشخاص، وظلمهم وسلب أموالهم، إلاّ بموازین شرعیّه.

عن أبی عبد الله(علیه السلام) قال:

إنّ الله عزّوجلّ أوحی إلی نبیّ من أنبیائه فی مملکه جبّار من الجبارین، أن أتِ هذا الجبّار فقل له: إنَّنی لم استعملک علی سفک الدماء واتّخاذ الأموال، وإنّما استعملتک لتکفَّ عنی صوت المظلومین، فإنّی لم ادع ظِلامتهم وإن کانوا کفّاراً (۳).

۱- (۱) . أصول الکافی: ۲ / ۴۷، باب خصال المؤمن، ح: ۱.

۲- (۲) . نهج البلاغه، الخطبه۲۰۰: من کلام له فی معاویه.

۳- (۳) . أصول الکافی: ۲، باب الملظوم: ۳۳۳، ح: ۱۴.

۲. یحرِّم القـانون الإسـلامی السیاسـی التجسّـِس؛ لأنَّ التجســس خلاف حریّه الإنسان التی أقرَّها الإسـلام، قال أمیر المؤمنین(علیه السلام):

ولیکن أبعد رعیتک منک واشنأهم عندک أطلبهم لمعایب الناس، فان فی الناس عیوباً الوالی أحق بسترها، فلا تکشفنَّ عما غاب عنـک منهـا، فإنمـا علیـک تطهیر مـا ظهر لـک، والله یحکم علی مـا غـاب عنک، فاستره ما اسـتطعت یستر الله منک ما تحب من رعیتک (۱).

وهذا ما لا یوجد فی العولمه المعاصره.

۳. رعـایه حقوق الإنسـان السیاسـیّه، فـإنَّ الإسـلام احترم حقوق الإنسـان فی جمیع المجالات، وضـمن له الحریّه السیاسـیّه للأفراد والأحزاب.

قال الصادق(علیه السلام):

السرور فی ثلاث خلال؛ فی الوفاء، ورعایه الحقوق، والنهوض فی النوائب (۲).

وهذا فیض من غیض من الحقوق السیاسیّه التی أقرَّها الإسلام، والتی افترق فیها مع النظام العولمی المعاصر.

لقد اختلفت السـیاسه العولمیّه فی الإسـلام عن السیاسه العولمیّه المعاصره فی جمیع المجالات، وکذلک عن الاتّجاهات السیاسیّه التی عملت العولمه الغربیّه علی الدخول من خلالها علی الدول الأخری بصوره تعسـفیه، وغیر مرضیه للجمیع، وهی: مسأله حقوق الإنسـان؛ لأنَّ اتباع العولمه الغربیّه یعتقـدون بأنَّ النظام الغربی القائم علی مسأله حقوق الإنسان هو النظام الأمثل والنظام المتکامل الذی یوصل البشریه إلی بَرِّ الأمان.

وبما أنّنا تعرّضـنا إلی مسأله حقوق الإنسان فی العولمه الغربیّه فی الفصل السابق، کان لابدَّ لنا من المرور - ولو بشـکل إجمالی - علی هذا الموضوع وبیانه فی النظریّه الإسلامیّه.

۱- (۱) . نهج البلاغه الرسائل: ۵۳ من کتاب له لمالک الأشتر.

۲- (۲) . تُحَفُ العقول: ۳۲۳.

رابعاً : حقوق الإنسان فی الإسلام:

اشاره

خلق الله تعالی الإنسان وجعله من أکرم المخلوقات علیه، وخلق کلَّ شیء فی سبیله، وجعله الخلیفه عن الله عزّوجلّ، فی عمارتها. وهو أجلُّ المخلوقات وأعظمها خطراً، وأبعدها أثراً، قال تعالی: وَ إِذْ قالَ رَبُّکَ لِلْمَلائِکَهِ إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَهً ١.

ولا- یتمّ الاستخلاف عن الله إلا- إذا کان هذا الإنسان یتمّع بحقوقه الإنسانیّه الکامله التی تجعل منه إنساناً ذا کرامه کما أراد الله تعالی له، فله حقوق تتسم بها إنسانیّته، وتتکامل بها بشریّته أیضاً.

لقد تحدَّث القرآن الکریم عن هذه الحقوق الأساسیّه للإنسان، وکذلک السنّه المطهره، والنصوص الدینیّه والاجتهادات الفقهیّه، وذلک منذ ولاده الدین الإسلامی الحنیف، إضافه إلی الأدیان الحقّه التی سبقت الإسلام، وذلک عبر تاریخ الأدیان علی الأرض.

التعریف بحقوق الإنسان:

عرّف بعض علماء السیاسه، حقوق الإنسان بأنّها:

جمله الضمانات التی یُعترف بها کحدٍّ أدنی للکائن الإنسانی فی جمیع الظروف (١).

وربّما نستطیع القول أن حقوق الإنسان هی: مجموعه الامتیازات التی یجب أن یتمّع بها الإنسان علی مستوی الفرد والجماعه، وبمقتضی خصائصه الإنسانیّه ألبحته فقط. (٢)

وإنّا نری هذا التعریف هو الأفضل تعبیراً عن حقوق الإنسان التی نادت بها الأدیان السماویّه جمیعاً، والتی کرمه الله تعالی بموجبها دون سواه.

١- (٢) . الإسلام والقانون الدولی: ١٦٧.

٢- (٣) . حقوق الإنسان والعلم المعاصر: ٢١٥.

ومن هنا نستطيع أن نقسّم حقوق الإنسان فى الإسلام إلى قسمين: الحقوق الأساسيّه والحقوق المدنيّه.

١. الحقوق الأساسيّه:

وهى الحقوق التى تكون عامه لجميع الناس، وينظر فيها إلى شخصيّه الإنسان دون أىّ اعتبار آخر، بحيث لا يستمتع بالحياه إنسان إلاّـ أن تكون متوفره معه أو عنـده، فهى من متمّمـات منحه الحيـاه التى وهبها الله للإنسان على الأرض، وهى تشـتمل على حقوق الإنسان التى أقرَّها بيان حقوق الإنسان، والتى أهمّها:

أ). حقّ الحياه والكرامه.

ب). حقّ الحرّيه

ج). حقّ العدل

د). حقّ حريّه التدين

٢. الحقوق السياسيه والمدنيه:

وهى التى يتمتع بها جميع المسلمين ضمن شروط خاصّه، وهى التى تقوم على رابطه الولاء للعقيده الإسلاميّه. (١)

وتنقسم هذه الحقوق إلى قسمين، هى:

القسم الأوّل: الحقوق السياسيّه:

أ). حريه الرأى والتعبير عنه بالوسائل المشروعه، وحقّ الإنسان بالدعوه بالحكمه إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن النكر.

ب). حقّ المشـاركه فى اختيـار الحكـام وإداره الشؤون العـامّه للإنسان فى بلاده، وتقلّد الوظائف العامّه وفق الضوابط المشـروعه .(٢)

١- (١) . حقوق الإنسان فى الشريعه الإسلاميّه: ٥١.

٢- (٢) . المصدر: ٢٢.

القسم الثانی: الحقوق المدنیّه:

وتتعلّق الحقوق المدنیه بکلّ إنسان یعیش علی وجه البسیطه بعده أمور، منها:

۱. حقوق الأسره.

۲. حقوق التعلیم والتربیّه.

۳. حقوق الانتماء والجنسیّه.

۴. حقوق العمل والضمان الاجتماعی.

۵. حقوق الکسب والانتفاع والملکیّه.

۶. حقوق التقاضی.

۷. حقوق التنقل واللجوء.

۸. حقوق وواجبات أثناء الحروب.

۹. حقوق المیت.

ولو راجعنا المصادر الأساسیّه للإسلام، لوجدناها قد ذکرت هذه الحقوق، ومن أبرزها: الآیات القرآنیّه والسنّه المطهرّه.

لقد شرَّع الإسلام حقوق الإنسان قبل أربعه عشر قرناً، ووضع لهامعیاراً یختلف عن تلک المعاییر التی وضعتها المذاهب و الدساتیر البشریّه.

وها نحن نتحدّث عن حقوق الإنسان فی بعض المصادر الإسلامیّه، وأوّل هذه: المصادر القرآن الکریم، والسنّه الشریفه.

أ). المصادر القرآنیّه:

۱. فی الحیاه:

قال تعالی: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا کُتِبَ عَلَیْکُمُ الْقِصاصُ فِی الْقَتْلی ۱.

قال تعالی: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اسْتَجِیبُوا لِلّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذا دَعاکُمْ لِما یُحْیِیکُمْ ۲.

۲. فی الحرّیه:

قال تعالی: اَلَّذِینَ یَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِیَّ الْأُمِّیَّ الَّذِی یَجِدُونَهُ مَکْتُوباً عِنْدَهُمْ فِی التَّوْراهِ وَ الْإِنْجِیلِ یَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ یَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْکَرِ وَ یُحِلُّ لَهُمُ الطَّیِّباتِ وَ یُحَرِّمُ عَلَیْهِمُ الْخَبائِثَ وَ یَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِی کانَتْ عَلَیْهِمْ فَالَّذِینَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِی أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۱.

وربّما نستطیع أن نقول: إنَّ الحرّیه تعنی: القدره علی الاختیار، وتحدید الموقف (۱).

فقد جاء الإسلام لینقذ البشرّیه من براثن العبودیّه، ولیحرّر الإنسان من سیطره المستبدین ویحقق الحریّه للإنسان، ویحفظ له کرامته وحقّه فی الحیاه دون تمییز بین الرجل والمرأه، ولا بین الأسود والأبیض، ولا علی أساس القومیّه والجنس.

فان الآیه من سوره الأعراف، تبین لنا أنَّ من الأهداف الأساسیّه لبعثه النبیّ محمّد(صلی الله علیه و آله) هو رفع الأغلال والقیود عن البشریّه وإطلاق الحریّات، وذلک واضح فی قوله تعالی: وَ یَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِی کانَتْ عَلَیْهِمْ ۳. فإنَّ معنی: وَ یَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ هو: یرفع عنهم القیود والموانع التی تقیدّهم، وتشلُّ إرادتهم وحریتهم، التی یستطیعوا من خلالها الوصول إلی سعادتهم الدنیویّه والأخروّیه؛ لأنَّ الأغلال هی القید التی تشلّ حرکه الإنسان.

قال تعالی: وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلّا لِیَعْبُدُونِ ۴، وقال تعالی وَ ما أَدْراکَ مَا الْعَقَبَهُ* فَکُّ رَقَبَهٍ ۵.

۱- (۲) . الثقافه السیاسیّه الإسلامیّه: ۱۰۴.

۳. فی المساواه بین البشر والعدل:

فی تکریم الله تعالی للإنسان قال تعالی: وَ هُوَ الَّذِی أَنْشَأَکُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَهٍ ۱ ، یا أَیُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْناکُمْ مِنْ ذَکَرٍ وَ أُنْثی وَ جَعَلْناکُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَکْرَمَکُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاکُمْ ۲ ، وَ لَقَدْ کَرَّمْنا بَنِی آدَمَ وَ حَمَلْناهُمْ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ ۳، وکذلک فی بعثه النبی الأکرم(صلی الله علیه و آله) للبشریه. قال تعالی: وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلاّ رَحْمَهً لِلْعالَمِینَ ۴، وأیضا کانت نظره العدل والمساواه للإسلام نظره عادله لجمیع أبناء الجنس البشری فی الأرض والدین قال تعالی: إِنَّ الْأَرْضَ لِلّهِ یُورِثُها مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ الْعاقِبَهُ لِلْمُتَّقِینَ ۵ وقال تعالی: لا إِکْراهَ فِی الدِّینِ ۶.

ب). المصادر النبویّه:

لو راجعنا مسأله حقوق الإنسان فی السنّه الشریف بحثاً عن ما قیل حول حقوق الإنسان، لوجدنا الکثیر من الأحادیث الصادره عن النبیّ(صلی الله علیه و آله) وأهل بیته(علیهم السلام)، إضافه إلی الکتب الکثیره التی تطرّقت إلی حقوق الإنسان من قِبَل العلماء والمحققین التابعین إلی مذهبهم(علیهم السلام).

ویکفی ما کتبه الأمام زین العابدین(علیه السلام) فی رسالته، التی سمیّت ب- : رساله الحقوق.

ونذکر شاهداً واحداً من تلک النصوص الحدیثیه، وهو ما جاء فی سیره ابن هشام أنّ رسول الله(صلی الله علیه و آله) خطب فی حجّه الوداع فقال:

أیّها الناس إنَّ ربکم واحد، وأنّ أباکم واحد، کلکم لآدم وآدم من تراب، إنّ أکرمکم عند الله اتقاکم. (۱)

۱- (۷) . السیره النبویه: ۲.

نظريّه الدوله، والدوله العالميّه فى الإسلام

نظريّه الدوله فى الإسلام:

بعد أن تحدّثنا عن مفهوم السياسه فى الإسلام، وعرفنا أنّها قضيّه حيويّه فى حياه الإنسان وضروره حضاريّه ومدنيّه فى المجتمع الإنسانى لازمت حياته منذ فجر التاريخ، فمن الضرورى أن نعرف:

كيف نشأ المجتمع السياسى؟

وكيف وُجد؟

لأنّ الدوله تمثل ظاهره تاريخيّه، وفى ذات الوقت تمثل ظاهره سياسيّه، فهى من ناحيه تمتدّ فى عمرها الزمنى إلى أعماق التاريخ والى عهود قديمه جدّاً من عمر الأمم الإنسانيّه، وهى لذلك تعبر عن ظاهره تاريخيّه، ومن حيث أنّها ظاهره فى المجتمع السياسى، بل هى خاصّته المميزه له عن المجتمعات البدائيّه البسيطه، تعتبر من هذه الناحيه ظاهره سياسيّه.

ولكى يكون ذلك واضحاً لدينا لابدَّ أن نبدأ بتعريف الدوله، وننظر إلى كيفيّه نشوء المجتمعات الإنسانيّه؟ وذلك لأنّ الساسه والمفكّرين وعلماء التاريخ، والاجتماع، وعلم النفس الاجتماعى من الإسلاميّين وغير الإسلاميين، لهم نظرات متعدّده فى فهم وتحليل المجتمع البشرى وكيفيه نشوء الدوله.

وقد بحث المفكّرون الإسلاميّون، وعلماء الإسلام ذلك مفصلًا، فبلوروا النظريّات الإسلاميّه المفسرّه للطبيعه البشريّه، ونشأه المجتمع السياسى والدوله.

وما يهمّنا فى هذا البحث هو التطرّق إلى بحث الدوله فى النظريّه الإسلاميّه، وعرض النظريّه الإسلاميّه للدوله، مع المرور السريع على بعض الآراء والنظريّات غير الإسلاميّه. لكن قبل ذلك لابد لنا أوّلاً أن نعرّف مصطلح الدوله.

تعريف مصطلح الدوله:

قبل أن نبدأ بمصطلح الدوله يجب القول بأنَّ كلمه الدوله جاءت فى

المصطلح السیاسی بأكثر من معنی:

۱. فهی تأتی بمعنی الحكومه، ویراد بها: الجهاز السیاسی الحاكم، فیُقال مثلًا: صلاحیات الدوله ومسؤولیاتها، وطریقه اختیارها، ومشروعیّتها، ونوعها، وفی كلّ هذه الاستعمالات یكون المقصود بالدوله نفس الجهاز الحاكم.

۲. وأیضاً تأتی الدوله بمعنی: الأمه ذات الكیان السیاسی، فیقال مثلاُ الدوله الإسلامیّه، والدوله الأوربیه، ویقصد بها هنا: مجموع الكیان السیاسی الذی تكونه الأمّه، وجهاز الحكم.

ونحن فی هذا البحث ربّما نتطرّق لكلا المعنیین – أی: ربّما یكون الكلام حول الحكومه التی تتولّی السلطه فی بقعه ما– أو یكون الكلام حول الدوله ككیان قائم بمجموعه من الناس، وأمّه من الأمم.

فنحن فی ظاهره الدوله أمام بحثین:

الأوّل: یتعلّق بظاهره نشوء الدوله.

والثانی: البحث حول الحكومه الحاكمه لهذه الأمه، علی مستوی النظام الحاكم.

فعن البحث الأوّل: نظریّه نشوء الدوله، وجدت عدّه نظریّات نحاول المرور بها، ولو بنحو من الاختصار المفید.

النظریّه الإسلامیّه للدوله:

إنَّ الدستور الإسلامی والنصوص الروائیه الشریفه، كأنّ الكلام فیها یأخذ طابعاً إنسانیا بحتاً، ینبع من صمیم الإنسانیّه، والفطره البشریّه، لأنَّ الدوله ظاهره رئیسیّه فی حیاه الإنسان. وقد نشأت هذه الظاهره علی ید الأنبیاء والرسالات السماویّه، واتخّذت صیغتها السوّیه ومارست دورها السلیم فی قیاده المجتمع الإنسانی، وتوجیهه من خلال ما حقّقه الأنبیاء فی هذا المجال من تنظیم اجتماعی قائم علی أساس الحقّ والعدل، یستهدف الحفاظ علی وحده

البشريّه وتطوير نموّها فى مسارها الصحيح (١).

لقد تحدَّث القرآن المجيد فى الفطره البشريّه، والمجتمع الفطرى وعن كيفيّه نشأه المجتمع الإنسانى المدنى أو السياسى، وسبب نشوء هذا المجتمع المنظم بالشريعه والقانون الإلهى، فوضع الأسس البيانيه لذلك، كما فى قوله تعالى:

أوّلًا: كانَ النّاسُ أُمَّهً واحِدَهً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَ اللّهُ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ ٢.

إنّ من الظاهر فى هذا النص أنّ الناس كانوا أمّه واحده، يسودهم الحبّ والوئام من خلال الفطره الإنسانيّه، بحيث كان العامل المشترك فيما بينهم فى هذه الحياه البدائيه هى الفطره، فكانت هناك تصوّرات بسيطه غير معقده للحياه.

وفى هذه المرحله ظهرت فكره الدوله على يد الأنبياء، وقام الأنبياء بدورهم فى بناء الدوله السليمه، ووضع الله تعالى أسسها وقواعدها، كما لاحظنا فى الآيه الكريمه، لكن فى مرحله من الزمن دبَّ الاختلاف بين الناس، ولم يكن هذا الاختلاف اختلافاً فطريّاً، بل كان نتيجه للعوامل المصلحيّه التى نتجت عن التطوّر الحاصل فى جميع مجالات الحياه.

ثانياً: وَ ما كانَ النّاسُ إِلاّ أُمَّهً واحِدَهً فَاخْتَلَفُوا وَ لَوْ لا كَلِمَهٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّکَ لَقُضِیَ بَيْنَهُمْ فِيما فِيهِ يَخْتَلِفُونَ. ٣

ففى هذه الآيه أيضاً يبين الله تعالى كيفيّه نشوء المجتمعات الإنسانيّه الفطريّه، البدائيه فى المراحل الأولى من نشوئها، فقد مرّ علينا أن الفلاسفه غير

١- (١) . الإسلام يقود الحياه: ١٣.

الإسلاميّين، والكتاب منهم بمختلف مدارسهم، يرون أنّ الإنسان قد مر بمرحلتين فی حياته علی هذه الأرض، هما:

أ). مرحله الحياه الطبيعيه، أی: الفطريّه.

ومرحله الجماعه السياسيّه: وهی المرحله التی انتقل إليها الإنسان فيما بعد.

وهنا يختلف الرأی الإسلامی فی بعض جوانبه عن هذا التحليل للمجتمع الإنسانی، والحياه الفطريّه، فإنّ الدراسات الإسلاميّه – كما سوف يتّضح لنا – تری أنّ المجتمع لبشری واعتماداً علی دلاله الآيه (١) قد مر بثلاث مراحل، وهی:

١. مرحله الوحده والوئام: فقد كانت حياه الإنسان فی تلک المرحله حياه بدائيّه يسودها الحبّ، والسلام، حياه حرّيه ووئام، وذلک لأنّ الفطره هی الحاكمه فی ذاک الوقت. وهذا ما يفهم من منطوق من الآيه المباركه: كانَ النّاسُ أُمَّهً واحِدَهً.

٢. مرحله الاختلاف والصراع: وهی المرحله الثانيه التی عاشتها البشريّه بعد المرحله الأولی، وقد وضّح القرآن الكريم ذلک فی الآيه: لِيَحْكُمَ بَيْنَ النّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، أی: أنَّ فی هذه المرحله ساد الناس الصراع، والنزاع، والعدوان والاختلاف فيما بينهم، نتيجه التطوّرات الحياتيّه، فدبَّ النزاع نتيجه ذلک، فيتغلب فيها القوی علی الضعيف، ويتسلّط عليه، كحياه الغاب والوحوش؛ وذلک لأنَّ الطبيعه البشرّيه تحمل الاستعداد لفعل الخير والشر. وقال تعالی: وَ نَفْسٍ وَ ما سَوّاها* فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها ٢.

٣. مرحله وجود القانون والنظام الإلهی (مرحله بعث الأنبياء) قال تعالی: كانَ النّاسُ أُمَّهً واحِدَهً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، وهی مرحله القانون الإلهی ومرحله

١- (١) . البقره: ١٣٩.

إيجاد العدل الاجتماعی، فبعث الله الأنبياء لرفع الخلاف فيما بين الناس.

يتّضح لنا الفارق بين تحليل ودراسات الفريقين من الكتاب والمفكّرين غير الإسلاميّين، أمثال: روسو، ولوك، هوبز، وبوسيه، ورأيهم فی الحياه البدائيّه للإنسان القائل: بأنّها حياه خيره أو شريره؛ ثمّ الانتقال إلى المرحله السياسيّه المدنيّه. ويتّضح الفارق فی ذلك بين الرأی الإسلامی الذی يرى أنَّ المرحله الأولى مرحله خير وفطره، بينما كانت المرحله الثانيه مرحله المصالح والمطامع، المرحله الشريره. ولم يتحدّث أیٌّ من الفريقين عن هذه المرحله، وقد أوضح العلّامه الطباطبائی الرأی الإسلامی بقوله:

والآيه تبين السبب فی تشريع أصل الدين وتكليف النوع الإنسانی به، وسبب وقوع الاختلاف فيه ببيان أَنَّ الإنسان - وهو نوع مفطور على الاجتماع والتعاون - كان فی أوّل اجتماعه أمّه واحده، ثمّ ظهر فيه بأصل الفطره الاختلاف فی اقتناء المزايا الحيويّه، فاستدعى ذلك وضع قوانين ترفع الاختلافات الطارئه، والمشاجرات فی لوازم الحياه فلبست القوانين الموضوعه لباس الدين، وشفعت بالتبشير والإنذار بالثواب والعقاب، وأصلحت بالعبادات المندوبه ببعث النبيين وإرسال الرسل، بالتبشير والإنذار بالثواب والعقاب، ثمّ اختلَّ بذلك أمر الوحده الدينيّه، وظهرت الشعوب والأحزاب، وتبع ذلك الاختلاف فی غيره.

ولم يكن هذا الاختلاف الثانی إلاّ بغياً من الذين أوتوا الكتاب وظلماً وعتوّاً منهم، بعد ما تبين أصوله ومعارفه، وتمت عليهم الحجّه.

فالاختلاف اختلافان: اختلاف فی أمر الدين، مستند إلى بغی الباغين دون فطرتهم وغريزتهم.

والثانی اختلاف فی أمر الدنيا وهو فطری، وسبب لتشريع الدين ثمّ هدى الله سبحانه المؤمنين إلى الحقّ (۱).

إذاً: كانت الدوله هی واحده من القضايا الضروريّه والأساسيّه والحتميّه لتكون المجتمعات البشريّه، والتی تجعل المجتمع آمناً ومتماسكاً؛ لوجود

۱- (۱) . الميزان: ۲ / ۱۱۱.

روابط ومشتركات عديده، ومنها اللغه والموارد الاقتصاديّه، وكذلك العادات والتقاليد التى تربط المجتمعات فيما بينها.

لكن مع ظهور المستجدّات التى رافقت العولمه السياسيّه من الفكر الإسلامى المعاصر، على أن العولمه سوف تؤدّى إلى تفكيك الدوله والتفريق بين المجتمعات البشريّه، والى هشاشه الدوله، فلم تعد متماسكه أمام القوى العظمى التى تسيطر على مصادر الطاقه الرئيسيّه فى العالم، والتى تسيطر على التيارات العالميّه فى الاقتصاد والثقافه والسياسه.

تعريف الدوله:

إنّ تعاريف الدوله كثيره، ومتعدّده، نُورد قسماً منها:

تعنى كلمه الدوله فى اللغه: الاستيلاء والغلبه، الشيء المتداول.

وإذا كان هذا هو تعريف الدوله اللغوى، فإنَّ كُتّاب الفكر السياسى ورجال القانون الوضعى قد عرّفوا الدوله بتعاريف عديده، عدّها بعضهم بمائه وخمسه وأربعين تعريفاً، منها:

۱. جمع كبير من الأفراد يقطن بصوره دائمه إقليماً معيّناً، ويتمتّع بالشخصيّه المعنويّه، وبنظام حكومى وبالاستقلال السياسى (۱).

۲. بعض رجال الفقه: الدوله، تشخيص قانونى للأمه (۲).

۳. وعرّفها الدكتور محمّد حلمى بقوله: فالدوله، كما رأينا، مجموعه من أفراد مستقرّه على إقليم معيّن، وتسيطر عليهم هيئه حاكمه تتولى شؤونهم فى الداخل والخارج (۳).

وبذلك نستطيع القول تارةً بأنَّ الدوله، هى تشخيص قانونى للأمّه، وتارةً بأنّها

۱- (۱) . الثقافه السياسيّه فى الإسلام: ۵۰.

۲- (۲) . النظُمُ السياسيه: ۸۵.

۳- (۳) . الثقافه السياسيّه الإسلاميّه: ۵۰.

عباره عن الأمّه المستقرّه، فی إقلیم معیّن والخاضعه لهیئه حاکمه.

ومن خلال النصوص القرآنیّه التی تطرّقت إلی، الإمامه والسلطه والشریعه، والعهود والمواثیق، وولایه الأمر، والملکیه، وصلاحیات الحاکم، نستطیع أن نثبت للدوله شخصیّه اعتباریّه؛ وذلک من خلال تعریفنا لها بأنّها:

کیان سیاسی، ذات شخصیه اعتباریه، یتعامل معها القانون، کجهه صالحه، لتحمل الواجبات، واکتساب الحقوق. (۱)

الدوله الإسلامیّه

تعریف الدوله الإسلامیّه:

عُرِّفت الدوله الإسلامیّه بأنّها: الدوله التی تقوم علی أساس القانون الإسلامی، وتستمدّ تشریعاتها منه، وبهذا التعریف نستطیع أن نمیزّ بین الدوله الإسلامیّه وغیرها من الدول، سواء القائم منها فی البلدان الإسلامیّه، أم الأخری القائمه فی البلدان غیر الإسلامیّه.

قال القاعده الفکریّه التی تقوم علیها الدوله، هی التی تحدِّد هویتها واتّجاهها فی الحیاه، وتمنحها التسمیه والنوعیّه السیاسیّه.

فالدوله التی تقوم علی أساس النظام الإسلامی وتتخذه قاعده فکریّه ومصدر التشریع والتقنین ومنهجاً للحکم، هی الدوله الإسلامیّه. أمّا الدوله التی تتخذ النظام الاشتراکی قاعده فکریه ودستوراً للحکم، فهی دوله اشتراکیه وکذلک الرأسمالیّه، فالذی یحدِّد هُویّه الدوله هو النظام الذی تسیر وفقه، لا المکان، أو أیّ شیء آخر، فمثلًا: نجد الکثیر من دول العالم الإسلامی تحکمها الیوم أنظمه اشتراکیه، ومارکسیّه، تحت شعارات عدّه، منها: الدیمقراطیّه والحرّیه، وما شابه ذلک، وتنصّ دساتیر تلک الدول علی هُویتّها السیاسیّه.

وبذلک فهی لیست دول إسلامیّه، إنّما الدول الإسلامیّه هی الدول التی

ص:۱۹۸

۱- (۱) . المصدر: ۵۰.

تتّخذ الإسلام قاعدةً فكّريه و نظاماً اجتماعياً لها، وتستمد من التشريع الإسلامى قوانينها، وتحمل روح الإسلام وأهدافه.

وقال تعالى: وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ ١.

وقال تعالى: وَ أَنَّ هذا صِراطِی مُسْتَقِیماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِکُمْ عَنْ سَبِیلِهِ ٢.

وقال تعالى: أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ٣.

لكن ما يريده الغرب هو تجرّد المسلمين من أىّ قوّه يمكن الاستناد إليها حتّى وان كانت هذه القوّه هى الدستور الذى تسير عليه هذه الدوله، حيث يعدُّ الفكر الإسلامى الدوله القوّيه ألأركان والسليمه القيم، هى الدوله التى تستطيع الوقوف بوجه التحدّيات الخطيره التى تواجه العالم الإسلامى فى عقيدته وشريعته، وثورته وسياسته، واقتصاد، وثقافته، وأمنه (١).

وبعد هذا الطرح للعولمه نقول: إنَّ مكانه الدوله فى العالم الإسلامى هى مكانه عاليه لأنّها تمثّل الكيان الجامع للأمم، والمحافظ على النسق الطبيعى للحضارات؛ ولأنّ تكامل الحياه متوقف على قيامها وهى ضروره عمليه وشرط أساس لبلوره الحقيقه الإيمانيّه، وتجسيد القيم والمبادئ الإسلاميه وانعكاس مباشر للنموّ الوجدانى والتنظيمى للأمّه (٢).

ولأجل ذلك أبعد النظام الإسلامى أىّ فكره من الممكن أن تفرض عليه الحدَّ من دور الدوله، على وفق ما يريده الغرب تحت نطاق التطوّر الفكرى فى جميع المجالات.

وعلى أساس ذلك عدَّ الإسلام الدوله ودورها - المراد تهميشه - ضروره

١- (۴) . الحركه الإسلاميه هموم وقضايا: ٣۵١.

٢- (۵) . الدوله الإسلاميه بين الإطلاق المبدئى والتقيد النموذجى: ١٣٨.

حتميّه وشرعيّه، وقضيّه الأمّه التى أرادت أن تطبق الشريعه الإلهيّه الحقّه؛ لأنّها فى مفهومها الشامل تشرف على قضايا فى جميع المجالات الحياتيه، وبناءً على ذلك يتضح مدى أهميّه الدوله فى المنطق والأساس الفكرى الإسلامى، إلى حدٍّ عدَّها من ضروريّات تقويم المجتمع واستقراره، ودعوى تهميش الدوله و دورها ما هو إلاّ سوى دعوه صادره من أساسيّات الفكر الغربى الذى يعدُّها شّراً لابدَّ منه؛ لأنه عد الدوله عائقاً كبيراً أمامه لتحقيق أهدافه التوسعيه غير الشرعيّه وتحت إطار العولمه (۱).

عالميّه الإسلام الثقافيّه

تمثّل الثقافه التراث الفكرى الذى تتميّز به الأمم عن بعضها، وتختلف طبيعه هذه الثقافه وخصائصها بين مجتمع وآخر، نظراً للارتباط الوثيق الذى يربط بين واقع الأمّه وتراثها الفكرى والحضارى الذى تتمتّع به. وهذه الثقافه تنمو مع النموّ الحضارى للأمّه وتتراجع مع التخلّف الذى تُصاب به تلك الأمّه؛ ولذا فإنَّ ثقافه الأمّه تعبّر عن مكانتها الحضاريّه التى وصلت إليها.

وإذا كانت تعبّر عن الخصائص الحضاريّه والفكرّيه التى تمتاز بها أمّه ما، فإنّنا نلاحظ أنّ الثقافات المختلف تلتقى مع بعضها فى كثير من الوجوه، كما أنَّ هذه الثقافات المختلفه تتلاقح فيما بينها عن طريق الامتزاج واللقاء بين الشعوب فتتفاعل مع بعضها فيؤدّى هذا التفاعل إلى تأثيرات جزئيّه أو كلّيّه فى طبيعه هذه الثقافات وفى خصائصها.

فالثقافه على اختلاف الحقب التاريخيّه، تمثّل شخصيه الأمّه وملامحها الفكّريه ضمن الدائره الفكّريه والعقائديّه التى تنطلق منها ممثله خصائصها. (۲)

ص:۲۰۰

۱- (۱) . الفكر الإسلامى المعاصر والعولمه: ۱۴۱.

۲- (۲) . مشكلات فى طريق الحياه الإسلاميّه، كتاب الأمه، ع: ۱/ ۴۶.

بلغتها وأدبها وفنونها التى طبعت بها، كما أنّها أسلوب حياه الأمّه، الذى يحدّد تراثها الفكرى والحضارى (۱).

فالثقافه إذاً: مثّلت الأمّه وحدّدت شخصياتها وجعلتها تسير على وفق اتّجاهات مرسومه الأهداف: طبقاً لما يسود مجتمع تلك الأمّه من العقائد والمبادئ والقيم، الأخلاقيّه التى تظلّ مسايره للأمّه طوال سير حركتها الدائبه (۲).

ولكن السؤال هو: هل يمكن أن تشترك الأمم البشريّه جميعاً، بثقافه واحده غريبه البيئه، مختلفه المبدأ والمنطق الحياتى لها؟

بالطبع أن الجواب قاطع بالرفض...

لأنَّ الله سبحانه وتعالى خلق جميع الأمم مختلفه على وفق الطبيعه البشريّه: وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا ۳، فإنَّ الله تعالى قد أقرَّ هذا الاختلاف من دون إلغاء كلّ منهم للآخر.

الملامح العامّه للثقافه الإسلاميّه:

اشاره

تُطلق الثقافه الإسلاميّه على التراث الفكرى الذى خلّفته الحضاره الإسلاميّه من جميع جوانبه: الدينى والفلسفى، والتشريعى واللغوى، والأدبى والفنى، وهذا التراث انبثق من التصوّر الشامل الذى كوّنه الإسلام فى المجتمع الإسلامى، والذى يستمدّ حقيقته من القرآن الكريم الذى يمثّل المصدر الأساسى والرئيسى لجميع أوجه التراث الحضارى للأمّه الإسلاميّه.

وعندما جاء الإسلام أراد أن يعطى للمسلم تصوّراً شاملاً عن الحياه وطبيعتها، والوجود ومكانه الإنسان فيه، ونوعيّه النظام الذى يجب أن يحكم المجتمع البشرى. وكانت غايه الإسلام من إعطاء هذا التصور

۱- (۱) . نحو ثقافه إسلاميّه أصيله: ۲۷.

۲- (۲) . المصدر: ۲۶.

الشامل هى إيجاد أمّه ذات طابع خاصّ تتميّز به عن سائر الأمم، بحيث تحقق المنهاج الإلهى الذى أراده الله للإنسان لينقذ المجتمع البشرى من حافه التيه والضياع ولهذا شعرنا أنّ الجماعه الإسلاميّه الأولى قد تكّيفت تكيفاً صحيحاً وكاملاً مع التصوّر الشامل الذى قاده إليه الإسلام، وأصبحت تتحرّك فى حياتها طبقاً لذلك الهدف الواضح والشامل، فقدمت بذلك للمجتمعات البشريّه الأخرى نموذجاً فريداً، لم يعهده التاريخ الإنسانى، وكلّ ذلك لامتياز الثقافه الإسلاميّه بشخصيّه متميّزه من حيث مصادرها ومقوّماتها وخصائصها وأهدافها.

فالثقافه الإسلاميّه لها أسس ترتكز عليها، ومنطلقات تنطلق منها، وخطوط عريضه تتحرّك على هداها، وهذه الأسس والمنطلقات تتميّز عن غيرها من الثقافات التى عرفتها البشريّه فى تاريخها الطويل.

ونحن هنا فى هذا الموجز لا نستطيع تفصيل القول لهذه الأسس والمنطلقات، بل يكفينا منها ما يساعدنا على تصور الطابع العام لهذه الثقافه، واستشراف ثمارها فى التطبيق فى زمن برزت فيه الكثير من الثقافات لتكون متقدّمه على الثقافات الأخرى، قبل أن تكون نهباً لثقافات شتى تريد أن تكون الموجّه لمسيره الإنسانيّه لذلك.

ويُدرك كلُّ متتبع لجوانب هذه الثقافه هذا التميز الذى أعطى لثقافتنا عمقا حضاريّاً أصيلًا، وطابعاً إنسانيّاً معتدلاً، ونظرةً للوجود شاملةً وكاملةً، ومن هذه الأسّس والمنطلقات:

أوّلًا: التوحيد:

هذا هو الأساس الأوّل لكلّ نظره فى الإسلام، وكلّ علم فيه، فالعوده إلى الأصل وإلى الخالق البارئ المصوِّر فى كلَ ّحركه من حركات الإنسان

المسلم، تُعدُّ العلاقه المميّزه لمن ينتمى إلى هذا الدين، دين التوحيد الصافى، والعبوديّه الحقّه.

فالله سبحانه هو القادر على كلّ شىء، لا إله إلاّ هو، له الملك يُحى ويُميت، وهو مصدر كلّ حقّ وخير وجمال، وإرادته هى التى تحدِّد غايه وجود الكائنات، وهى القانون الذى يحكم الكون والمخلوقات، ويقنّن السلوك والأخلاق: يُسَبِّحُ لِلّهِ ما فِى السَّماواتِ وَ ما فِى الْأَرْضِ ١، لَهُ مَقالِيدُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ ٢، له صفات الجمال والكمال كلّها: وَ لِلّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فَادْعُوهُ بِها ٣ ، منزَّه عن كلّ نقص وسلب يدبرّ الكّون أرضه وسماءه وخلقه.

إذاً: التوحيد هو الأساس الأول الذى يبتنى عليه التصور الإسلامى والثقافه الإسلاميّه؛ لأن ما بعده معتمد عليه ومستمدّ منه كلّ درجات البناء فى طريق التكامل والعطاء والتفاعل.

ثانياً: الوحده:

إنَّ الأساس التوحيدى السابق تنبعث منه وحده فى النظر إلى النظام الكونى على أنّه يتكوّن من قوانين تسرى فى مجال الطبيعه، وفى مجال النفوس والاجتماع، فى مجال كذلك كلّ كائن يوجد، وكلّ حدث يقع فى الكون إنّما يتمُّ على ما أراده الله وقدرته وحكمته، وبما أودع فى كلّ كائن من طبع وقوع، وما خصّ به كلّ نفس إنسانيّه من إراده وطبع وقوّه، تمكّنها من الأداء والسعى والعطاء والتغير وفق ما اقتضت كلّيات حكمه الله تعالى وإرادته (١).

١- (۴) . قضايا إسلاميّه معاصره: ١٧٣.

كمـا تنبعـث منه وحـده فى النظر إلى الخليقه على أنَّ مصـدرها واحـد، وهـو خالقهـا الـذى جعـل لهـا غـايه من خلقهـا وقـدّر لها الأسباب، ودعاها للعمل وفق هذه الأسباب، فليس هناك عبث، وليس هناك صدفه عمياء، كما نلاحظ فى الأطروحات الماديّه.

كما ينعكس هـذا الأساس على النظر إلى وحـده الحياه، ووحـده المعرفه، ووحـده الإنسانيه، حيث يكون المصـدر الواحـد: وَ هُوَ الَّذِى أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَهٍ ١.

ويكون هـذا الائتلاف الـذى انطبعت به المعرفه بين الوحى والعقـل، وتكون العلاقه الإلهيّه بكل خلقه باعتبارهم خلقه، ولابـدَّ أن يرتبطوا به جميعاً، ولا فرق بينهم إلاّ بالتقوى والعمل الصالح: يا أَيُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ٢.

وينتقل هذا النظر من العلاقه بين الله وعباده إلى العباد أنفسـهم فى أنظمتهم الاجتماعيّه والسياسـيّه والاقتصاديّه على أنّهم سواء فى الحقوق والواجبـات إلاّ ما تقتضـيه العناوين الجانبيّه من خصوصـيّات فى الوظائف، على نحو لم يوجـد له مثيل فى جميع الأنظمه البشـريّه، كما نلاحظ روح العنصـريّه والاعتـداد بالجنس واللون والـدم، وروح الغرور والاسـتكبار الـذى يطغى على حياه الأغنياء اليوم.

وهـذه الوحـده تـذوب معهـا القيم القوميّه واللونيّه، والمراتب الاجتماعيّه والاقتصاديّه إلاّ فى حـدودها الشـرعيّه والإنسانيّه، وبهـذا يكون التوحيـد ثقـافه توحيـديّه تتمثـلّ فى الرؤيه للخـالق والكون والعلاقـات بين الناس فى تجانس رائع بين الخالق وخلقه، وبين الخلق أنفسهم.

ثالثاً: تكريم الإنسان:

تُعدُّ قضيه تكريم الإنسان قضيّه مركزيّه فى الثقافه الإسلاميّه، وهذا مستند إلى ما أعطاه الله للإنسان من مواهب وقدرات ومسؤوليّات، جعلته مكرَّماً عنده، بحيث فاقت منزلته منازل كلّ ما خلق من كائنات حتى ملائكته المقرّبين، فقد كرّمه بهذه الكرامه التى لم يمنحها لمخلوقٍ قبله: إِنّا عَرَضْنَا الْأَمانَهَ عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً، ١ فأصبح بهذا المبدأ خليفه الله تعالى فى هذا العالم الفسيح: إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَهً ٢.

ويترتّب على مبدأ الخلافه هذا مفاهيم أساسيّه من الأمانه والاستقامه والعدل فى المعاملات، وإقامه النظم الاجتماعيّه والاقتصاديّه وشؤون الحياه كافه.

وبهذه النتيجه تمَّ تحمُّل المسؤوليّه والاستخلاف، فليس بعد هذا التكريم تكريماً: وَ لَقَدْ كَرَّمْنا بَنِى آدَمَ وَ حَمَلْناهُمْ فِى الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَ فَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً ٣.

فكيف لمن أُعِطى هذه السياده ولم يكن سيداً للكون؟

كما تلحد به هذه النظريّات العولميّه المعاصره التى ألّهت هذا الإنسان، وألغت مبدأ الربّانيّه والتوحيد والسياده الإلهيّه، فجعلت الإنسان يعانى من الوحده والانشطار والضعف فى جميع مبادئه التى تربطه بالله تعالى.

رابعاً: الأخلاقيّه:

وهذا مبدأ من المبادئ الهامّه فى الثقافه الإسلاميّه، والذى ينبثق من مبدأ التكريم الإلهى للإنسان وجعله محور هذا الكون ومركزه، فهو خاضع للتوجيه

الإلهى وما الرسالات التى بعث الله بها أنبياءه ورسله، إلّا دساتير أخلاق ونظم فى الاجتماع للأفراد والأمم.

فحين قال تعالى: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ١.

لم يفهم الناس من هـذا التوجيه أنّه حـديث عن أمّه من الأمم باعتبار جنسـها أو لونها، بل باعتبار أنّ أصـحابها خير أصـحاب دين وأخلاق، وأصـحاب مشـروع يقود الإنسانيّه إلى السموّ الأخلاقى، ولا يهبط بها نحو مدارج الحيوانيّه وشهواتها، كما تفعله العولمه المعاصره، من إيصال العالم إلى الإباحيّه فى أعلى مستوياتها، وبجميع أنواع الخلاعه والمجون.

خامساً: التعايش والتسامح:

إنَّ ملامح الثقافه الإسـلاميّه هى حلقه تفضـى إلى حلقه أخلاقيّه يترشح منها انجازات البشـريّه على مدى الزمان والمكان؛ وذلك يعنى النضوج والأخلاقيّه التى تفضـى إلى التسامح وروح التفاعل مع الثقافات الأخرى للأمم والشـعوب، إنَّ الثقافه الإسلاميّه تنظر إلى التنوع على أنّه سُنَّه إلهيّه فى الخلق، وأنّه لا يمكن للإنسانيّه مع تنوّع مراحلها وبيئتها ومصادر ثقافتها أن تفكّر بطريقه واحـده فى جميع أمورها الحياتيّه والأخرويّه.

وهذا واقع البشـريّه .. أديان... مذاهب.... ثقافات... فلسـفات شتى... وهذا لا يلغى المبادئ التى أشـرنا إليها فى التوحيد ولا يتضادّ مع الوحده، وهذا التلون والتنوع لا يتنافى مع النظره إلى التوحيد الخالص، فاختلاف الألوان والألسـنه والأجناس والثقافات لا يمنع البشريّه من أن تتعايش وأن تتحابب وتتعارف، فليس التنوع من أجل الحروب والاقتتال، بل من أجل التعارف:

يا أَيُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أَنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ١.

وهذا تاريخ الإسلام، يقبل غير المسلمين كأعضاء فى المجتمع الإسلامى، ولم يضع أيّه قيود على العقائد ما دامت نابعه من الأديان السماويه التى يعتزُّ بها والتى جاء ليكملها (١).

ومن المعلوم أنَّ الإسلام بعد أنّ التقى بمبادئه فى جميع القارات وتفاعل مع الثقافات الأخرى للشعوب القديمه والحديثه، وعدّل فيها وطوّرها، كما أنّه أخذ منها فى مجالات شتى، ما عدا ما يمسُّ العقيده والرؤى التوحيديّه والثوابت الأساسيّه فى منهجه.

هكذا تفاعل المسلمون مع: الثقافه الهنديّه والفارسيّه، واليونانيّه فى مراحل التفاعل، وكان المشترك الإنسانى قاسماً بين الثقافه الإسلاميّه وتلك الثقافات (٢).

سادساً: التعادل، التوازن، التكامل، الوسطيّه:

جميع هذه المفردات لها معانى متقاربه فى اللغه العربيّه، وللثقافه الإسلاميّه الحظُّ الأوفر منها والنصيب فيما نحن بصدده.

فالثنائيه المعروفه فى كلّ من: العقل والوجدان، العقل والنقل، العقل والوحى، الشهاده والغيب، الروح والمادّه، الفرديّه والجماعيّه، الدنيا والآخره، قد ينظر إليها فى بعض الاتّجاهات الفكّريه على أنّها أمور متضادّه لا تجتمع، وإنَّ لكلّ منها نهجه ومساره، وإنّها لا يمكن أن تلتقى على فهم نظرى واحد، أو منهج واحد لعلاج الواقع. (٣)

١- (٢) . مجله عالم الفكر: ١٠، ع:١٠ / ٢.

٢- (٣) . الغزو الفكرى وهم أم حقيقه: ١٩.

٣- (٤) . قضايا إسلاميّه معاصره: ١٨٠.

وللإسلام فی هذه الثنائیه خصوصیّته وتفرده، فهو لا ینظر إلیها علی نحو التضاد، بل یراها بعین التعادل والتوازن، والتکامل، بمعنی أنَّ طرفی المعادله لا ـ یلغی الآخر أو ینحیه، بل لا یقوم إلّا به، فالعقل لا یلغی الوجدان ولا النقل ولا الوحی... کما أنّ الغیب له وجوده وعالمه وهو یفیض علی الشهاده ویتجلّی فی آفاقها، والروح والماده یتبادلا ـن التعایش والتأثیر ... والفردیّه والجماعیّه یوجهان حرکه الحیاه نحو الأفضل، والدنیا والآـخره حلقتا وصل متکاملتان تقضی إحداهما علی الأخری، وتکمل أحداهما الأخری (۱).

کما أنَّ الإسلام استطاع أن یأخذ موقع الحیادیّه فی هذا المجال استطاع کذلک أن یأخذ موقع الحیادیّه والوسطیّه فی مواقع وجوانب عدیده لا حصر لها، فلو قارنا بین الإسلام والأدیان الأخری لوجدناه کذلک أیضاً. فعندما أخذت الدیانه المسیحیّه المعاصره منحی الانشراح والانفتاح الکامل والذی لاتحده حدود، لا شرعیّه ولا إنسانیّه ولا حتّی أخلاقیّه، بحیث أباحت أغلب المحرمات إن لم تکن کلّها، وکذلک الدیانه الیهودیّه التی جعلت من نفسها الدیّانه الوحیده ومن أتباعها شعب الله المختار، نجد الإسلام فی قبال ذلک اتّخذ جانب الوسطیّه والحیادیّه، بحیث أقرَّ جمیع هذه الأدیان، واعترف بها وبأنبیائها.

وفی الوقت الذی نجد فیه الثقافه الإسلامیه تقوم علی أساس وحده الکون وانسجام قوی الطبیعه من خلال الکثیر من ثنائیاتها وقوانینها، نجد أنَّ العولمه المعاصره تعمل علی تجزئه الکون والطبیعه، والفصل بین العلم والدین، ومعلوم ما لهذا من آثار علی الثقافه وانفصام العری بین الإنسان وحقائق الکون الکبری.

سابعاً: الواقعیّه:

لقد وجَّهت تعالیم الإسلام أنظار البشر إلی الواقع من مظاهر الکون وأحداث الحیاه، وجعلت ذلک الواقع هو المنطق الأساس للوصول إلی الحقائق؛ وذلک

۱- (۱) . المصدر: ۱۸۰.

من خلال المنهج العلمى الذى سبق فيه علماء الإسلام مناهج العلم والمعرفه لدى شعوب العالم.

وبناءً على هذا تميزت الثقافه الإسلاميّه عن تلك التى تعتمد على التصوّر المجرّد المنعزل عن الواقع... ولكن واقعيّه الثقافه الإسلاميّه لا تقف عند الواقع المادى فقط، بل تتعداه إلى الواقع ليشمل: الغيب والشّهاده، العقل والوجدان، الروح والماده، واقع الأرض والسماء... كلّ هذا يتعاضد فى مفهوم الواقعيّه الإسلاميّه، وهذا ما يميّز الثقافه الإسلاميّه عن الثقافه العولميّه التى لا تتجاوز الواقع المادى إلى ما سواه.

فهى واقعاً واقعيّه طينيّه لا ـ ترى أبعد ممّا ترى أو تحسّ، ولا تنظر إلى الإنسان إلّا فى حدود حيوانيّته، وغرائزه، وبهذا يكون أفق الثقافه الإسلاميّه أوسع بكثير من الأفق الذى تعيشه الثقافه العولميّه، وغيرها من الثقافات الأخرى وإن تزيّنت كلٌّ واحده منها بدعاوى الواقعيّه، ونفت عن غيرها النفاذ إلى أعماق الواقع.

ثامناً: الشموليّه:

إنّ الثقافه الإسلاميّه، وانطلاقاً من رؤيتها الربانيّه والتشريع السماوى الذى تنطلق منه رؤاها ومنهجها وحركتها فى الواقع، إنّها حركه شموليّه متكامله بمعنى: أنّها تنظر إلى جوانب الحياه جميعها، فلا تغلِّب جانباً على جانب، فهى تعالج قضايا الروح مثلما تعالج قضايا الجسد على السواء، وتعالج قضايا الدنيا كما تعالج قضايا الآخره، ثمّ إنَّ التشريع الذى تستمدُّ منه الثقافه الإسلاميّه شموليّتها تشريع ذو سعه، بحيث يشمل قضايا الإنسان جميعاً فى كلّ مكان وزمان، ويساير حوادث الحياه الماضيّه والحاضره والمستقبليّه، فعلى هذا لا تقف عند حدٍّ، بل هى مظهر ثابت من الحياه، وإنّما تتحرَّك وفق مقاصد الشريعه ومصالح الناس.

وهذه السمه تفضى إلى السّمه العالميّه التى اتّسمت بها الثقافه الإسلاميّه، حيث إنّها تنظر إلى الناس جميعاً بمنظار واحد، ولا يتميز أحدٌ عن الآخر فى أصل المنشأ والخلقه، بل الميزان الواقعى هو التقوى لا غير، فهى لا تفرق بين قوم وقوم، ولا بين أمّه وأمّه، ولهذا اتّسعت رقعتها وشملت شعوباً وأمماً، وهضمت حضارات، واستظلّ بظلّها شعوب جميع أرجاء العالم.

ثم إنَّ هذه الثقافه فيها من السهوله واليسر ما لم تعشه ثقافه من الثقافات الأخرى، فإنّها لم تجبر أىّ أمّه من الأمم على التخلى عن بعض طوابعها الثقافيه، والإنسانيّه، بل لم تجبر أتباع الأديان السماويّه كذلك على التخلّى عن أديانها، بل تفاعلت مع جميع الأديان السماويّه، السابقه عليها؛ فهذا كلّه لم نجده فى الثقافه المعاصره التى تحاول أن تلغى الثقافات الأخرى لتحلَّ هى محلها، وهذه ميزه رئيسه وجدت فى الثقافه الإسلاميّه دون غيرها من الثقافات.

تاسعاً: إلهيّه المصدر:

إنّ الثقافه الإسلاميّه الإلهيّه المصدر، تستمدُّ قوانينها من القران الكريم؛ ذلك الكتاب الإلهى والناموس الربانى الذى يعتبر دستوراً كاملاً وشاملاً لجميع القضايا الإنسانيّه، والتى طالب الله تعالى عباده بالسير على وفقه.

فهو الهادى إلى طريق الحقّ، وهو الفارق بين الحقّ والباطل كما عبر الله تعالى عنه بقوله تعالى: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنّاسِ وَ بَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَ الْفُرْقانِ. ١ ، (١)

وكذلك تستمدُّ قوانينها من السنَّه الشريفه، والتى هى عباره عن قول وفعل وتقرير المعصوم، وهم الرسول الأكرم(صلى الله عليه و آله) الذى وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى* إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْىٌ يُوحى وأهل بيته المعصومين(عليهم السلام).

ص:٢١٠

١- (٢) . للغات، دراسات فى الثقافه الإسلاميّه: ٤١.

عاشراً: تأثير الثقافه الإسلاميّه:

إنَّ الثقافه الإسلاميّه استطاعت أن تؤثرّ تأثيراً كبيراً فى جميع الشعوب التى خضعت للدوله الإسلاميه، بل أكثر من ذلک نجد الثقافه الإسلاميّه قد طغت على الثقافات الأصليّه لجميع الشعوب التى انتشرت فوق ربوعها رايه الإسلام.

وكان العمل بها متواصلاً إلى يومنا الحاضر وعلى وفق أحكامها من قبل جميع أكثر المناطق التى دخلها الإسلام.

الحادى عشر: قبولها للحوار:

إنّ من خصوصيّات الثقافه الإسلاميّه أيضاً، قبولها للحوار مع الآخرين, كما أشار إلى ذلک القرآن الكريم: اَلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولئِکَ الَّذِينَ هَداهُمُ اللّهُ وَ أُولئِکَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ، فإذا كانت الثقافه الإسلاميّه قد قبلت الحوار واعتبرته من العوامل المساعده على إنّمائها وانتشارها، فإن الثقافه الأوربيّه (العولميّه) قد تنكّرت لهذا الحوار والمعامله بالمثل، بل سعت إلى اعتبار الثقافه الإسلاميه ثقافه منغلقه على نفسها ترفض الحوار والتعامل مع أيّ ثقافه أخرى؛ ولذلک ترى تصريح رئيس الوزراء الإيطالى برلس كونى بقوله: إنّ الثقافه الغربيّه أفضل ومتقدّمه على الثقافه الإسلاميّه. وإنّ الثقافه الإسلاميّه منغلقه على نفسها.

وما قوله هذا إلّا لأنَّ الغربييّن توصلوا إلى نتيجه حتميّه، وهى: أنّ قيمهم وثقافتهم هى ماديّه تغيرّها المصلحه وينالها التبرير, ولذا نرى صراعهم مع الحضارات والثقافات الأخرى.

الثقافه بين العولمه الغربيّه والعولمه الإسلاميّه:

يُدرک المسلمون أنَّ الغرب لا يقبل المنافسه مع أىَ نموذج قادر على الانتشار العالمى والامتداد الحضارى، لاسيّما إذا كان يعرف مواطَنَ القوّه والقدره والحيويّه فى الأنموذج؛

لـذلک وضع الغرب الإسـلام دائماً علی أسـاس أنّه العقبه الکؤد التی تقف أمـام تحـدیث أنموذجها العالمی للثقافه، الأمر الـذی جعله یسـتعمل أسـالیبه کـافه وقواته؛ لإزاحه الإسـلام. فلـذلک نراه مرّه یغزو الإسـلام من خلال القنوات الاقتصادیّه، وأخری من خلال القنوات السیاسیّه، وأخری من خلال القنوات العلمیّه، والقنوات الثقافیّه وهی أشـدَّها علی الإسـلام والمسـلمین، إلا أنَّه لم یسـتطع هدم الهُویّه الإسلامیّه، وما أصابها من ضعف فی بعض الأوقات لأسباب تخرج عن أن تکون راجعه للإسلام ذاته، فالدین هو الذی أعطی للأمه شخصـیتها ووحدتها، ووضع لها حضارتها، ودفع بها نحو الانفتاح والتواصل علی العالم، وشجعها علی العلم وطلبه، فالآیات القرآنیه والأحادیث النبوّیه کثیراً ما حثَّت علی طلب العلم.

فقد أکّد الإسـلام علی طلب العلم، ولو کان فی أقصـی الأرض، بحیث جعله من الواجبات علی الجمیع، فقد قال رسول الله(صلی الله علیه و آله):

«اطلبوا العلم ولو بالصین، فإنّ طلبه فریضه علی کلّ مسلم> (۱).

وقال (صلی الله علیه و آله):

طلب العلم فریضه علی کلّ مسلم ألا إنَّ الله یحبُّ بغاه العلم>. (۲)

وکـذلک مسـأله حرّیه الثقـافه فی الإسـلام، بحیث نری الإسـلام یؤمن بحریّه الثقافه المشـروعه، فلکلّ شـخص الحقُّ فی أن یتّخذ الاتجاه الثقافی الـذی یرغب فیه فیصـدر صـحیفه ویؤسّـِس قناه فضائیّه أو ما إلی ذلک من الأعمال الثقافیّه الأخری، بشـرط أن لا یخالف الشرع أو یکون وبالاً علی الآخرین، لذلک کان الإمام الصادق(علیه السلام) یقول:

.

لذلک یفهم الغرب الخطر الوارد علیه وعلی وجود مشروعه الحضاری؛ لأن

ص:۲۱۲

۱- (۱) . بحار الأنوار:۱ / ۱۸۰، ب۱، ح: ۶۵.

۲- (۲) . مستدرک الوسائل: ۱۷ / ۲۴۹، ب ۴، ح: ۲۱۲۵۰.

الإسـلام دين زاحف وصل بنفسه إلى أبعد نقطه وبلا أيّه مساعده من أيّه قوّه استكباريّه جبّاره، ويعدّ الغرب ذلك هو وجه الخطر فيه، فبنى على أساس ذلك إستراتيجيّه للاحتراس منه، بل لمقاومته والقضاء عليه (۱).

فكـانت أوّل انطلاقه لتحقيق ذلك بالنسبه إليهم هو التوجه نحو العقليّه الإسـلاميّه وتحويلها عن خطّ مسيرتها على وفق المفاهيم الأساسيّه المؤمنه بهـا، وإثاره وخلق الشبهات حول عقيـدتها لإذابتها فى إطار مفاهيم جديـده للفكر الغربى، الـذى غـدا مسيطراً عالميّاً. (۲) ففى عام ۱۹۹۱، أكدّت رئيسه الوزراء البريطانيه مارغريت تاتشر:

إنّ الإسلام أصبح العدو الجديد بعد الاتّحاد السوفياتى بقولها لقد قضينا على الشيوعيّه، وبقى علينا أن نقضى على الإسلام (۳).

الفرق بين العولمه الغربيّه والعالميّه الإسلاميّه:

نستطيع القول: إنّ معنى العولمه يقترب كثيراً من معنى العالميّه لأنّ العولمه بحسب رأينا هو معنى من معنى العالميّه، الموجود فى القـاموس العربى، إلاـ أنّه ليس كـلُّ ما لا يوجـد فى قواميس اللغه هو غير صـحيح؛ لأنّ للمفردات اللغوّيه تطوّر، مع تطوّر المعانى التى تحتاج إلى إيضاح، فكلّما اخترع الإنسان شـيئاً جديـداً، احتاج إلى أن يوجـد له مفرده لغوّيه يعبِّر من خلالها عن هذا الشـىء الجديد، فالمفردات اللغوّيه لا تقف عند حدٍ ما.

ونتيجه هذا: احتجنا إلى مفرده لغوّيه كى نعبّر من خلالها عن هذه الظاهره الجديده.

۱- (۱) . معركه الإسلام والرأسماليّه: ۹۵.

۲- (۲) . أنور الجندى، عالميّه الإسلام: ۱۳۱.

۳- (۳) . الصدوق، من لا يحضره الفقيه: ۳ / ۱۴۱، باب الحريه، ح: ۳۵۱۵.

وبما أنّ أبرز نظره لهـذه الظاهره هی تعمیم نتاج هـذا التطوّر علی جمیع هـذا الکوکب، أو علی هذا العالم سـمیّت: العولمه قیاساً ب- : العـالمیّه، إلاّـ أنّه مع جمیع هـذا التقـارب اللغوی، والفعلی فی الکثیر من الأحیـان، تُوجـد فوارق عـده من نـاحیه الأهـداف والآلیات، فالعالمیّه التی جاء بها الإسـلام، وأکدّها القران الکریم فی الکثیر من آیاته المبارکه، مثل قوله تعالی: وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلاّ رَحْمَهً لِلْعالَمِینَ ۱، وقوله تعالی: تَبارَکَ الَّذِی نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلی عَبْدِهِ لِیَکُونَ لِلْعالَمِینَ نَذِیراً ۲ إِنْ هُوَ إِلاّ ذِکْرٌ لِلْعالَمِینَ .

وسوف نوضح هذه الفوارق بعده نقاط منها.

۱. إنّ العـالمیّه فی الإسـلام تقـوم علی أسـاس تکریـم بنی آدم جمیعـاً: وَ لَقَـدْ کَرَّمْنـا بَنِی آدَمَ وَ حَمَلْنـاهُمْ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ ۳، واستخلفهم الله فی الأرض، وسخّر للإنسان ما فی السماوات والأرض جمیعاً منه تعالی.

۲. العـالمیّه الإسـلامیّه قـائمه علی أسـاس المسـاواه بین النـاس فی أصـل الکرامه الإنسانیّه وفی أصل التکلیف والمسؤولیّه، وإنّهم جمیعاً شرکاء فی العبودیّه لله تعالی، وفی البنوّه لآدم(علیه السلام)، کما قال الرسول الکریم(صلی الله علیه و آله):

یا أیّها الناس، ألاّ إنّ ربکم واحد، وإنّ أباکم واحد، لا فضل لعربی علی أعجمی، ولا لأعجمی علی عربی، ولا لأحمر علی أسود، ولا لأسود علی أحمر، إلاّ بالتقوی (۱).

وهو بهـذا یؤکّـد ما أقره القرآن فی خطابه للناس کلّ الناس :یا أَیُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْناکُمْ مِنْ ذَکَرٍ وَ أُنْثی وَ جَعَلْناکُمْ شُـعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَکْرَمَکُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاکُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِیمٌ خَبِیرٌ ۵، ولکن القرآن فی هذه الآیه، مع إقراره بالمساواه

۱- (۴) . مسندأحمد: ۵ / ۴۱۱.

العامّه بين البشر فهو يعترف ولا يلغى خصوصيّات الشعوب فيقر بأنَّ الله تعالى جعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا .

۳. العالميّه الإسلاميّه ما هى إلّا نشر رساله إلهيّه تعمّ الخير على جميع من ينتمى إليها ويعتقد بها على جميع الأصعده الأخلاقيّه والدينيّه والسياسيّه والاقتصاديّه والثقافيّه... ولم تكن عباره عن نشر أفكار ونتاجات إنسانيّه ترقى إلى جميع المستويات الدقيقه.

۴. إنَّ العولمه مع أنّها نتاج فكرى، عقلى تكاملى، إلّا أنّها أصبحت آليّه من الآليّات الخبيثه لفرض الهيمنه الأمريكيّه، سواءً على المستوى السياسى أو الثقافى أو الاقتصادى...

فهى لا تريد معامله الأخ لأخيه، ولا معامله الندّ للندِّ، بل معامله الساده للعبيد، والعمالقه للأقزام، والمستكبرين للمستضعفين (۱) فالعولمه بالمصطلح الأمريكى تعنى: أمركه العالم.

۵. إنَّ العالميّه الإسلاميّه لم تكن مخالفه للدليل المنطقى والقانون العقلى والفطرى؛ لأنّها عباره عن نزعه إنسانيّه، وطريقه فطريّه بشريّه قد أسّس أساسها الرسول الأعظم(صلى الله عليه و آله) بأمر من الله تعالى مع تقويم منه للمنحدرات والأعوجاجات.

وقد صرّح الحكيم بذلك للرسول الكريم(صلى الله عليه و آله) ودعا إليه فى آيات متعدّد، كقوله تعالى: يا أَيُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۲ وقوله تعالى: وَ تَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوى وَ لا تَعاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ، ۳ وقوله تعالى: بَشِيراً وَ نَذِيراً ۴ ،

۱- (۱) . العولمه والمسلمون: ۱۲.

حیث أطلق التبشیر والإنذار؛ لأنّ کلّ تبشیر وراءه إنذار، وکلّ انحراف وراءه إنذار، وکلّ استقامه وراءها بشاره (۱).

ومن المعلوم أنّ کلّ ذلک تفقده العولمه المعاصره، والتی أرادتها الولایات المتّحده الأمریکیّه.

۶. لقد اعتنت العولمه المعاصره بالجانب البدنی والقالبی للإنسان، وترکت الجانب المهمّ، وهو الجانب الروحی مع أنّه هو الجانب الأهمّ بالنسبه له فهی مخالفه له، وللفطره الإنسانیّه، حیث تجعل الآثار للشهوات المنحطه، وتترک التکامل الروحی الذی هو علّه من العلل، أمّا الإسلام، فقد اهتمّ بالجانب المادّی کما اهتمّ بالجانب الروحی منه، واعتنت بهما معاً، مع ترجیح للجانب الروحی أکثر.

۱- (۱) . فقه العولمه دراسه إسلامیه معاصره: ۹۵.

المصادر

١. القرآن الكريم.

٢. نهج البلاغه.

٣. آل نجف، عبد الكريم، الدوله الإسلاميّه دوله عالميّه، نشر مكتبه مجلس الخبراء.

۴. إبراهيم، موسى، ثقافه المسلم بين الأصاله والتحديّات، مكتبه المدبولى، مصر.

۵. ابن الأثير، على بن محمّد، الكامل فى التاريخ، بيروت.

۶. ابن القيم الجوّيه، السياسه والرعيه، الرياض، السعوديّه.

٧. ابن بابويه، معانى الأخبار، تهران قم، مؤسسه دار العلوم، جامعه المدرّسين.

٨. ابن جزى الغرناطى، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، دار النشر العربى.

٩. ابن شعبه، حسن، تحف العقول، المصحّح: غفارى، جامعه المدرّسين، قم.

١٠. ابن كثير، الحافظ عمادا لدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى، تاريخ ابن كثير، دار ابن كثير لطباعه والنشر، حلبونى، دمشق.

١١. ابن منظور، لسان العرب، الدار المصرّيه لتأليف والترجمه.

١٢. أبو بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى النيسابورى الشافعى، أحكام القرآن.

١٣. إدريس، عبد الرحيم عبد العزيز، العولمه مالها وما عليها، المكتبه الوطنيّه، السعوديّه.

١۴. أسامه عبد الرحمن، التخلّف وأدواره فى الوطن العربى، والنظام العالمى الجديد، مركز الوحده، بيروت ١٩٩٧م.

١۵. الأشقر، عمر سليمان، نحو ثقافه إسلاميّه أصيلّه، دار النفائس لنشر، بيروت.

ص:٢١٧

۱۶. الأصفهانی، الراغب، مفردات القرآن، تحقیق عدنان داوودی، ناشر، طلیعه نور، قم .

۱۷. الأطرش، محمّد، العرب والعولمه مالعمل، مرکز دراسات الوحده.

۱۸. –، نحو تحدیات العولمه الاقتصادیّه، دار البیضاوی لنشر والتوزیع، بیروت.

۱۹. أمین، سمیر، بعض قضایا المستقبل، مرکز البحوث العربیّه، مکتبه المدبولی.

۲۰. –، ثقافه العولمه وعولمه الثقافه، دار الفکر المعاصر– دمشق ۱۹۹۹م.

۲۱. أمین، محمّد، العلم والثقافه علی مشارف القرن الحادی والعشرین، المطبعه العربیّه لطباعه والنشر.

۲۲. البحرانی، السید هاشم، البرهان فی تفسیر القرآن، مؤسسه دار المجتبی، لبنان.

۲۳. بدوی، ثروت بدوی النظم السیاسیّه، دمشق، سوریا.

۲۴. بسیونی، عبد الغنی، النظم السیاسیّه، دار المنهل اللبنانی.

۲۵. البعاج، هشام، سیناریو ابستمولوجی حول العولمه، أطروحات أساسیه، المستقبل العربی، ع۷۴۲، أیلول، ۱۹۹۹م.

۲۶. البغوی، الحسین ابن مسعود الفراء البغوی، تفسیرمعالم التنزیل، تفسیر البغوی، دار الفکر، بیروت.

۲۷. بلقیز، عبد الإله، العولمه والممانعه، دراسات فی المسأله الثقافیّه، سلسله المعرفه لجمیع، منشورات الرباط.

۲۸. بوکای، موریس، التوراه والإنجیل والقرآن والعلم، الأعلمی للمطبوعات، بیروت.

۲۹. تحدیات الوطن العربی فی القرن الجدید، جامعه بغداد.

۳۰. ثابت أحمد، التغیرات العولمیّه وانعکاسها علی الدول النامیه، القاهره، مصر.

۳۱. –، العولمه تفاعلات وتحولات الدولیّه، القاهره، مصر.

۳۲. الجابری، محمّد عابد، قضایا الفکر المعاصر والعولمه، صراع الحضارات، بیروت ۱۹۹۸م.

۳۳. –، قضایا الفکر المعاصر، مرکز الدراسات للوحده العربیّه، بیروت.

۳۴. جلال أحمد، الخیر الدولی، البنک الدولی یُعید سیاسته، القاهره، مصر.

۳۵. الجمیلی، أحمد، رؤیه مستقبلیّه فی الاقتصاد والسیاسه، دار النهضه العربیّه.

۳۶. الجندی، أنور، عالمیّه الإسلام، من الإنترنیت.

۳۷. حامد، أحمد، الإسلام ورسوله فی فکر هؤلاء الکتاب، المرکز العربی للأبحاث.

ص:۲۱۸

۳۸. حرب، علی، حدیث نهایات وفتوحات العولمه، المرکز الثقافی العربی، الدار البیضاء.

۳۹. الحلو، فتح الله، تحدّیات عولمه الاقتصاد والتکنولوجیا، منتدی الفکر العربی، عمان.

۴۰. حمود، حواس، العولمه الثقافیه، مجله ثقافیه تصدر عن الجامعه الأردنیّه، العدد، ۴۹ سنه ۲۰۰۰م.

۴۱. حمود، الشیخ محمد جمیل، الفوائد البهیّه فی شرح عقائد الأمامیّه، الأعلمی للمطبوعات، بیروت.

۴۲. حنفی، حسن، العولمه والهویه، دار الکتاب الإسلامی، مصر.

۴۳. الخطه الشامله لثقافه المنظمه العربیه لتربیه والثقافه.

۴۴. خلف، ندیم عیسی، الأصول الیهودیّه فی الکتاب الإسرائیلی، کلّیه علوم وسیاسه، جامعه بغداد، أطروحه دکتورا، غیر مطبوعه.

۴۵. الخوارزمی، مقتل الأمام الحسین(علیه السلام).

۴۶. الدره، عبد الباری، العولمه وإداره التحدّی الحضاری، جامعه فیلاد لیفیا، مرکز الدراسات والأبحاث، لندن.

۴۷. الدرمائینی، عبد السلام، حقوق الإنسان فی الشریعه الإسلامیّه.

۴۸. الذریعه علی من کذب بالمهدی.

۴۹. الراوی، حقوق الإنسان وحریات السیاسه فی القانون الدولی والشریعه الإسلامیّه، دار وائل لطباعه والنشر.

۵۰. رضا، محمد رشید، تفسیر القرآن الحکیم، تفسیر المنار، منشورات محمّد علی بیضون، دار الأعلمی للکتاب.

۵۱. الرضوان، أحمد، العولمه والعالمیّه فی میزان واحد، مطبعه بیروت.

۵۲. روبرتسون، رونالد، العولمه النظریّه والاجتماعیه والثقافه الکونیّه، ترجمه، أحمد محمود، نور أمین و حافظ ذیاب، المجلس الأعلی لثقافه، ۱۹۹۸م.

۵۳. – ، العولمه النظریّه، الاجتماعیّه، والثقافه الکونیّه، بیروت.

۵۴. روتسکی، لیون، الثروه والحیاه الیومیه، القاهره، مطبعه الأزهر.

۵۵. الزمخشری، جار الله أبو القاسم، أساس البلاغه، الهیئه المصریّه العامه للکتاب، ط ۳، ۱۹۸۵م

۵۶. زیدانی، سعید، الدیمقراطیه وحمایه حقوق الإنسان، مکتبه، العبکلّیه.

۵۷. السبحانی، الشیخ جعفر السبحانی، الإلهیات، المرکز العالمی لدراسات.

۵۸. -، معالم النبوّه فی القرآن الکریم.

۵۹. -، سید المرسلین، جامعه المدرّسین، قم.

۶۰. السماوی، احمد، الشرکات متعدّده الجنسیّات والعولمه، دار المحجّه البیضاء.

۶۱. شبر، عبد الله، حق الیقین فی معرفه أصول الدین، انتشارات، نورالهدی، إیران، قم.

۶۲. شرف، لیلی، التغیرات الثقافیّه وانعکاسها علی الدول النامیّه، مؤسّسه عبدالحمید شوهان.

۶۳. شرودر، ریتشارد، موجز نظام الحکم الأمریکی، وزاره الخارجیّه الأمریکّیه.

۶۴. الشریده، خالد ابن عبد العزیز، رؤیه نقدیه لإشکالیّه الشوری والدیمقراطیّه، بیروت/۲۰۰۰م.

۶۵. الشیرازی، السید محمّد الشیرازی، تقریب القرآن إلی الأذهان، دار العلوم لطباعه، والنشر، لبنان.

۶۶. الشیرازی، السید محمّد حسین، فقه العولمه، دراسه إسلامیّه معاصره، مؤسسه الفکر الإسلامی، لطباعه والنشر والتوزیع، بیروت.

۶۷. الشیرازی، ناصر مکارم الشیرازی، تفسیر الأمثل فی تفسیر کتاب الله المنزل.

۶۸. الصافی، لوئی، الحرکه الإسلامیه بین الأطباق المبدئی، والتقلید النموذجی، إیران، قم.

۶۹. صبری، إسماعیل، الکوکبه الرأسمالیه العالمیّه ما بعد الامبریالیّه، مرکز دراسات الوحده العربیّه، بیروت.

۷۰. الصدر، محمّد باقر، الإسلام یقود الحیاه، المؤتمر العالمی للأمام الشهید الصدر، مطبعه ظهور قم.

۷۱. صدقی، کلیم، الحرکه الإسلامیّه، دار الأندلس الخضراء.

۷۲. الصدوق، الخصال، مشهد، أستانه رضویّه مقدّسه.

۷۳. طالیس، أرسطو، السیاسه، ترجمه أحمد لطفی السیّد، منشورات اللجنه الدولیّه لروائع الإنسانیّه، بیروت ۱۹۵۷م.

۷۴. الطباطبائی، محمد حسین، المیزان، منشورات جماعه المدرّسین فی الحوزه العلمیّه، فی قم المقدّسه.

۷۵. الطبرسی، أبی منصور أحمد ابن علی بن أبی طالب، دار الأسره لطباعه والنشر.

۷۶. العابد، عبد الله حسن، أثر العولمه فی الثقافه العربیّه، دار النهضه، العربیّه.

۷۷. عبد الرحمن ابن محمّد ابن مخلوف الثعالبی، تفسیر الجواهر الحسان، تفسیر الثعالبی، بیروت.

۷۸. عبد الغنی، کمال، العلمانیّه والعولمه والأزهر، مصر، دار الحرفه الجامعیّه.

۷۹. عبد الله، عبد الخالق عبد الله، العلم المعاصر والصراعات الدولیّه.

۸۰. عبد المعطی، عبد الباسط، العولمه والتحوّلات فی الوطن العربی، مرکز البحوث العربیّه، مکتبه مدبولی.

۸۱. عبود، شلتاغ، قضایا إسلامیّه معاصره، المرکز الثقافی العربی،

۸۲. عبیدات، ذوقان، أین نحن والعولمه، دار الفکر، لبنان.

۸۳. عثمان، محمد فتحی، من أصول الفکر السیاسی الإسلامی، مؤسسه الرساله.

۸۴. العرسان، علی عقله، العولمه والهویّه، رابطه الکتاب الأردنیین، عمّان ۲۰۰۰م.

۸۵. العلوان، حسین، العولمه والثقافه العربیّه، المرکز الثقافی العربی ، القاهره.

۸۶. –، العولمه والهدایه، دار النهضه العربیّه.

۸۷. العمار، أحمد، العولمه ودورها فی نظام تهمیش النظام الإقلیمی، مکتبه الدار العربیّه للکتاب.

۸۸. عماره، محمّد، الغزو الفکری وهم أم حقیقه، منشورات جمعیّه الدعوه الأسلامیّه.

۸۹. العولمه والهوّیه، جریده المستقبل العربی، العدد: السابع والعشرون، لسنه۱۹۸۹م.

۹۰. العولمه وتباین المفهوم، مجله دبلوماسیه، تصدر عن دار جامعه، بغداد ۱۹۸۹ م.

۹۱. العیاشی، محمد ابن مسعود، تفسیر العیاشی، تهران.

۹۲. غارودی، روجیه، العولمه المزعومه، الواقع الجذر، تعریب: محمّد السبیطلی، دار الشوکانی للنشر والتوزیع.

۹۳. الغزالی، محمّد، مشکلات فی طریق الحیاه الإسلامیّه، دار شؤون الأوقاف الدینیّه.

۹۴. غليون، برهان، اغتيال العقل، حتميه الثقافه العربيّه بين السلفيّه والتبعيّه، بيروت، ط ۲.

ص:۲۲۱

٩٥. -، العرب وتحدّيات العولمه الثقافيّه، دار الفكر دمشق، سوريا.

٩٦. غيبه، مصطفى، دراسات فى الثقافه الإسلاميّه، المعهد العالمى لثقافات.

٩٧. الفخر الرازى، التفسير الكبير، دار الفكر لطباعه والنشر، بيروت.

٩٨. فرج، أحمد، العولمه والإسلام والعرب، كليّه التربيّه، جامعه المنصوره، مصر.

٩٩. الفرفور، عبد اللطيف، حقوق الإنسان والعلم المعاصر، سوريّه، دمشق، حلبونى.

١٠٠. فضل الله، محمّد حسين، الحركه الإسلاميّه، دار الملاك بيروت.

١٠١. فوكوياما، فرانسيس، الثقه والفصائل الاجتماعيه ودورها فى خلق الرخاء الاقتصادى، ترجمه: مدحت الشعلان، دمشق.

١٠٢. فوكوياما، فرانسيس، العولمه الاقتصاديّه والثقافه، نهايه التاريخ، الرافد وزاره الثقافه والأعلام الشارقه.

١٠٣. الفيض الكاشانى، المولا محسن، تفسير الصافى، مؤسسه الأ علمى للمطبوعات، بيروت.

١٠٤. القرضاوى، العولمه والمسلمون، دار التوزيع والنشر، بور سعيد، مصر.

١٠٥. القرطبى، محمّد بن احمد الأنصارى، الجامع لأحكام القرآن، دار الحديث، القاهره.

١٠٦. قطب، سيّد، معالم الطريق، دار دمشق لطباعه والنشر والتوزيع.

١٠٧. -، معركه الإسلام والرأسماليّه، دمشق، ط ٣، ١٩٦٦م.

١٠٨. قميحا، نزيه، القرآن يتجلّى فى عصر العلم، دار العلم للملايين، بيروت .

١٠٩. القندوزى سليمان بن ابراهيم، ينابيع الموده لذوى القربى، دار الأسوه لطباعه والنشر.

١١٠. الكاشانى، فتح الله بن شكر الله، زبده التفاسير، تحقيق مؤسسه المعارف.

١١١. كاطع، سناء كاظم، الفكر الإسلامى المعاصر والعولمه، دار الغدير، لبنان المؤسسه العالميّه لأحياء التراث.

١١٢. كاظم، نجاح، العرب وعصر العولمه، المركز الثقافى، بيروت.

١١٣. الكلينى، محمد بن يعقوب، الكافى، دار الأسره لطباعه والنشر.

١١٤. كنيدى، بول، الاستعداد للقرن الحادى والعشرين، ترجمه: محمّد عبد القادر فرغانى، دار الشروق عمان ١٩٩٢م.

۱۱۵. اللايبارى، محمّد حسين، المنظمات الدوليّه الحديثه، وفكره الحكومه العالميه، الهيئه المصريّه للكتاب.

۱۱۶. لحيالى، رعد كامل، العولمه وتحدّيات المواجهه، القاهره، مصر.

۱۱۷. لطف الله، منتخب الأثر فى الأمام الثانى عشر، مؤسسه معصومه، قم.

۱۱۸. المؤتمر القومى العربى، آيار۲۰۰۰م.

۱۱۹. المتيت، أبو زيد على، النظم السياسيّه والحرّيات العامّه، مؤسسه شباب الجامعه.

۱۲۰. مجذوب، محمد سعيد، الحرّيات العامّه لحقوق الإنسان، جروس، بيروت.

۱۲۱. مجذوب، محمد سعيد، الحرّيات العامّه لحقوق الإنسان، دار الكتاب العربى.

۱۲۲. مجله أفكار العدد۱۲۴ وزاره الثقافه الأردنيّه، ۱۹۹۶م.

۱۲۳. مجله عالم الفكر، الكويت، العدد:۱۰، ۱۹۹۷م.

۱۲۴. المجلسى، محمّد باقر، بحار الأنوار، دار المحجّه البيضاء.

۱۲۵. -، من لا يحضره الفقيه، طهران، دار الكتاب الإسلامى.

۱۲۶. المزنى، إسماعيل ابن يحيى، الحاوى الكبير للمذهب الشافعى، دار الكتب العلميّه، بيروت.

۱۲۷. حسين ابن محمّد تقى الحرّ ألعاملى، مستدرك النورى، مؤسسه آل البيت(عليهم السلام) لأحياء التراث.

۱۲۸. المسعود، مفتن، العولمه وأثرها على الثقافه العربيّه، الأعلمى للمطبوعات،

۱۲۹. مسلم، صحيح مسلم، الأعلمى للمطبوعات، بيروت.

۱۳۰. مسند أحمد بن حنبل، دار الفكر بيروت .

۱۳۱. مسند أحمد، طبعه الأعلمى، بيروت.

۱۳۲. المسيرى، عبد الوهاب، موسوعه اليهود واليهوديّه، دار الشروق القاهره.

۱۳۳. معلوف، الوئيس، المنجد فى اللغه، انتشارات ذوى القربى، إيران، قم.

۱۳۴. ملف العرب والعولمه، مجله دراسات، دار الجماهير لنشر.

۱۳۵. موسوی، هاشم موسوی، إسلام وسیاست، تهران، کتاب خانه ملی إیران.

۱۳۶. نور الدین ابن علی انب ابی بکر الهیثمی، مجمع الزوائد، بیروت.

۱۳۷. الوکیل، صالح، واحمد مفتی، النظریّه السیاسیه الإسلامیه فی حقوق الإنسان الشرعیّه، دمشق.

ص:۲۲۳

۱۳۸. هرات، محمدعلی، العرب والعولمه شجون الحاضر وغموض المستقبل، دارالفکر، بیروت.

۱۳۹. هنجتون، صومائیل، صدام الحضارات، ترجمه: طلعه الشایب، تقدیم: صلاح قنصوه، القاهره۱۹۹۸م، مرکز الدراسات الاستراتیجیّه والبحوث والتوثیق، بیروت.

۱۴۰. هندی، حسان، الإسلام والقانون الدولی، مؤسسه أصول الدین لطباعه والنشر،

۱۴۱. یان آرت شولت، نگاهی موشکافانه بر پدیده جهانی شدن، ترجمهٔ مسعود کرباسیان، شرکت انتشارات علمی وفرهنکی.

۱۴۲. الیزدی، محمدتقی، دروس فی العقیده، الإسلامیه، المترجم: السید هاشم محمد، انتشارات رابطه الثقافه والعلاقات الإسلامیّه.

۱۴۳. یسوعی أستاذ، القانون فی جامعه انفولد أشتات، مرکز الأبحاث المصری.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ۱۴۲۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبیّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فی مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبيقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

